الحجاب في الإسلام

والمُؤامراتُ التي تُحاكُ ضِدّهُ
لِتَحريرِ المرأةِ مِنْ سِترِها وَطهارَتِها وَعَفافِها

خادِمُ السُّنَّةِ
يوسف الحاج أحمد

مكتبة ابن حجر

استطلاعٌ بريطاني

. هل تعلم أنَّ الاستطلاع البريطاني أكَّدَ أنَّ لباسَ المرأةَ الفاضحَ هُوَ سببُ اغتصابِهَا، وإليك النتائج:

أظهرَ استطلاعٌ أجرتْهُ منظمةُ العفو الدُّولية في لندن، وشَمَل نحو (١٠٠٠) رجلٍ وامرأةٍ، أنَّ السَّبب الأساسيَّ لجرائِم الاغتصابِ الَّتي يَشْهَدُها الشَّارعُ البريطاني، تَعودُ لـ «عبثِ المرأةِ» و «لباسِهَا الفاضح» لتتحمَّل بذلك مسؤولية تَعرُّضِهَا للاعتِداءِ.

وقَد تَفَاجَئَ المشاركونَ في الاستطلاع بأنَّ معظمَ جرائِم الاغتصاب لا تَتِمُّ مِن قِبَلِ غُرَبَاءَ كما كانُوا يَعْتَقِدُونَ، حيثُ تُظهرُ الوقائعُ أنَّ (٨٠٪) من هذهِ الاعتداءات تَحْدُثُ مِن قِبَل أصدقاء، أو أشخَاص مَعروفِينَ مِن قِبَلِ الضَّحَايا.

وعلىٰ الرَّغم مِن ازديادِ حالاتِ الإبلاغ عَن التَّعرضِ للاغتِصَابِ، الَّتي تَتَلَقَّاها الشُّرطةُ البريطانيةُ، إلاَّ أنَّ إدانَةَ المتهمينَ انخفضَت بشكلٍ كبيرٍ، لِتَقْتَصِرَ علىٰ (٥٪) مِنَ الحالاتِ، بعدما كانت (٣٣ ٪) في العام (١٩٧٧م).

وأعْرَبَت المشرفةُ علىٰ الاستِطلاع (كات إيلين) عن قَلَقِهَا الشَّديد تِجَاه هذهِ الأرقام، مُشيرةً إلىٰ ضرورةِ اتِّخاذِ الحكومة البريطانية لخطواتٍ تجاه هذه الجرائم..

ولفَتَت إلىٰ أنَّ أغلبيةَ المشاركِينَ في الاستفتاءِ يَعتَقِدُونَ أَنَّهُ تُوجَد أكثر من (١٠) آلاف امرأة تَتَعَرَّض للاغتِصَاب سَنَوياً، بينَمَا يَتَجَاوَزُ الرَّقَمُ الحقيقي لحالاتِ الاغتصابِ، بحسبِ الخبراء، إلىٰ (٥٠) ألف امرأةٍ سنوياً.

ومن النتائج التي خَلُصَ إليهَا الاستطلاعُ، اعتبار (٢٢ ٪) مِنَ المشاركِينَ أنَّ السببَ وراءَ عملياتِ الاغتصابِ هُوَ تَعَدُّد الشُّركاء الجنسيينَ للمرأةِ، بينَمَا اعتبر (٣٠٪) أنَّ العديدَ مِن النِّساءِ يَتحَمَّلنَ مسؤوليةَ تَعرُّضِهِنَّ للاغتصابِ وهُنَّ في حالاتِ سكرٍ شديدٍ، مُعتبرينَ أنَّ البعضَ يعتَقِد أنَّ المرأةَ عندما تخرجُ لتُمْضِي وقتاً طيباً، تكون في حالةِ استعدادٍ لممارسة الجنسِ. ا. هـ فهل يعي ذلكَ دُعاةُ التَّحرُّرِ في بلادِنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

رقم الموافقة: ٧٩٥٤٤/٦/ ٢٠٠٥م.

الموضوع: في المسائل الاجتماعية.

العنوان: الحجاب في الإسلام.

التأليف: يوسف الحاج أحمد.

الصف التصويري: ابن حجر

للطبـاعة والنشـر والتوزيع

هاتف وفاكس: ٢٢٣٣٦٩١.

عدد الصفحات: ٢٧٢ صفحة

قياس الصفحة: ١٧×٢٥.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

توزيع: مكتبة ابن حجر بدمشق.

الحلبوني، بجانب المؤسسة العسكرية

هاتف، وفاكس: ٢٢٣٣٦٩١

جوّال: ٠٩٥ ٦٦٢٣٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الحمد لله تعالىٰ نحمدُهُ، ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنَا ومن سيِّئات أعمَالِنَا، من يهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ومن يُضلل فلا هَادي لَهُ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحدَهُ لا شـريكَ لـه، وأشـهدُ أن محمـداً عبـده ورسـوله، أرسـلَهُ بـالـهُدَى وديـن الحق ليظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه ولو كرهَ الكافرونَ، وبعدُ:

أختي المسلمة:

يـا دُرَّةً حُفِظَـت بِـالأَمْسِ غَاليـةً وَاليـومَ يُبقُونَـهَا للَّـهوِ وَاللَّعِـبِ
وأين مَنْ كَـانَت الزَّهْرَاءُ أسْـوَتهَا مِمَّن تَقَفَّت خُطَـىٰ حَمَّالـةِ الحَطَب

أختي في الله: اعلمي أنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الرَّجُلَ والمرأةَ ذكراً وأنثىٰ، وأودعَ في كـلٍّ منهمَا مِنَ الخصائصِ ما يُشكِّلُ عُنْصُرَ جَذْب كـلٍّ منهما للآخرِ، لذلـكَ امتـازَت المرأةُ عَن الرَّجُل بما أودَعَهُ اللهُ فيها مِن مظاهر الأُنوثَةِ، وعوامـل الإغراءِ الَّتي تشدُّ الرَّجُلَ إليها لتكونَ سبيلَ مُتْعَةٍ مُتَبَادلَةٍ بينَهُما، ولكنَّها في الوقتِ نَفْسِهِ شاركَت الرَّجُلَ في سائرِ الجوانبِ الإنسانيةِ والقدراتِ الذِّهنيةِ التي تُمكِّنها مِنَ القيام بالنَّشَاطاتِ الاجتِمَاعيَّةِ والفكريةِ، وتَفْتَح بابَ التَّعاون بينَهَا وبينَ الرَّجُل لبناءِ الحضارةِ وتشييدِ المجتمع.

وأمَام هذهِ الحقيقة وَضَعَ الإسلامُ حاجزاً للفَصْل بـينَ هـاتين العَلاقتين الـتي تَرْبِطُ الرَّجُلَ بـالمرأةِ، مِن حيثُ القيام بمهامِّها الفكريةِ والاجتماعيـةِ، واشـتِراكهَا معـهُ في الحاجَةِ إلىٰ المتعةِ مِن خلالِ الغريزةِ الجنسيةِ، وهذا الفاصِلُ والحاجزُ الَّذي حَدَّدَهُ القرآنُ

حتىٰ لا تَخْتَلِطَ العلاقتان ببعضِهِمَا هو الحجابُ الَّذي أوجَبَتهُ الشريعةُ علىٰ المرأة صوناً لِحِشْمَتِهَا، وحفاظاً علىٰ أُنوثَتِهَا، وتحصيناً لشخصيتِهَا الإنسانية ـ التي هي أساسُ اشتراكها مع الرَّجُل ـ ضدَّ كلِّ ما قد يَتَهَدَّدها أو يمتهنها ومن هنا فرضَ الإسلامُ عليها من مظاهرِ الحشمةِ ما يبرزُ شخصيَّتَهَا الإنسانية ويخفي مظاهِرَ الفتنةِ والإغراء المعبرة عَن أنوثتِهَا كُلَّما أرادت مشاركَةَ الرَّجُل في النَّشاطاتِ الفكريةِ والاجتماعيةِ.

ولكنَّه في الوقتِ نَفْسِهِ دعَاهَا أن تُبْرِز مظاهرَ أُنوثتها، وتُبَالغ في إغرائِها وعَرض مفاتِنها علىٰ الرَّجُل الَّذي ارتبَطَت بهِ بعقدٍ شَرعيٍّ يبيحُ استمتاعَ كلِّ منهمَا بالآخَرِ علىٰ وجهٍ مَشرُوع. وبهذا التَّشريع الرَّباني المزدوج للمرأةِ استطاعَت الشَّريعةُ حمايةَ المرأةِ مِن كلِّ الأخطارِ الَّتي تَتَهَدَّدهَا، وهذه هي الحكمةُ الباعثةُ علىٰ مشروعيةِ الحجابِ. والتي أشار إليهَا القرآنُ الكريمُ بقولهِ تَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩]. فقد أشارت الآيةُ الكريمةُ إلىٰ الحكمَةِ عَن مشروعيَّةِ الحجابِ وهي أن تَخْتَفِي المفاتنُ والمثيراتُ الجنسيَّةُ عَن أبصارِ الرِّجال النَّاظرين إليها، فَلا يستثيرُهُم منها شيءٌ يَدْفَعُهُم للتَّحَرُّشِ بها، أو الاعتداءِ عليهَا، وسببُ نزولِ هذه الآيةِ يُظْهِرُ لنا هذه الحكمةَ، قال ابنُ الجوزي في تفسيره: «سَبَبُ نُزولِهَا أَنَّ الفُسَّاقَ كانوا يُؤذون النِّساءَ إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأةَ عليهَا قِنَاعٌ تركوهَا وقَالُوا: هذهِ حرَّةٌ، وإذا رأوهَا بغَيرِ قِنَاع قَالُوا: أمَةٌ فآذوهَا، فنزلَت هذهِ الآيةُ، قَالَهُ السّديّ».

ورَغم وضوح هذهِ الحقيقةِ التي يؤكّدهَا العقلُ، ويؤيدهَا الواقعُ فإنَّ بعضَ المغفلينَ لايزالونَ يَنعقُونَ بأعلىٰ أصواتِهِم بأنَّ فرضيةَ الحجابِ علىٰ المرأةِ دليلٌ علىٰ ازدراءِ الإسلام للمرأةِ واحتقارهِ لها وتقييدِهِ لحريتهَا ورأوا فيهِ علامةً علىٰ تَخَلُّفِهَا، وربَطُوا تَحَرُّرَهَا بإزالةِ الحجابِ.

والعجبُ كلّ العجبِ من هؤلاء أَنَّهم يربطونَ حَضَارَةَ الإنسان بنوع الثيابِ الَّتي

يَلبسهَا، ومِن الغريبِ أيضاً أن نَجِدَهُم لا يربطونَ بينَ هاتين المعادلتينِ إلاَّ عندَ المرأةِ المسلمةِ، فالمرأةُ الهنديةُ واليابانيةُ وغيرها لا يخضَعْنَ لهذهِ المعادلَةِ، والأعجبُ مِن كلِّ هَذا أنْ نجدَهُم يربطونَ تَقَدُّم الإنسان بمقدارِ تَعريِّه مِن لباسهِ.

وإذا كانَ هذا معيارُ الحضارةِ عندَ هؤلاءِ فيجبُ أنْ تكونَ المجتمعاتُ البدائيَّةُ الَّتي هي أقربُ إلىٰ العريِّ منها إلىٰ اللباس يجبُ أن يكونُوا قُدْوَةً للنَّاس في حضارتِهم رَغْمَ البدائيَّةِ، وهناكَ نساءٌ مُتحَجِّباتٌ في بلادٍ إسلامية كثيرة وهنَّ علىٰ أعلىٰ دَرجاتِ العِلْم والثقافةِ، والمعرفة، والحضارةِ، والأدب.

ولكن هؤلاءِ لا يَعُونَ ما يقولونَ، بَل إنَّ الحقيقةَ الواضِحَةَ تُبْرزُ لنا سَبَبَ انتِشَارِ هذهِ الدَّعوة لإزالةِ الحشمَةِ مِن مجتمعاتِ المسلمينَ وهي الأنانيةُ المفرطةُ التي تجعَل هؤلاء لا يُفكِّرونَ إلاَّ بملذَّاتِهم وشهَواتِهِم وإشباع نَزواتِهِم فهم يُريدُونَ الاستِمتَاع بالمرأةِ مِن خلالِ إبراز مفَاتِنِهَا وكشفِ مُغرياتِهَا، وهذا ما نَجِدُهُ واضحاً عندَ أولئكَ الرِّجال الَّذين يشرفونَ علىٰ تصميم مَلابسِ النِّساء - العارضات - أو الَّذين يُديرونَ عروضاً فنِّيةً.

فإنَّ هؤلاءِ لا يُركِّزُونَ إلاَّ علىٰ مَواطِنِ الإثارةِ مِن المرأةِ التي تُستَغَلّ أنوثتهَا أسوأ استغلالٍ ثمَّ تَسْقُط ضحيةً لأنانيةِ هؤلاءِ الذِّئاب مِنَ البشرِ، وهذهِ الحقيقةُ عبَّرت عنهَا أكبرُ ممثلاتِ الإغراءِ «مارلين مونرو» في رسالةٍ كتَبَتْهَا لفتاةٍ تَطلُبُ نَصيحتَهَا في العملِ بالتمثيلِ.

فأجابتها قائلةً: احذري المجدَ، احذري كلَّ مَن يَخْدَعُكِ بالأضواءِ.. إني أتعَسُ امرأةٍ علىٰ هذهِ الأرض.. لم أستَطع أن أكُونَ أمّاً، إنِّي امرأةٌ أُفضِّلُ البيتَ.. إنَّ سعادَةَ المرأةِ الحقيقية في الحياةِ العائليةِ الشَّريفةِ الطَّاهرة، بَل إنَّ هذهِ الحياةَ العائليةَ لهي رَمْزُ سعادَةِ المرأةِ بَل الإنسانيَّة، إنَّ العملَ في السِّينما يجعلُ مِنَ المرأةِ سلعةً رخيصةً تافهةً مهمَا نالَت من المجدِ والشُّهرةِ الزَّائفةِ».

فبهذهِ الكلمات القليلة يستشفُّ منها القارئُ الكريمُ

أوَّلاً: نَدَمُ هذه الممثِّلة علىٰ ما فاتَ مِن عُمُرِهَا بينَ اللَّهو واللَّعب..

ثانياً: لقد عبَّرت عَن أنانيةِ الرِّجال المفرطينَ الَّذين لا همَّ لهم إلاَّ استغلال أنوثَةِ المرأةِ إشباعاً لِغَرَائِزِهِم وسدَّاً لحاجةِ الحيوانِ في أنفُسِهِم.

وهَذِهِ هي واللهِ أقبح صُورِ استِعْبَادِ المرأةِ عَبْرَ التَّاريخ أنْ تُستَغَلّ في جَسَدِهَا وتُهْمَل في إنْسَانِيَّتِهَا.

دُرَّتِي المصُونَة..

إنَّ النَّاظرَ إلىٰ تبرُّج فَتيَاتِنَا - في هذا الزَّمَن المكتَظِّ بالفِتن - لَيَتَفطَّر قَلْبُهُ ألماً.. وتذرفُ عَينُهُ دَماً.. ويَهْتَز كيانُهُ دَهْشَةً وحزناً! أينَ الحياءُ؟ وأينَ السِّترُ والغِطَاءُ ؟

تَألَّمتُ لحالِ فتياتِ الإسلام وفكَّرتُ في مآلهنَّ - إنْ بقينَ علىٰ ما هنَّ عليهِ الآن - فَحزِنَ قَلْبِي أشدَّ الحزن .. وبكَت عينِي، وتفطَّرَ فُؤادي..

فَخطَّ قَلَمِي بعضَ كَلِمَاتٍ.. هذَّبتُها وجمعتُها من هنا وهناكَ لتَكونَ - بإذنِ اللهِ تعالىٰ - رادعةً لمن ضَلَلَن الطريقَ، وأضعْنَ الحقُوقَ، وانْبَهرن بزينةِ الدُّنيا .. ونَسِينَ - أو أنسَاهُنَّ الشيطانُ - مَا للمؤمناتِ القَانِتَاتِ في أعَالي الجنَّات! أسألُ اللهَ تَعَالىٰ الكَريمَ الرَّحيمَ أنْ يَرُدَّ بهذِهِ الكلماتِ مَن أعْرَضَت عَن ذِكْرِهِ إلىٰ صِراطِهِ المستقيم، ويَهْدِي بهَا مَن جَهلَت الحقَّ المبينَ، ويلين بهَا قُلُوبَ العَاصِيَات الزَّائِغَاتِ عَن هدي رَبِّ العالمين. آمين.

واللهَ أَسْأَلُ أنْ يَنْفَعَ بِهِ المسلمينَ، وأن يَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَريم، وَيُبْقِيه ذُخْراً لي ولمن نَقَلتُ مِنْهُ كلَّ كَلِمَةٍ يومَ الدِّينِ، يومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَن أتىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْم.. وَصَلَّىٰ اللهُ علىٰ سيدنا محمَّدٍ وَعَلىٰ آلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْليماً كثيراً، وآخِرُ دَعْوانا أن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ.. وهذا أوانُ الشُّروع في المقصودِ، بعونِ اللهِ الملكِ المعبودِ.

الفقير لرحمة مولاه الكريم

خَادِمُ السُّنَّةِ: يُوسُف الحَاج أحمَد

دِمَشق الشَّام، ١١ ربيع الأول، ١٤٢٦ هجرية

الإهداء

إلىٰ ابنتي الغَاليةِ..

ودُرَّتِي المصُونَة.. وزَهْرتي اليَانِعَة..

يا وردةً.. مِن قطافِ العَفَافِ..

إلىٰ مَن هي نِصْف المجتَمع.. وتَلِد النِّصفَ الآخَر فهي كلّ المجتَمَع!

إليكِ أكتُبُ هذهِ الكلمات بحبرٍ مِن دَمي.. وعَلىٰ ورقٍ مِن قَلْبي..

وأُغلِّفها بحبِّي وإخلاصِي.. وأقَدِّمُها بِصِدقِي ووفَائي..

جمعتُها لكِ.. يَا قُدوةَ الأجيالِ.. ويَا مُرَبِّيةَ الأبطالِ.. ويَا زَوْجَ الرِّجالِ.. فَتَقَبَّليها مني..

وتَجَاوزي عَن زللي الَّذي ما هُو إلاَّ من قلَّةِ عِلْمِي.. وَضَعْفِ نَفْسي..

كي أَراكِ بعدها المرأةَ التي تَرَى عزَّها بِالحجابِ وصَوْنَها بالخمَارِ وحِفْظَهَا وعفافهَا بالغِطَاءِ.. كالملكَةِ في بَيتِهَا، وكالسَّيدةِ في قَومهَا..

هكذا يا ابنتي أحبُّ دوماً أن أراكِ..

أبوكِ المخلص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا ابنتي

أُصَدِّرُ هذا الكتابَ بجوهرةٍ نفيسةٍ وبكلمةٍ خرجَت مِن صميم القلبِ للأستاذِ الشيخ عليٍّ الطنطاوي ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ حيثُ قالَ:

يا اُبنَتِي! أنا رجلٌ، قَد فَارقَ الشَّبابَ، وودَّعَ أحلامَهُ وأوهامَهُ، ثمَّ إنِّي سُحتُ في البلدانِ ولقيتُ الناسَ، وخبرتُ الدُّنيا، فَاُسمعي منِّي كلمةً صحيحةً صريحةً من سِنِّي وتَجاربي، لم تَسْمعيها مِن غيري، لَقَد كَتَبْنَا ونَادَينَا نَدْعُو إلىٰ تقويم الأخلاقِ، ومحو الفسادِ، وقهرِ الشَّهواتِ، حتىٰ كلَّت منا الأقلامُ، وكلَّت الألسنةُ، وما صنعْنَا شيئاً، ولا أزَلْنَا منكَراً، بَل إنَّ المنكرات لتزدادُ، والفَسَادُ يَنْتَشِرُ، والسُّفُور والحسُورُ والتكشُّفُ تَقْوى شِرَّتُهُ، وتَتَّسعُ دائرتُهُ، ويمتَدُّ مِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ، حتىٰ لم يَبْقَ بَلَدٌ إسلاميٌّ (فيما أحسب) في نَجْوةٍ منهُ، حتَّىٰ الشَّام الَّتي كانَت فيها الملاءةُ السابغةُ، وفيها الغُلُوُّ في حفظِ الأعراضِ، وسَتْرِ العوراتِ، قَد خَرَجَت نساؤهَا سافرات حَاسِرَات، كاشفَات السَّواعد والنُّحُور!

ما نَجَحْنا ومَا أظنُّ أننا سَنَنْجَحُ. أتدرينَ لماذا؟

لأننا لم نَهْتَدِ إلىٰ اليوم إلىٰ بابِ الإصلاح، ولم نَعْرف طريقَهُ.

إنَّ بابَ الإصلاح أمامُكِ أنت يا ابنَتِي، ومفتَاحُهُ بيدِكِ، فإذا أمِنْتِ أنتِ يَا ابنتي عَلَىٰ دخولِهِ صَلحت الحالُ، صحيحٌ أنَّ الرَّجُل هُو الَّذي يخطُو الخطوةَ الأولىٰ في طريقِ الإثم، لا تَخْطُوهَا المرأةُ أبداً، ولكن لولا رِضَاكِ مَا أقدَمَ، ولولا لينُكِ مَا اشْتَدَّ، أنتِ فَتَحْتِ لَهُ، وهو الَّذي دَخَلَ، قُلْتِ لِلِّصِّ: تَفَضَّل.. فَلَمَّا سَرَقَكِ اللِّصُّ، صَرَخْتِ: أغيثوني، يا نَاسُ سُرِقْتُ..

ولو عَرَفتِ أنَّ الرِّجال جَميعَهُم ذئابٌ وأنت النَّعجةُ لَفَررْتِ فِرَارَ النَّعجةِ مِنَ الذِّئب، ولو ذكَرتِ أنهم جميعاً لُصُوصٌ لاحترَستِ مِنْهُم احتِرَاسَ الشَّحيح من اللِّصِ.

وإذا كانَ الذِّئب لا يريدُ مِنَ النَّعجة إلاَّ لحمها، فَالذي يريدُهُ الرَّجُلُ أعَزّ عليكِ مِنَ اللَّحم عَلىٰ النَّعجةِ، وشرٌ عليكِ مِنَ الموتِ عليها: عَفَافُكِ الَّذي بهِ تَشْرُفينَ، وبهِ تَفْخَرينَ، وبهِ تَعيشينَ.

وحياةُ البنتِ التي فَجَعَهَا الرَّجُلُ بِعفَافِهَا، أشدّ بمئةِ مَرَّة مِنَ الموتِ علىٰ النَّعجَةِ التي فَجَعَهَا الذئبُ بلحمِهَا.. أي والله، ومَا رأى شابٌّ فتاةً إلاَّ جرَّدَهَا بِخَيَالِهِ مِن ثيابِهَا، ثمَّ تَصوَّرَهَا بلا ثياب (إلاَّ من رحمَ ربِّي).

أي والله، أحلفُ لكِ مَرَّةً ثانيةً، لا تُصَدِّقي مَا يقُولُهُ بعضُ الرِّجال، مِن أنَّهم لا يرونَ في البنتِ إلاَّ خُلقهَا وأدبهَا، وأنهم يكلِّمونها كلامَ الرَّفيق والأخ، ويَودّونهَا ودّ الصَّديق! كَذِبٌ واللهِ، ولو سَمِعْتِ أحاديثَ الشَّباب في خَلَوَاتِهِم، لَسَمِعْتِ مهولاً مرعباً، ومَا يَتَبَسَّمُ لكِ الشَّابُّ بَسْمَةً، ولا يَلينُ لكِ بكَلِمَةٍ، ولا يُقَدِّمُ لك خِدْمَةً، إلاَّ وهي عندَهُ تمهيدٌ لما يُريدُهُ منكِ، أو هي إيهامٌ لِنَفْسِهِ أنَّها تمهيد. ومَاذا بَعْدُ؟ مَاذا يَا بنت؟ فكِّري!

تشتركانِ في لَذَّةِ سَاعَةٍ، ثمَّ يَنسَىٰ هُو، وتَظَلِّينَ أنتِ أبداً تتجرَّعينَ غُصَصَهَا، يمضي (خفيفاً) يُفتِّشُ عَن مُغَفَّلةٍ أُخرَى يَسرِقُ مِنْهَا عِرضَهَا، وينوءُ بكِ أنتِ (ثقل) الحملِ في بَطْنِك، والهمّ في نَفسِك، والوصمَة علىٰ جَبينك.

يَغْفِرُ له هذا المجتمعُ الظالمُ، ويقولُ: شابٌّ ضَلَّ ثمَّ تَابَ، وتَبْقينَ أنتِ في حمأةِ الخزي والعارِ طولَ الحياةِ، لا يَغْفِرُ لكِ المجتمعُ أبداً!

ولو أنَّكِ إذ لقيته نصبتِ لهُ صَدْركِ، وزويتِ عَنْهُ بصَرَكِ، وأريته الحَزنَ والإعراضَ.. فإذا لَم يَصْرفهُ عنكِ هذا الصَّدُّ، وإذا بَلَغَت بهِ الوقاحَةُ أنْ ينَالَ منْكِ بلِسَانٍ أو يدٍ، نَزَعْتِ حِذاءكَ مِن رِجْلكِ، ونَزَلْتِ بهِ علىٰ رأسهِ، لَو أنَّكِ فَعَلْتِ هذا، لَرَأيتِ مَن كلِّ مَن يمرُّ في الطريقِ عوناً لكِ عليهِ، ولما جَرؤ بَعْدَهَا فاجرٌ علىٰ ذاتِ سِوار، ولجاءكِ (إنْ كانَ صالحاً) تائباً مستغفراً، يسأل الصِّلَةَ بالحلالِ: جاءكِ يَطْلُبُ الزَّواجَ.

والبنتُ مهمَا بَلَغَت مِنَ المنزلةِ وَالغِنَىٰ والشُّهْرةِ والجاهِ، لا تَجِد أملَهَا الأكبر وسعادتَهَا إلاَّ في الزَّواجِ، في أن تكونَ زوجاً صَالِحَةً، وأمَّاً مَرْمُوقَةً، وربَّةَ بيتٍ، سواء في ذلك الملِكَاتُ والأميراتُ، وممثِّلاتُ هُوليود ذواتِ الشُّهرة والبريقِ الَّذي يخدع كثيراتٍ مِنَ النِّساء، وأنا أعرفُ أديبتَين كبيرتين في مِصْرَ والشَّام، أديبتين حقاً، جُمع لهمَا المالُ والمجدُ الأدبي، ولكنهما فقدَتَا الزَّواجَ، فَفَقَدَتا العَقْلَ، وصَارتَا مَجْنُونتين، ولا تُحرجيني بِسُؤالي عَن الأسماءِ لأنها مَعْرُوفَةٌ!

الزَّواجُ أقصَىٰ أماني المرأةِ ولو صَارَت عضوةَ البرلمانِ، وصاحِبَةَ السُّلطانِ. والفَاسِقَةُ المستهترةُ لا يَتزَوَّجهَا أحدٌ.. وحتَّىٰ الَّذي يغوي البنتَ الشريفَةَ بِوَعْدِ الزَّواج، إنْ هي غَوَت وَسَقَطَت، تركَهَا وذَهَبَ إذا أرادَ الزَّواجَ، فَيَتزَوَّج غيرَهَا مِنَ الشَّريفاتِ، لأنَّه لا يَرْضَىٰ أنْ تكونَ رَبَّةُ بيتِهِ وَأمّ بِنْتِهِ، امرأةٌ ساقطةٌ.

والرَّجُل إذا كانَ فاسقاً داعراً، إذا لم يجد في سُوق اللَّذات بنتاً تَرْضَىٰ أنْ تُريقَ كرامتَهَا علىٰ قَدَميهِ، وأن تكونَ لُعْبَةً بينَ يَدَيهِ، إذا لم يجد البنتَ الفاسِقَةَ أو البنتَ المغفَّلَةَ، الَّتي تشاركُهُ في الزَّواجِ، علىٰ دينِ إبليس، وشَريعَةِ القِطَطِ في شُبَاط، طَلَبَ أنْ تكونَ زَوْجَتُهُ عَلىٰ سُنَّةِ الإسلامِ.

فكسادُ الزَّواج مِنكُنَّ يَا بَنَات، لو لم يكُن منكُن الفَاسِقَاتُ مَا كسَدت سُوقُ الزَّواج ولا راجَت سوقُ الفُجور.. فَلِمَاذا لا تَعْمَلنَ؟ لماذا لا تَعْمَلُ شريفاتُ النِّساءِ علىٰ محاربَةِ هَذا البلاءِ؟

أنتُنَّ أولىٰ بهِ، وأقدَر عليهِ مِنَّا لأنكُنَّ أعرف بلسانِ المرأةِ وطُرُق إفهامِهَا لأنهُ لا يُذْهِبُ الفَسَادُ إلاَّ أنتُنّ؟ البناتُ العفيفاتُ الشريفاتُ، البناتُ الصَّيِّنَاتُ الدَّيِّنـاتُ في كل بيتٍ من البيوتِ بناتٌ في سنِّ الزواج لا يجدنَ زوجاً، لأنَّ الشبابَ وجَدُوا مِنَ الخليلاتِ مَا يُغني عَن الحليلاتِ.

فَأَلِّفنَ جمَاعَاتٍ مِنكُنَّ مِـن الأديبـاتِ، والمتعلِّمـاتِ ومُدَرِّسـاتِ المدرسـةِ، وطالباتِ الجامعَةِ، تُعيدُ أخواتكنّ الضَّالات إلىٰ الجـادَّةِ، فَخَوِّفنهنَّ اللهَ، فإنْ كُنَّ لا يَخفْنَهُ فَحَذِّرنهنَّ المرضَ، فإنْ كنَّ لا يحذرنَهُ، فَخَاطبنـهنَّ بلسانِ الواقع، قُلْنَ لهن: إنَّكنَّ صبايا جميلات فَلِذَلِـكَ يُقبِلُ الشبابُ عَلَيكُنَّ، ويحومُونَ حَولكُنَّ، ولكن هل يَدُومُ عليكُنَّ الصّبا والجمالُ؟ ومتَىٰ دامَ في الدُّنيا شيءٌ؟ حتَّىٰ يَدُوم عَلىٰ الصَّبية صِبَاهَا، وعلىٰ الجميلَةِ جمالُها؟

فكيفَ بكُنَّ إذا صرتُنَّ عجائزَ محنيات الظُّهُور، مجعـدات الوُجُوه؟! مَن يَهْتَمُّ يومئذٍ بِكُنَّ؟ ومَن يسألُ عنكُنَّ؟

أتعرفـنَ مَن يَهْتَمُّ بـالعجوزِ ويكرمُـهَا ويُوقِّرُهـا؟ أولادُهـا وبنَاتُـها، حَفَدَتُـهَا وحفيداتها.. هنالكَ تكونُ العجوزُ ملكـةً في رَعِيَّتِـهَا، ومُتَوَّجـةً علىٰ عَرْشِـهَا علىٰ حين تكون (الأُخرى).. أنتُنَّ أعرفُ بما تكونُ عليهِ!

فهل تُسَاوي هَذِهِ اللَّذات تِلكَ الآلام؟ وهَل تُشْتَرَى بهذِهِ البدايَة تِلْكَ النِّهاية؟ وأمثال هَذا الكـلام لا تَحْتَجـنَ إلىٰ مَن يَدُلُّكُنَّ عَليـهِ، ولا تَعدمـنَ وَسيلةً إلىٰ

هدايةِ أخواتِكُنَّ المسكينات الضَّالات، فإنْ لم تَسْتَطِعْنَ ذلك مَعَهُنَّ، فَاْعمَلْنَ علىٰ وقاية السالماتِ مِن مَرَضِهِنَّ، والنَّاشئاتِ الغافلاتِ مِن أنْ يَسْلُكنَ طَرِيقَهُنَّ.

وأنا لا أطلُبُ منكُنَّ أنْ تَعُدْنَ بالمرأةِ المسلمةِ اليومَ بوثبةٍ واحدةٍ إلىٰ مثلِ مَا كانت عليهِ المرأةُ المسلمةُ حقّاً، لا وإني لأَعْلَمُ أنَّ الطفرة مُستحيلةٌ في العادَةِ، ولكن أنْ ترجِعْنَ إلىٰ الخيرِ خُطوة خطوة، كمَا أقبلتنَ علىٰ الشَّرِّ خُطوة خطوة، إنكنَّ قَصَّرْتُنَّ شَعْرَةً شعرةً، ورقّقتنّ الحجابَ، وصَبرتنَّ الدَّهرَ الأطولَ، تَعْمَلنَ لهذا الانتِقَال، والرَّجُلُ الفَاضِلُ لا يَشْعُرُ بهِ، والمجلاتُ الداعرةُ تَحُثُّ عليهِ والفُسَّاقُ يَفْرَحُونَ به حتَّىٰ وَصَلْنَا إلىٰ حالٍ لا يَرْضَىٰ بهَا الإسلامُ، ولا تَرْضَىٰ بها النَّصرانيةُ، ولم يَعْمَلْهَا المجوسُ الَّذين نقرأ أخبارَهُم في التاريخ، إلىٰ حالٍ تأباهَا الحيواناتُ.

إنَّ الديكين إذا اجتمَعَا علىٰ الدَّجاجةِ اقْتَتَلا ـ غَيرَةً عليها، وذوداً عنها ـ وعَلىٰ الشواطئ رجالٌ مسلمونَ، لا يَغَارُونَ عَلىٰ نِسَائِهِم المسلمات أنْ يراهُنَّ الأجنبيُّ، لا أنْ يَرَى وجوههن.. ولا أكفهنَّ.. ولا نحورهنَّ.. بل كلَّ شيء فيهن! كلّ شيء إلاَّ الشيء الَّذي يقبح مَرْآهُ ويَجْمُل سَتره، وهُوَ العورتانِ، وحَلَمَتَا الثَّديين.. وفي النوادي والسَّهرات (التَّقدمية) الرَّاقية رجالٌ مسلمونَ يُقَدِّمُونَ نساءهم المسلمات للأجنبي، لِيُرَاقِصهنَّ، ويَضُمهنَّ حتىٰ يُلامس الصَّدرُ الصَّدْرَ، والبطنُ البطنَ، والفمُ الخدَّ، والذراعُ ملتوٍ علىٰ الجسَدِ، ولا ينكرُ ذلكَ أحَدٌ، وفي الجامِعَاتِ المسلمةِ شُبَّانٌ مسلمونَ، يجالسونَ بنَاتٍ مُسْلِمَاتٍ متكَشِّفاتٍ باديات العوراتِ ولا يُنكِرُ ذلكَ الآباءُ المسلمونُ ولا الأمهاتُ المسلماتُ.

وأمثالُ هذا كثيرٌ، لا يُدْفَعُ في يوم واحدٍ ولا بوثبةٍ عاجِلَةٍ، بَل بأن نَعُودَ إلىٰ

الحقِّ، مِنَ الطريقِ الَّذي وَصَلْنَا منهُ إلىٰ الباطل، وإنْ وَجَدْنَاهُ الآنَ طويلاً ـ وإنَّ مَن لا يسلك الطريقَ الطويلَ الذي لا يجدْ غيرَهُ لا يصل أبداً ـ وأنْ نَبْدأ بمحَارَبَةِ الاختلاطِ. لأنَّ الرسول ﷺ يقول: «أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشّيطَانُ» [رواه أحمد والترمذي والحاكم]. وقال ﷺ: «لا تُسَافِرِ المَرْأَةُ إلاَّ مَع ذِي مَحْرَمٍ، وَلا يَدْخُلُ عَلَيهَا رَجُلٌ إلاَّ ومَعَهَا مَحْرَمٌ». [متفق عليه].

السّفُور إنِ اقتصَرَ علىٰ الوجهِ ـ كما خَلَقَ اللهُ الوجْهَ ـ نَقْبَلُ بهِ ـ وإنْ كنَّا نَرَى السّترَ أحسَن وأولىٰ ـ وأمَّا الاختلاطُ فشيء آخَرُ، وليسَ يَلْزَم مِنَ السّفور أنْ تَخْتَلِطَ الفتاةُ بغيرِ محَارِمِهَا، وأنْ تَسْتَقْبِلَ المرأةُ السافرةُ صديقَ زَوْجِهَا في بيتِهَا، أوْ أنْ تحييهِ إنْ لَقِيَتْهُ في الترام، أو لَقِيَتْهُ في الشَّارع، وأنْ تُصَافحَ البنتُ رفيقَهَا في الجامِعَةِ، أو أن تَصِلَ الحديثَ بينَهَا وبينَهُ، أو أن تَمْشي مَعَهُ في الطريقِ، وتَسْتَعِد معَهُ للامتحانِ وتَنْسَىٰ أنَّ اللهَ جعَلَهَا أنثىٰ وجعَلَهُ ذكراً، وركَّب في كلٍّ الميلَ إلىٰ الآخرِ فلا تَسْتَطيع هِيَ ولا هُوَ ولا أهلُ الأرضِ جميعاً أنْ يُغَيِّرُوا خَلْقَ اللهِ، وأنْ (يُساووا) بينَ الجنسينِ أو أن يَمْحُوا مِن نُفُوسِهِم هَذا الميلَ.

وإنَّ دُعَاةَ المساواةِ والاختلاطِ بِاسم المَدَنِيَّةِ قَوْمٌ كذَّابُونَ مِن جهتين:

كذَّابونَ لأنَّهم ما أرادُوا مِن هَذا كُلِّه إلاَّ إمتاع جَوارحهم، وإرضاء مُيولِهِم، وإعطاء نُفُوسهم حظَّها من لَذَّةِ النَّظَر، ومَا يأملونَ بِهِ مِن لذائذ أُخر، ولكنَّهم لم يَجِدُوا الجرأةَ علىٰ التَّصريح بهِ، فلَبَسوه بهذا الَّذي يَهْرفُونَ بهِ مِن هذهِ الألفاظ الطنَّانَةِ، الَّتي ليسَ وَراءها شيء: التَّقَدُّمية، والتَّمَدُّن، والحياة الجامِعيَّة، وهذا الكلامُ الفارغ (علىٰ دَوِيِّهِ) مِنَ المعنىٰ، فكأنَّهُ الطَّبلُ.

وكذَّابُونَ لأنَّ أوروبا التي يأتمرونَ بِهَا، ويَهْتَدُونَ بِهَدْيِهَا، ولا يَعْرفُونَ الحقَّ

إلاَّ بدمغتها عَلَيهِ، فَلَيسَ الحقُّ عندَهُم الَّذي يُقابلُ الباطِلَ ولكنَّ مَا جاءَ مِن هناك: مِن بَاريس ولندن وبرلينَ ونُيويورك.

ولو كانَ الرَّقْصُ والخلاعَةُ، والاختلاطُ في الجامعةِ، والتكشُّفُ في الملعبِ، والعُري على السَّاحل والباطل مَا جاءَ مِن هنَا: مِن الأزهَرِ، والأموي، وهَاتيك المدارس الشَّرقية، والمسَاجِد الإسلامية ولو كانَ الشَّرَفُ والهدى، والعفافُ، والطهارةُ، طهارةُ القلبِ وطهارةُ الجسَدِ.

إن في أوروبا وفي أمريكا ـ كما قرأنا وحدَّثَنا من ذَهَبَ إليها ـ أُسَرٌ كثيراتٌ لا تَرْضَىٰ بهذا الاختلاطِ ولا تسيغُهُ، وإنَّ في باريز (باريس يا نَاس) آباءٌ وأمهاتٌ لا يَسْمَحُونَ لبناتِهم الكبيرات أنْ يَسِرْنَ مَع شابٍّ، أو يَصْحَبْنَهُ إلىٰ السِّينما، بَل هُم لا يُدخلونَهُنَّ إلاَّ إلىٰ رواياتٍ عرفُوهَا وأيقنوا بِسَلامَتِها مِنَ الفُحْشِ والفُجُور، اللَّذين لا يخلو منهمَا ـ مع الأسف ـ واحدٌ مِن هذه التَّهريجات والصِّبيانيات السَّخيفة التي تُسَمِّيها الشَّركاتُ الهزيلَةُ الرقيعَةُ الجاهلَةُ بالفنِّ السينمَائي مِثْل جهلِهَا بالدِّين، تُسَمِّيها أفلاماً.

يقولون: إنَّ الاختلاطَ يكْسِرُ شِرَّة الشَّهوة، ويُهَذِّب الخُلُقَ، ويَنْزِعُ مِنَ النَّفْسِ هذا الجنونَ الجنسِيَّ، أنا أُحيلُ الجوابَ علىٰ مَن جَرَّبَ الاختلاطَ في المدارِسِ، رُوسيا التي لا تَعُود إلىٰ دِينٍ، ولا تَسْمَع رأي شَيخ ولا قِسِّيس، ألم تَرْجع عَن هذهِ التَّجربةِ لما رَأت فَسَادَهَا؟ وأمريكَا، ألم تَقْرأوا أنَّ مِن جُمْلَةِ مَشَاكِل أميركا ازديادُ نِسْبَةِ الحاملاتِ مِنَ الطالباتِ! فَمَن يسرُّه أنْ يكُون في جَامِعَاتِ مِصْرَ والشَّام وسائر بلادِ الإسلام مثل هذهِ المشكلَةِ؟

وأنا لا أُخاطب الشَّباب ولا أطمعُ في أنْ يَسْمَعُوا إليَّ، أنا أعْلَمُ أنَّهُم قَد

يَرُدُّونَ عَلَيَّ وَيُسَفِّهونَ رَأيِي، لأنِّي أحرمهُم مِن لذَائِذ مَا صَدَّقُوا أنَّهُم وصَلُوا إليها حقاً.

ولكن أُخَاطبكنَّ أنتُنَّ يا بَنَاتي المؤمنَاتِ الدَّيِّنَاتِ، يا بَنَاتي الشَّريفاتِ العَفيفَات إنَّه لا يكونُ للضَّحيَّةِ إلاَّ أنتُنَّ، فَلا تُقَدِّمنَ نُفُوسكُنَّ ضَحَايا علىٰ مَذْبَح إبليس، لا تَسْمَعنَ كلامَ هؤلاء الَّذين يُزَيِّنُونَ لَكُنَّ حياةَ الاختلاطِ باسم الحرِّيةِ وَالمدنيَّةِ والتَّقَدُّميَّةِ والحياةِ الجامعِيَّةِ، فإنَّ أكثَرَ هَؤلاءِ الملاعين لا زَوْجَةَ لَهُ ولا وَلَدَ، ولا يَهُمُّهُ مِنكُنَّ إلاَّ اللَّذة العَارضَة، أمَّا شأني فإنِّي أبو أربعِ بَنَاتٍ، فَأنَا حينَ أدافعُ عنكُنَّ أدافعُ عَن بنَاتي، وأنا أريدُ لكنَّ مِنَ الخيرِ مَا أريدُ لَهُنَّ.

إنَّه لا شَيءَ مِمَّا يهرفُ به هؤلاء يَرُدُّ علىٰ البنتِ عرضها الذَّاهب، ولا يُرْجِعُ لها شَرَفَها المثلوم، ولا يُعِيدُ لها كَرَامَتَها الضَّائِعَة، وإذا سَقَطَت البنتُ لَم تَجِدْ واحداً مِنْهُم يأخذُ بِيَدِها، أو يَرْفَعُها مِن سَقْطَتِها، إنما تَجدهُم جميعاً يَتَزَاحَمُونَ علىٰ جَمَالِها مَا بَقِيَ فيها جمالٌ، فإذا وَلَّىٰ وَلَّوا عَنْها كمَا تُوَلِّي الكلابُ عَن الجيفَةِ الَّتي لَم يَبْقَ فيها مُزْعَةُ لَحْم!

هذهِ نَصيحَتي إليكِ يَا ابنَتِي..

وهَذا هُوَ الحقُّ..

فَلا تَسْمَعي لَهُم، واعْلَمِي أنَّ بِيَدِكِ أنتِ - لا بأيدينَا مَعْشَر الرِّجال - بيدِكِ مِفْتَاحُ بابِ الإصلاح، فإذا شِئْتِ أصْلَحْتِ نَفْسَكِ، وأصْلَحْتِ بصَلاحكِ الأمَّةَ كُلَّها.

والسَّلامُ عليكُم ورحمَةُ اللهِ.

علي الطنطاوي.. سنة (١٩٥٤م).

يَا بنتَ الإسلام تحشَّمي

أختَاهُ يَـا بِنْـتَ الإسـلام تَحَشَّمي   لا تَرْفَعِـي عنـكِ الخِمَـارَ فَتَنْدَمِـي
هَـذا الخمـارُ يزيـدُ وَجْـهَكِ بهجـةً   وحَـلاوَة العَينَـين أنْ تَتَحَجَّـبي
صُونِـي جَمَـالَكِ إنْ أردتِ كرامـةً   كي لا يَصُون عليكِ أدنَىٰ ضَيغَمِ
لا تُعْرِضِي عَن هَدْيِ رَبِّكِ سَاعَةً   عضِّي عليهِ مَدَى الحياةِ لِتَغْنَمِي
مـا كـانَ رَبُّـكِ جـائراً في شَـرْعهِ   فَٱسْتَمْسِـكي بعراه حتَّىٰ تَسْلَمِي
وَدَعـي هـراءَ القَـائلينَ سـفاهةً   إنَّ التَّقَـدُّم في السُّـفور الأعْجَـم
إنَّ الَّذيـن تَـبَرأوا عَـن دِينِـهم   فَـهُمْ يَبيعُـونَ العفَـافَ بِدِرْهَـم
حُلَـلُ التَّـبرّج إنْ أردتِ رَخيصَـةٌ   أمَّـا العَفَـاف فَدُونـه سَـفْكُ الـدَّم
لا تَمْنَحِـي المستَشْـرِقينَ تَبَسُّـماً   إلاَّ ابتِسَـامَةَ كاشـرٍ مُتَجَـهِّم
أنـا لا أريـدُ بـأنْ أراكِ جَهُولَـةً   إنَّ الجهالَـةَ مُـرَّةٌ كَـالعَلْقَم
فَتَعَلَّمِـي وتَثَقَّفِـي وتَنَـوَّري   والحَـقُّ يَـا أختَـاهُ أنْ تَتَعَلَّمِـي
لكنَّنـي أُمْسِـي وأُصْبِـحُ قـائلاً   أختَاهُ يـا بِنْـتَ الإسـلام تَحَشَّمِي

*   *   *

صُوني حياءك صُوني العِرض لا تهني   وصَابري وَٱصْبِرِي للهِ واحتَسِبي
إنَّ الحيـاءَ مِـنَ الإيمـانِ فَـاتَّخِذِي   منـهُ حليّـكِ يَـا أختـاه واحتَجِبِـي

ويـا لقبـحِ فَتَـاةٍ لا حيـاءَ لهـا وإنْ تحلَّـت بغـالي المـاسِ والذَّهـبِ
إنَّ الحجـابَ الَّـذي نبغيـهِ مكرمـة لكـلِّ حـواء مَـا عـابت ولم تَعِـبِ
نريـدُ منـها احتشـاماً عفَّـةً أدبـاً وهـم يُريـدونَ منـها قِلَّـةَ الأدبِ!

❖ ❖ ❖

يا وردة الإيمان

قالت أمٌّ لابنتها:

أيتها الدُّرةُ المكنونةُ.. والجوهرةُ المصونةُ.. واللَّمسة الحنونةُ..

يا مَن ملأ حُبُّكِ أركانِي.. وحازَ شأنُكِ جلَّ اهتِمَامي.. وبِمَظْهَرِكِ الفَاتِنِ طارَ عَقْلي واختلَّ اتِّزانِي!

غادَرَ الكَرَى عَيني، وقَطَّع الحزنُ قَلْبِي، وعَبَثَ الهمُّ بأشجَانِي.. فَلَم يَخْطُر لي ببال.. ولَم أتوقَّع هذه الحالَ!

لم أتوقَّع يا ابنتي الحبيبة أنْ تَجْري خَلْفَ العَدُوِّ لِيَقْتُلَكِ.. ولَم أتصوّر أن تحدِّي شَفرَتَهُ ليسيلَ علىٰ يَدِهِ دَمُكِ، ومِنْ ثَمّ دَم أحبابك وأبناء دِينِكِ!

ربما تَعَجَّبتِ مِن كَلِمَاتي.. ولم ترُق لكِ عباراتي، وقَد تقولينَ: كيفَ قَتَلَني عدوّي ولَم أزل أستَنْشِقُ عبيرَ الحياةِ وَقَلْبي يَنْبِضُ بِحُبِّها؟! وكيفَ أجْرَى العَدُوُّ دَمِي ولم أرَ دَماً ولا سكِّيناً؟!

فأقول لكِ يا ابنتي الحبيبة..

تذكَّري أنَّ عدوَّنا ـ نحنُ المسلمينَ ـ هو الكافرُ وأعوانُهُ وأولياؤُهُ وأصحابُهُ، لم يَسْتَطيعُوا مواجهتنا بالسِّلاح الحسيّ (السيف والرَّصَاص) فهم أعرَفُ بمدى قُوَّتِنَا وشَجَاعَتِنَا، وتاريخُهُم يذكِّرُهم بجندِ اللهِ (الملائكة) الَّذين يُقاتِلُونَ مَعَنَا فَلا نَرَاهُم ولكن يَرونهم هُم فَتطيرُ عقولُهُم فزعاً.. وتَنْخلع قُلُوبُهُم خوفاً مِن كَثْرَةِ الجندِ وقُوَّتِهم! عَجَزُوا عن مُواجَهَتِنَا بهذا النَّوعِ مِنَ السِّلاح، فَبَدَأوا بِغَزْونا فِكْرِيّاً، وقَد نَجَحُوا وأسقَطُوا عدداً كبيراً من قَتْلَىٰ (الإيدز، والزُّهري، والأمراض الجنسية الأخرى).. فَوا أسفي علىٰ بَنِي قَومي ويَا حُزني عَلىٰ شبابهم وكَرَامَتِهِم.!

واعلمي يا ابنتي أنَّ أعظمَ وأقوى سِلاح استَخْدَمُوهُ في حَرْبِهِم هذهِ هو (المرأةُ العربيةُ المسلمةُ) فَدَعُوها إلىٰ السّفور والتَّبرج ليفتِنُوا بها شبابَ الإسلام ويَصْرِفُوا قُلُوبَهُم عن الإسلام إليها.. لِتَخْلُو بعدها مِنَ الإيمانِ وحبِّ الرَّحمن، إلىٰ حبِّ شهواتِ الدُّنيا الفانيةِ والتعلّق بجمالها الزَّائفِ، وبذلك تخورُ العزائمُ.. وتَضْعُفُ الهمَمُ.. ويَجْبُنُ الشُّجعانُ! وهذا بالتأكيد ما حصل.. وإذا أردت الدليلَ، فانظري إلىٰ فتيات المسلمين في الطرقاتِ والحدائق العامَّة والمدارس والجامعات..

نعم يا ابنتي.. لقد بدأوكِ بالموضةِ والأزياءِ وكلِّ جديدٍ جذَّاب، وتدرّجوا معكِ شيئاً فشيئاً وأنتِ تُنَفِّذينَ ما يُمليهِ عليكِ أعداؤكِ دُونَ أنْ تَشْعرينَ..! وهذا معنَىٰ قولي لكِ: (لم أتوقَّع أنْ تَجْرِي خَلْفَ العدُوِّ ليقتُلَكِ، ولم أتصَوَّر أنْ تُحِدِّي شفرتَهُ لِيَسيلَ علىٰ يَدِهِ دَمُكِ)!

يؤسفني - يا ابنتِي - أنْ أُعْلِمَكِ عَن أُناسٍ من بَنِي جِلْدَتِنَا، يأكلُونَ مَعَنَا، ويمشونَ في أسواقِنا، وينتَسبونَ لِدينِنَا.. ولكن قُلُوبَهُم لِعَدوِّنا مُوالية.. وأقلامَهُم وكلِمَتُهم تَعْشَقُ الغَرْبيَّ الكافرَ، وأجسامَهُم ومظاهرَهُم تحاكِي مظهرَ الكافِرِ الشَّقيِّ الذي لَم يَسْعَد في دُنْيَاه ولن يَفْرَحَ في أُخْرَاه..

ابنتي الحبيبة..

إنَّ الناظرَ إلىٰ حال نساءِ زمانِنا يتفطَّرُ قلبُه ألماً وحسرةً.. وتَدْمَعُ عينُهُ حُزْناً وقهراً.. فَلَقَد أصبحَ حِجَابُهُنَّ زينةً، وسِتْرُهُنَّ تَفَسُّخٌ وعُريٌ وإغراءٌ - إلاَّ من رحم ربِّي - متَتَبِّعات في ذلك خريطةَ الطريقِ التي رسَمَها أعداؤنا مِنَ الشَّرق والغَرْبِ!

فهل عَرَفْنَا في الإسلام عباءةً مطرّزة ضيّقةً ترسمُ جسداً؟ وهل سمعنا بطرحةٍ مُزركَشَةٍ..؟ أمْ هَل رأينَا في تاريخ الإسلام غِطَاءَ وَجْهٍ شَفَّافٍ؟! أمْ رأينا بُرْقُعَ وجهٍ تظهرُ منهُ عينانِ مكحلتَان جَميلتَان فاتِنَتَان.

إنَّه واللهِ أمرٌ يتقطَّع لهُ نياطُ القلبِ ويَنْدَى مِنْ هَولهِ الجبينُ.. فالإسلامُ فَرَضَ الحجابَ لحكمةٍ عظيمةٍ.. وفوائد جَسيمة.. أهمّها نشر الفضيلةِ والعفافِ..

فالحجابُ - يا ابنتي - عبادةٌ فيها السَّعادةُ.. وجمالٌ يفوقُ كلَّ جَمَالٍ.. وراحَةٌ تُنسي كلَّ رَاحةٍ! فرضَ اللهُ تعالىٰ الحجابَ لِيَسْتُرَ المرأةَ عن الأجانبِ، بل عَن أعدائها من الجنسِ الآخر، ليحميها مِن ذئابِ البشَرِ.. وأعداءِ العفافِ والطُّهرِ، ليحفظها مِن أعينِ الماكرينَ الخائنين.. ويرفعها عَن مستنقعاتِ العارِ وأَوْحَالِ الرَّذيلة! نعم لقد حَجَبَ الإسلامُ المرأةَ عَن الرِّجالِ كي تَبْقَىٰ دُرَّةً غاليةً، وجوهرةً مصونَةً، لا تَعبَثُ بها أيدِي السُّرَّاق، ولا تَطولُها أعينُ الغَادِرينَ..

نعم - يا ابنتي - لقَد حَجَبَ الإسلامُ المرأةَ لتبقَىٰ عزيزةً نظيفةً، عفيفةً شريفةً، ويتمَنَّاها التقيُّ، ويخشاها الشَّقِيُّ!

فقد قَالَ بعضُ أهل الفسادِ عِنْدَما سُئِلُوا عَن نظرتهم للفتَاةِ المتَحَجِّبَة: نحنُ نَخْشَىٰ الاقترابَ مِنَ الفتاةِ المحجَّبةِ، ونستَحِي مِنَ النَّظر إليها مَع كونها محجَّبة حجاباً كاملاً ولا يَظهَرُ منها ظفر! فنبتَعِدُ عَن طريقِها، ونغارُ عليها مِن نظراتِ الرِّجال وكأنها أختٌ لنا أو أمٌّ أو قريبةٌ!

سبحان اللهِ! هذا كلامُ ذئابِ البشرِ عَن الفتاةِ المحجَّبةِ.. فما بالكِ أختي الحبيبة بكلام الأتقياءِ الأنقياءِ الشُّرفاء..؟

إنهم يَدْعُونَ لكلِّ فتاة محجَّبةٍ بأنْ يحفَظَها اللهُ مِن كلِّ سُوءٍ، وأنْ يُثَبِّتَها علىٰ صِراطِهِ المستقيم.. وأنْ يُيَسِّرَ لها الخيرَ حيثُ يكونُ، ويَصْرِف عَنْها الشَّرَّ مهمَا يكون.

بل إنَّ بعضَهُم ليفتَخِر بها ويَعْتَزُّ بحجابِها.. بل يَتَمَنَّىٰ أن تكونَ زوجتَهُ أو ابنتَهُ أو أختَهُ!

فالحجابُ عِزَّةٌ وفخرٌ للمرأةِ والرَّجلِ معاً.. ولم يكن الحجابُ يوماً منقصةً أو مذلَّةً أو ظُلْماً.

بل إنَّ الإسلامَ أعزَّ المرأةَ بالحجابِ وصَانَها بالخمارِ وحَفِظَها بالغطاءِ.. فالمرأةُ المسلمةُ المحجبةُ كالملكةِ في بيتها، وكالسَّيدة في قومِها.. فهل يرى الملكةَ كلُّ أحدٍ..؟

وإذا مَشَت لا تمشي إلاَّ بمعيَّةِ حَارسِها الشَّخصي! يُرَافِقُها في السُّوقِ والمستشفىٰ والشَّارع، ويوصلها إلىٰ عَمَلِها - إن كانَت عاملةً - ويحميها ويحرسُها مِنَ الكلماتِ والنَّظرات المؤذية. يمشي معها بِعِزَّةٍ وفَخْر.. وتَمْشِي معهُ بطمأنينةٍ وأمانٍ..! فهي لا تَخْشَىٰ علىٰ نَفْسِها مِن كيدِ الأعداءِ لأنها محجَّبة - والحجابُ شعارُ العفافِ والطُّهْرِ - وبوجودِ حَارسها يحميها ويحفظها بحفظِ اللهِ.. يحرسُهُا أبوها أو أخوها أو زوجُها أو ابنُها أو أحد محارمها الَّذين سرَتْ نارُ الغيرة في عُرُوقِهِم.. وتمشّت بينَ شرايينهم ودمائِهِم.

فلن يسمَحُوا لأحدٍ بالاقترابِ منها أو الحديث مَعَها، فأيّ سعادةٍ وراحةٍ وحريةٍ أكثر من هَذِهِ؟!

وتذكَّري يا ابنتي الحبيبة.. أنَّ من تركَت الحجابَ فَقَد عصَت ربَّ الأرباب، وتنازلت عَن الشَّرفِ والعَفَافِ، وعرَّضَت نَفْسَها لأشرارِ الذِّئاب - ظانَّةً - أنَّها أجمل امرأة في أعينِهِم، وما علمَت أنها كَالحلوى المكشوفة لا يَأخُذُها إلاَّ الحشرات والهوام! أمَّا الإنسانُ العزيزُ النَّظيفُ لا يَرْضَىٰ بأن يَأخُذَ هذهِ الحلوى لأنهُ يعلمُ أنها لم تَبْقَ مكشوفةً إلاَّ لِقَذَارَتها وفَسَادِها ومُرور الدَّواب عليها..!

فالمرأةُ كتلكَ الحلوى.. إنْ بَقيت مَحَجَّبةً مصونَةً رَغِبَها كلُّ مَن رآها، وإنْ كانَت مُتَبَرِّجةً متفسخةً عافَها الكلُّ ولم يأتِها إلاَّ حشراتُ البشرِ ليأخذوا مِنْها

أنظفَ ما فيها وأعزَّ ما تحملُـهُ ثـمَّ يتركونها ملقاةً علىٰ الأرض تَدُوسُها الأقدامُ.. ويتأفف منها الكرامُ! فَهَل تَرْضَين هذا لنفسكِ يا ابنَتي الحبيبة؟

هَل ترضينَ المذلَّةَ والسُّقُوطَ؟ أم الرِّفعَةَ والعزَّةَ والكرامةَ؟

أمامك طريقَان فاختاري أحداهما.. فإمَّا نجاةٌ وعزَّةٌ وكرامةٌ.. وإمَّا مذلَّةٌ وعَذَابٌ وهوانٌ في الدُّنيا والآخرة!

ابنتي الحبيبة..

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَينَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩]. فتأملي معي كيفَ بدأ اللهُ بزوجاتِ وبناتِ محمَّد ﷺ.. بَدأ بالعفيفاتِ الطاهراتِ، الصَّالحات الزَّاهدات.. أمرهنَّ بالحجابِ والجلبابِ، ونَهاهُنَّ عَن التكَشُّفِ والتَّبرج وهنَّ أمهات المؤمنين وسيدات نساءِ الجنَّةِ، ومَن أُمِرْنَ بالتَّحَجُّبِ والتَّستُّر عنهم هم صَحَابَةُ رسولِ اللهِ ﷺ ورَضِيَ اللهُ عنهم أجمعينَ.. أصحاب القُلُوبِ الطَّاهرةِ والنُّفُوس العَفيفَة..!

فما بالكِ يا ابنتي برجالِ ونساءِ زَمانِنَا؟!

ما بالكِ بمَن يقضونَ ساعاتٍ طوال أمام قنواتِ الفسادِ والدَّمارِ وتشبَّعت قلوبُهُم بحبِّ الشَّهواتِ والمنكراتِ، وطارت عقولُهم شوقاً إلىٰ لقاءِ حبيبةٍ، أو رؤيةِ جميلةٍ، أو سماع صوتِ خَليلةٍ!

فوالذي نفسي بيدِهِ إنَّ الأمرَ بالحجابِ ليشتدّ ويغلظ في زمانِنَا هذا، وإنَّ مسئوليتك أمامَ اللهِ عظيمة لأنَّك موضع فِتْنَةٍ. وهي أعظمُ فتنةٍ علىٰ أمَّة محمَّدٍ ﷺ. قالَ عليه الصَّلاة والسلام: «مَا تَركْتُ بَعْدِي فِتْنَةً، هِيَ أَضَرُّ، عَلَىٰ الرِّجَالِ، مِنَ

النّسَاء». [حديثٌ صحيح متفق علىٰ صحَّتهِ] وقلوبُ الرِّجالِ في هذا الزَّمان يا ابنتي مريضة ـ إلاَّ مَن رَحِمَ رَبِّي، وقليلٌ مَا هم ـ وأَعْيُنُهُم تصولُ وتجولُ في مجتمعاتِ النِّساءِ، ونفوسُهُم تَتُوق إلىٰ الشَّرِّ والفَسَادِ.. ثم تأتي الفتاةُ المتبرِّجةُ السَّافرةُ عَن مَحَاسِنِها لِتُأجِّجَ نارَ الفِتْنَةِ في صُدُورِهِم وتُساعدُهُم علىٰ الاقتراب منها، والوقوع مَعَها في مستنقعاتِ الفسادِ والعارِ والرَّذيلة، وفي النِّهاية يخرجُ ذلكَ الشَّابُّ مِن مستنقعهِ لِيَغْسِلَ مَا بِهِ مِن قاذوراتٍ ونجاساتٍ بماءِ التَّوبة ويعيشُ حياتَهُ مِن جديد ـ هذا إنْ كانَ له قلبٌ حيٌّ يخشىٰ عذابَ اللهِ ـ أمَّا أنتِ أيَّتُها المسكينةُ فستبقينَ عاراً علىٰ نَفْسكِ وأهلِكِ، ولَن يَغْفِرَ لكِ المجتمعُ زَلَّتَكِ، أو يَتَجاوزَ عَن جريمتكِ.. حتَّىٰ لو غسلتِ قلبكِ بماءِ التَّوبة والرُّجُوع إلىٰ الله..

فَمَن سيغسلُ جسَدَكِ ممَّا أصابَهُ مِن خَرابٍ ودَمَارٍ؟!

أظُنُّكِ قَد فَهِمْتِ مَا أرمي إليهِ فَأنتبهي قبلَ فواتِ الأوانِ، وقبلَ أنْ تَقَعي فتندَمِي.. ولن يَنْفَع ساعتها ندمٌ ولا بكاءٌ، ولا حزنٌ ولا دموعٌ..!

وإنَّ العاقلَ الَّذي يتأمَّل ما وصَلَ إليهِ حَالُ النِّساءِ اليوم لَيَحْتَرِقُ أسىٰ، ويذوبُ حياءً، ويكتوي لوعةً، ويلتهبُ حرقةً!.. حُقَّ للقلوبِ المؤمنةِ أنْ تَتَقَطَّع ألماً، وحانَ للأعينِ الصادقَةِ أن تبكي دماً، فكيفَ يهنأ المؤمنُ زاداً، وكيفَ يسيغُ شراباً، ويبشّ هانئاً، وينام قريراً، وهو يرى ما يمضّ الأجسام.. ويمزِّق الأفئدة، ويبدِّد القلبَ..!

لقد حقَّقَ هؤلاء النساءُ أمنيةَ (أوسكار ليفي) اليهودي عندمَا قال: «نَحْنُ اليهودُ لَسْنَا إلاَّ سَادَةَ العَالم ومفسديهِ.. ومحرِّكِي الفتنِ وجلاَّديهِ..».

إنَّ لليهودِ باعاً كبيراً في مجال تحطيم الأمم عَن طريقِ المرأةِ.. ولقد لَقِيَت المرأةُ

المسلمةُ مِنَ التَّشريع الإسلامي عنايةً فائقةً كفيلةً بأنْ تَصُونَ عِفَّتَها وتجعلَها عزيزةَ الجانبِ، ساميةَ المكانِ، وإنَّ الشروطَ الَّتي فَرَضَ الشارعُ عليها في زينَتِها ومَلْبَسِها لم تكن إلاَّ لِسَدِّ ذريعَةِ الفسادِ، وهذا ليسَ تقييداً لحرِّيتِها بَل حمايةً لها أنْ تَسْقُطَ في دَرَكِ المهانةِ وَوَحْلِ الابتذَال، وقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ حييٌّ ستِّيرٌ يحبُّ الحياءَ والسِّترَ»[1] ا. هـ

فالحربُ ضِدَّكِ أختي الحبيبة تَدُورُ، وأنتِ الهدفُ والغايةُ.. إنَّ أعداءنا من الغربِ يَعْقِدُونَ جلساتٍ مطوّلة يُصَمِّمُونَ فيها لكِ موديلاً جذَّاباً.. يأخذُ العقولَ ويجذبُ القلوبَ إليكِ ويذهبُ بالأبصارِ.. أتعلمينَ لم هَذا الموديل..؟

إنَّه لعباءتك التي فُرِضَت عَلَيكِ لتستركِ وتَصْرِف الأعينَ عَنْكِ لتعيشي عفيفةً هانئةً نظيفةً..!

استدرجوكِ في خَلع حجابَكِ مِن علىٰ رأسِك لينتصرُوا عليكِ ويخرجوكِ من بيتك مُتَبَرِّجَةً سافرةً، قد خلعتِ الحياءَ قبل أنْ تخلعي الجلبابَ.. ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ! ويذكرُ أحدُ العُلماء ـ حفظهُ اللهُ ـ كيفَ حَدَثَ هذا التَّدرج بخلع الحجاب في شريطه (قصة عباءة) يقول: فبدأوا بخطوةِ العباءةِ الخفيفةِ الشَّفافةِ واستمروا عليها فترةً ليست بالقصيرة.. ثمَّ انتقلوا إلىٰ خطوةٍ أُخرى وهي العباءة القَصيرة.. حتَّىٰ إذا مرَّ عليها زمنٌ ـ وتحرَّكت القلوبُ المؤمنةُ ـ لتظهر العباءة الطويلة.. انزعَجُوا منها فقالوا: لا ضَيرَ.. اجعلوها طويلةً ولكن فيها قيطان بأطرافِ العباءة فقط.. ووقفوا قليلاً عند هذه الخطوةِ!

لم يجدوا من يُعَارِض، الكثيرات معجباتٌ، والإقبالُ يتزايدُ! إذاً فَلْتَخْرُج موضة العباءة علىٰ الكَتِفِ فهي أيسرُ للمرأة.. والدِّين يُسْرٌ!

---

١ ـ [من رسالة (الجمال) لعائشة القرني].

وبعدها فُتِحَ البابُ علىٰ مصراعيهِ، وانهدرَ سيلٌ من البلاءِ، تارةً بتشكيلاتٍ من القيطانِ ذاتِ اليمين وذاتِ الشِّمال، وتارةً بالكِلَفِ العريضةِ ذاتِ الفُصُوص اللاَّمعة، ثم الدَّانتيل الجميل لتكونَ اليدُ أجمل، ثمَّ المخرَّمة والمطرَّزة من الخلفِ والأمام، ثمَّ أخيراً أبواناً مختلفة منَ التَّطريز.

وأضافوا ألواناً مختلفة كالأصفرِ والأحمرِ والأخضرِ والبرتقالي، ومنهم من صَمَّم عباءةً للعروسِ وعباءةً للجامعةِ، وعباءةً للمدرسةِ، وعباءةً للسَّهرة، وعباءةً للطبيبة.. فإنا للهِ وإنا إليه راجعونَ!

وإنَّ مما يزيدُ الطينَ بلاً.. ويحرقُ القلبَ ويدمعَ العينَ أنَّ مَن صَمَّمت هذه الموديلات ولهذه الأغراض هي امرأةٌ مسلمةٌ..!

نسألُ اللهَ أن يهديها ويَرُدَّها إليه ردّاً جميلاً.. لقد تَخلَّت عَن دينِها وأخلاقِها وجمالِها، ونَسِيَت أو تَنَاسَت أنَّ خمارَ المرأة يجملها ويزيدها وقاراً وبهاءً.. حتَّىٰ إذا دخلت الجنَّةَ ـ نسألُ اللهَ أنْ نكونَ مِن أهلِها ـ فإنَّها تَتَبعَّلُ وتَتَجمَّلُ لزوجِها بهذا الخمار!

وفي الحديث الصحيح: «ولَنَصيفُها (خمارها) علىٰ رأسِها خيرٌ مِنَ الدُّنيا ومَا فيها». ولَو أخرجَت الحوريةُ نصيفَها لكانت الشَّمسُ عند حُسنِهِ مِثْل الفتيلةِ في الشَّمس لا ضَوءَ لها.. فإذا كانَ هذا الجمال في الخمارِ فكيفَ بجمالِ مَن تلبسُ الخمارَ؟ وسبحانَ الله الذي أتقنَ كلَّ شيء!..

زَعَمُوا السّفُورَ والاختِلاطَ وَسِيلَةً ... للمَجْدِ قَومٌ في المجانَةِ أُغرِقُوا
كَذَبُوا مَتَىٰ كانَ التَّعَرُّضُ للخَنَا ... شيئاً تعزُّ بهِ الشُّعُوبُ وَتَسْبِقُ

اللَّهمَّ احفظنا والمسلمات مِنَ التَّبرج وَالسُّفور وثَبِّتنا أمامَ تَيَّاراتِ الغَرْبِ الحاقِدَةِ.

كلمة الرئيس بوش في إفساد المسلمات

قال عليه لعائنُ اللهِ: «سنحلقُ لحىٰ الرِّجال.. وننزعُ حجابَ النِّساء.. ونُدخلُ أفلامَ الجنسِ إلىٰ غرفِ نَومِهم..».

❁ ألقىٰ الرئيسُ الأمريكيُّ «جورج دبليو بُوش» خطاباً أمام الكونجرس عن [حال الاتحاد اليهودي المسيحي] بتاريخ ٢٠٠٢/١/٢٩ وقد تضمن تفصيلات خطيرة عَن الخطط المستقبلية للسِّياسةِ الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي.. والعجيب أنَّ إعلامنا العربي تجاهَلَهُ ولم يَتَطَرَّق لمضامينهِ.

وبين يدي ترجمة لهذا الخطاب نشرتها صحيفةُ الخليج أنقُلُ لكم مقتطفات منها. يقولُ الرئيسُ الأمريكي:

[السَّيد الرئيس أعضاء الكونجرس، المواطنون الأمريكيون: أودُّ بكلِّ اعتزاز أنْ أقولَ لكم إنَّ حال الاتحاد المسيحي اليهودي الأبيض والثَّري قوية تماماً ولم يحدث أبداً في تاريخنا أنْ كانت القوةُ الأمريكية والهيمنة الأمريكيةُ والقوى الأمريكية قوية ومهابة ومحترمة ومقبولة في العالم كما هي اليوم.

فاليوم يوجد العلمُ الأمريكي والقواتُ المسلحةُ الأمريكيةُ ووكالة الإستخبارات المركزية «سي إي إيه» ومكتب التحقيقات الفيدرالي في أكثر من (١٠٠) دولة لضمان السَّلام والإذعان والتَّحرر مِنَ الخوف والإرهاب.. وينبغي أن يكون الأمريكيون فخورين بي وبحكومتهم وبرجالِ القواتِ المسلحة ونسائها الذين يضحون بمباهج الحياة من أجل ضمانِ استمرار أسلوب حياتنا الأمريكية..

إنَّني فخورٌ أنْ أبلِّغكم أنَّ طالبان قد انتحرَت وأنَّ كابول تحرَّرت وأنَّ أسامة بن لادن والملاّ محمَّد عمر، إمَّا أن يكونا قد قُتِلا أو أنَّهما يحتَضِرَان أو يختفيانِ ولكن ليس لوقتٍ طويل إذْ أنني مُصَمِّمٌ علىٰ تقديمِهمَا للعدالةِ حَيَّين أو مَيِّتين!

وأريدُ أن أبلغكم أنَّ النِّساءَ الأفغانيات تخلَّين عن براقعهن إلىٰ الأبدِ وأنَّ الفتيات الأفغانيات رَجَعْنَ إلىٰ المدارس ليطالعن «كيفَ ظفرنا بالغربِ الأمريكي» وأنَّ رمز الحضارةِ الغربية الثَّقافي الأكثر أهمِّية وهو «التلفزيونَ» عادَ للحياةِ الأفغانيةِ والأفغان سُعَداء الآن وأحرار في التَّنقل في بلادهم لزراعَةِ الأفيون !!

وعلىٰ الرَّغم مِن أنَّ الحرب في أفغانستان توشكُ علىٰ نهايتها فإنَّ أمامنا طريقاً طويلاً ينبغي أن نسيرَهُ في العديد مِنَ الدُّول العربيةِ والإسلاميةِ ولن نَتَوَقَّف حتَّىٰ يصبحَ كلّ عربيّ ومسلم مجرداً من السِّلاح وحليق الوجهِ وغير مُتَدَيِّن ومسالماً ومحبّاً لأمريكا ولا يُغطِّي وجه امرأته نقابٌ !!

إنَّني مُصمِّمٌ علىٰ استخدام جميع مواردنا لتحقيقِ ذلك قبلَ انتخابي لفترة رئاسيَّةٍ ثانيةٍ.. وقد اهتمَّت إدارتي بوضع سياسةِ طاقة قوميَّة تحتَ إشراف نائب الرئيس «تشيني» وسنبدأ علىٰ الفورِ بالحفر في أرجاءِ أراضينا للتنقيبِ عن النِّفط وسنبدأ العملَ في مشروع طموح لبناءِ خط أنابيب مباشر تحت الماءِ من السُّعودية والخليج وإيران والعِراق إلىٰ نيويورك وعلىٰ نفقتِهِم! لضمانِ إمدادات نفطية غير منقطعة.

لقد حانَ الوقتُ لنعيدَ تشكيلَ العالم ليصبحَ علىٰ صُورتنا! وبفضلِ إلهنا سنقوم نحنُ شعوب العالم من الجنسِ الأبيض المتحضِّر بفرضِ معتقداتنا الرزينة والودودة والتَّحررية علىٰ عالم جائع لأموالنا ورسالتنا..!! ولن يخضع الرِّجال

بعد الآن لشرطِ إطلاق اللِّحىٰ ولن تخضع النساءُ لشرطِ تغطيةِ وجوهِهِنَّ وأجسادِهِنَّ!!

ومن الآن فصاعداً يحقُّ للعالم تَناول الخمر والتَّدخين وممارسة الجنس السَّويّ أو الشّذوذ الجنسي بما في ذلك سفاح القُربىٰ واللواط والخيانة الزَّوجية !! والسَّلب والقتل ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرفِ نومهم !!

أمَّا بالنِّسبة لشركاتنا التي تنتجُ مثل هذه المنتجاتِ فسيحقّ لها الوصول مِن دون أي عقباتٍ للدُّول المتخَلِّفةِ الَّتي منعت تلكَ الحريات عن شُعُوبها !!

إنَّني آملُ أنْ أكونَ قَد حافظتُ علىٰ إرث «آل بوش» حيَّاً بمحاربةِ العرب والمسلمينَ طيلةَ عشر سنوات لضمانِ استمرار الفوضىٰ في بلادهم !! ولن يجبرنا مَلِكٌ أو أميرٌ عربيٌّ نفطي علىٰ تحسين كفاية وقود سياراتنا المتطورة وهذا لَن يحدث وأنا رئيسٌ للولايات المتَّحدة، وعلىٰ العكس سيضطرون لزيادة الإنتاج وتخفيض الأسعار].

لمراجعة النَّص الأصلي للخطاب بالإنكليزية علىٰ الرابط التالي:

http: /WWW.mediamonitors.net/Khodr60.html

❖ ❖ ❖

مؤتمر بكين

الحمدُ لله والصَّلاة والسلام علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

يا نسلَ خير من وطئ الثَّرى !!

إنَّ محترفو الغش الثَّقافي وأدعياء الاستنارة عُرفوا بأهم نِحْلَةٍ فيهم، وهي:

الجرأة علىٰ الحقائِقِ وقَلْبِها..

الجرأة علىٰ المعاني وتحريفها..

الجرأة علىٰ اللهِ والكفر به..

وَاسمعي أُخيَّتي لهذيَانِهِم، فهم يقولون:

إنَّ الاضطهاد الطَّبقي متوافق مع اضطهادِ الجنس المذكر للمؤنث. إنَّ البغاء لا يَنْفَصِلُ عن الزَّواج الذي هو تكملتهُ الضروريةُ. فينبغي أن يكون للرجلِ زوجةٌ في البيت، وعشيقَة خارجه.. في الوظيفة في الحيِّ في أي مكانٍ آخر..!!!

إنَّ قهر المرأةِ مسألة سياسيةٌ فلا بدَّ أن تُناضِلَ المرأةُ مِن أجل استردادِ حقوقها السِّياسية. حيث تضافر باتفاق وثيقٍ رجال الحكم مَع رجالِ المؤسسات الدِّينية لدعم الظلم والتَّخلف.

أثر التكنولوجيا على المرأة العربية

ورقات مقدمة لمركز البحوث العلمية والتطبيقية، بقطر

مؤتمر بكين ومؤتمر السكَّان الَّذين تبنتهما أمريكا من خلالِ قفَّاز الأمم المتَّحدة. أنَّ الجنس كُلّه مقبول اجتماعياً حتىٰ نكاح المحارم والبهائم، وأنَّ الدَّساتير الواردة

في المؤتمرين لتكاد تبيحُ صراحةً ذلك، وأنَّ حَجَرَ الزَّاوية الذي ينبغي أن يطحنَ هو القيمُ والمعتقداتُ والعاداتُ. فما الهدفُ المستتر خلفَ هذه الدَّعاوى؟

إنَّـهُ دونَ ريـبٍ ولا لبـس، السَّـيطرة علىٰ الشُّـعوب، فالاسـتباحة الجنسـية وتفكيك الشَّباب وتنصيب النِّساء في مراكز اتِّخاذِ القرار، التي لا ينبغي لمثلها وإن منحت لها أن تَتَصَدَّى لها فضلاً عن المزاحمةِ والمقاتلة عليها.

إنهم يخلطونَ بين الرَّغبة في تَصَدُّر العمل السِّياسي وبين فرصِ العمل للمرأة.. ولندع الأرقام لتَتَحَدَّث..

١- في السعودية ٢٠٪ من وظيفة أستاذ جامعي. و ١٠٠٪ من وظائف المرحلة مرحلة التعليم العام للبنات، و١٠٠٪ مـن التعليـم في ريـاض الأطفـال ذكـور وإناث. وبنفس مميزات العمل للرَّجل.

٢- في القـاهرة ٤٨٪ مـن مجمـوع وظـائف الدولـة هـي للنِّسـاء وبنفـس مميزات العمل للرجل.

٣- في المغرب والسودان وباكستان ٤٥٪ من مجموع الوظائف هي للنِّساء.

في حين أنها:

٤- في الصين ٤٦٪ مجموع الوظائف تدار من النساء.

٥- في كندا وأمريكا من ٤٦ ـ ٦٥٪.

٦- في بريطانيا ٣٥٪ من مجموع الوظائف هي للنساء.

فما ينقمون علينا هؤلاء الغرب وما نسبة الفارق بيننا وبينَهُم؟

ولنأتي إلىٰ أهمِّ سؤال وهو ما النَّتيجة من دفع المرأة للعمـلِ في المناصب السِّياسـية، من ناحيةٍ وإشراكها في كلِّ مجالات العمل مساواةً مع الرَّجل من ناحية أخرى؟

لقد ثبتَ أنَّ المرأة الحاكمةَ لم تفعل شيئاً للمرأة المحكومـةِ، ليس فقط في بلاد العالم الثَّالث بل في بلادِ العالم كلِّهِ.

ففي بريطانيا صَدَرَت القوانينُ الأكثر ظلماً للأمهات والأرامل والمطلقات في عهد «مارجريت تاتشر» وإلىٰ الآن لا يسمح الدُّستور الأمريكي بتنصيب المرأة رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ الرَّغم من حرصِ أمريكا وسعيها المحموم لتدويل اتفاقية القَضَاء علىٰ جميع أشكال التَّميز بينَ الرَّجُل والمرأة في كلِّ دول العالم إمَّا سلماً أو قسراً.

وهذه الدلائل وغيرها تُقَوِّض دعوى التنظير الخبيث لمفهوم مصطلح (تمكين المرأة Empowerment) الذي ورد في صكوك (عصابة الأمم) وأنه ضرورة من ضرورات تقدم المجتمع، أو أنَّ التَّقدم الاجتماعي ليس ممكناً دون تمكين المرأة في السِّياسة، أو أي من صورهم المتطرفة الأخرى.

في الاتحادِ الشُّيوعي، عندما سوَّدوا المرأةَ بلغَ الفقرُ ذروتَهُ حتَّىٰ تجدَ المرأةَ ذات الحسبِ والنَّسب، وهي تَتَسَوَّل، أوتبحث عن اللقمةِ في صناديق القمامَةِ.

نعم!! لقد انهارت الشُّيوعيةُ فخرج العفنُ مِن بطنها ليراه كلُّ مَن كانَ مفتوناً بالزَّرع والضَّرع منها.

أمَّا في الغربِ فما هي التَّنمية السكانيةُ التي جاءت بها المرأةُ الَّتي تَقَلَّدَت الرئاسةُ؟

فمن الارتفاع المتنامي للبطالة إلىٰ الركودِ الاقتصادي إلىٰ الانحطاط الخُلُقِي في شتَّىٰ الميادين، حتىٰ لتجد أن هناك محطات وقنوات فضائية تلفزيونية مُتَخَصِّصة للدَّعارة (Pronography) اِزدادت قوةً ونفوذاً في عهدهن غير الميمونِ.

إلىٰ الحملات الرَّسمية التي تَبنَّاها رؤساء الدُّول. ومنها الحملة التي قادتها «تاتشر، وجون ميجور، وريجان» لترشيد استخدام العازل الطبية عند ممارسة الزِّنا. إلىٰ استخدام «كلينتون» لورقة الشواذ في الانتخابات الرَّسمية، وتصريح زوجته «هيلاري» عن الفاعلية الجنسية للشَّباب. إلىٰ آخر ما هنالك من فضائح للغرب يعجز المرءُ عن ذكرها أضحت مشهورةً بين الغربِ والشَّرق..

يا هؤلاء النِّسوة، لكم قصَّةٌ مَع اللهِ أتعرفونها..

إنَّ أهمَّ فصولها لقاؤكنَّ بينَ يديهِ فما قولكنَّ حينئذٍ له؟

إنَّ المجرمينَ في حقِّ إسلامِنا سيدفعون الثمنَ غالياً مهما طالَ الزَّمن..

أهذا ما ترغبونَ فيه يا نساءَ المسلمينَ ويا بنيّات الإسلام من مصارَعَةِ الرَّجُل في الحقوقِ السِّياسية؟

يا زهرةَ الدُّنيا ماذا دَهاكِ !!

ففي إسلامنا، لا وجود لمن تُهان، ولا لمن بِيعَت من أجل لُقَيمَات.

ولا لمن عَرَضَت جسَدَها علىٰ الطُّرُقات، واللهُ المستعان..

آه! لو لَم أعِش مآسِي قَومِي ... لم أصَدِّق مَا قَد تَرى عَينَان

كيفَ احتَوَى الأمة الكريمة وَهْنٌ ... واعتراها مَا ليسَ في الحسبَانِ

اللَّهمَّ هازم الأحزابِ وكافي كلّ مرتاب، اللَّهمَّ اخذُل مَن خَذَلَ الدِّين وانصُر مَن نَصرَ الدِّين، وأبرم لأمَّةِ حبيبك أمرَ رشدٍ يُعَزُّ فيها أهلُ طاعَتِكَ، ويُذَلُّ فيها أهلُ معصيتِكَ ويُؤمرُ فيها بالمعروفِ ويُنهىٰ فيها عَن المنكرِ يا ربَّ العالمين.. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بكَ.. واللهُ مِن وراءِ القَصْدِ.

يا أخت فاطمة..!

عبد الرحمن العشماوي:

هذه القصيدة قالها الشَّاعرُ عبدُ الرَّحمن العشماوي بمناسبَةِ انعقادِ مُؤتمر بكِّين عَن المرأة عام (١٤١٧هـ):

شُـدِّي وثَـاقَ الطُّـهْر لا تَتَغرَّبِـي ... عَن عَـالم الدِّينِ الحنِيـفِ الأَرْحَـبِ

شُـدِّي وثَـاقَ الطُّـهرِ سِيرِي حُـرَّةً ... لا تُخْدَعِـي بحديـثِ كُـلِّ مُخَـرِّبِ

لكِ مِن رحَابِ المجـدِ أخْصَبُ بقعةٍ ... ولغَـيرِكِ الأرضُ الَّـتي لم تخصُـبِ

لكِ مِن عُيونِ الحقِّ أصفَـىٰ مَشْرَب ... ولعَاشِـقَاتِ الوهْـمِ أسْـوأُ مَشْـرَبِ

هـزِّي إليـكِ بجـذعِ نَخْلَتِنَـا الَّـتي ... تُعطِـي عطـاءَ الخَـيرِ دُون تـهيّبِ

وَقِفِـي علـىٰ نَـهْرِ المـروءةِ إنَّـه ... يَـرْوي العطَـاشَ بمائِـهِ المسـتعذَبِ

وإذا رأيـتِ الهابطَـاتِ فَحوقِلِـي ... وقِفِي عَلىٰ قِمَمِ الهُـدَى وتَحَجَّبِي

إنَّ الحجابَ هـو التَّحررُ مِن هَوى ... جــلادةٍ ذات الهَـوَى المتَذَبْـذِبِ

وهُـوَ الطريـقُ إلىٰ صفـاءِ سـريرةٍ ... وعُلُـوِّ مَنْزِلَـةٍ ورفعَـةِ مَنْصِـبِ

هَذي فتاةُ الغربِ مَـاتَ ضَميرُهـا ... وتَعَلَّقَـت بِوَميـضِ بَـرْقٍ خُلَّـبِ

هِـيَ لَـو عَلِمَـت ضحيـةٌ لِعِصَابَـةٍ ... ذَهَبَـت لِجَلْـبِ المـالِ أسوأَ مَذْهَـبِ

هـي صـورةٌ لِمَجَلَّـةٍ.. هِـي لعبـةٌ ... لَعِبَـت بِـها كـفُّ العَصِـيِّ المُذْنِـبِ

هـي لوحـةٌ قَـد عُلِّقَـت في حـائطٍ ... هِـي سِـلعةٌ بِيعَـت لِكُـلِّ مُخَـرِّبِ

هـي شـهوةٌ وَقْتِيَّـةٌ لمسـافرٍ ... هِـي آلـة مَصْنُوعَـةٌ لِمُـهَرِّبِ

هـي رغبـةٌ في ليلـةٍ مأفُونَـةٍ ... تُرمَـىٰ وراءَ البـابِ بَعْـدَ تَحَبُّـبِ

هــي دُنْيَــا لمســابقاتِ جمَــالهنّ ... جُلِبَت ولو عَصَتِ الهوَى لم تُجلَبِ
يـا ربَّـةَ البيـتِ الكَريـم.. لواؤُهـا ... بالطُّـهْر مَرْفُـوعٌ عظيـم الموكـبِ
البيـتُ مملكـةُ الفتَـاةِ وحصنُـها ... تحميها مِن لـصِّ العفـافِ الأجنَبي
لا تركَنِـي لِقَـرَارِ مؤتَمَـرِ الهَـوَى ... فَسَـجيَّةُ الدَّاعـي سـجيّةُ ثَعْلَـبِ
لا تخدعنَّــك لفظــةٌ معســولةٌ ... مُزِجَـت مَعَانيـها بِسُـمِّ العَقْـربِ
شـتَّان بـينَ المـاءِ يُشـربُ صافيـاً ... والمـاءُ يُشْـرَبُ بـالقَذَى والطُّحلـبِ
شتَّان بـينَ الشَّـمسِ لمـا أشـرقَت ... والشَّـمسُ حـينَ تَلفَّعَـت بـالمغربِ
شــتَّانَ بــينَ مُسَــافرٍ مُــتزوِّدٍ ... ومســافرٍ يَقْتَـات عُـود العُـثرُبِ
لــو أنَّ مؤتمراتــهم نَظَــرت إلىٰ ... دَمْـع اليَتَـامىٰ في ملاجِـئ زغـربِ
ورأتِ سَــرَاييفُو تَئِــن نِسَــاؤُها ... مِـن ظُلْـم أتبـاع الهَـوَى المُتَقلّـبِ
لو أنْصَفَـت لَدَعَـت إلىٰ نبذِ الهوى ... عَن ساحةِ الرأيِ الحكيم الأَصْوَبِ
يـا ربَّـة البيـتِ الكريـم، لِبَابـهِ ... قِفْـلٌ مِـنَ التَّقْـوَى ومـيراثُ النبيِّ
لا تَتْرُكيـهِ وتَخْرُجِــي، فَلَرُبَّمَــا ... طَرَدتـكِ نَابِحَـةً كِـلابُ الحـوأبِ
قولي لِمَن أكَلَت بِثَدْييـها اسكُني ... في كَهْفِ رَغْبَتكِ الرَّخيصَةِ وَٱغرُبي
فَلَسَـوفَ تلقَـين النَّدامَـةَ عِنْدَمَـا ... يَسْـتَوقِفُ الإيجـازُ قَـولَ المطنـبِ
يـا ربَّـةَ البيـتِ الكَريـم قَصَـائدي ... مِـن غـيرِ يَنْبُـوع الهـدَى لم تشـرَبِ
أنـا لم أبَـالغ، مَـا كَتَبْـتُ قصيـدَةً ... إلاَّ وفيــها سِــرٌّ مَــا لم أكتُـبِ
أرسَلْتُ للشِّـعر العنـانَ فَلَـم يَـزَل ... في عَـالم الخَلْـق الرَّفيـع يَطـيرُ بِـي
هُوَ مَرْكَـبي في لجَّـةِ العَصْـر الَّـذي ... مــازالَ في الأمـوَاج يلطـم مَركَبِـي

هو صوتيَ الأعلىٰ وجِسْرُ مَشاعِري وهُـوَ المعَـبِّرُ عَـن فُـؤادِي المتعَـبِ
فإذا سَمِعْتِ نـداءَ شِعْري فَاْعلمي أنَّ الحقيقَـةَ عِنْـدِي لم تَتَغَيَّـبِ
يـا أخـتَ فَاطِمَـة.. وبِنْت خَدِيجَـة وَوَرِيثَـة الخُلُـقِ الكَرِيـم الطَّيـبِ
إنَّ العفَـافَ هُـو السَّـمَاءُ فحلِّقـي وبِطيـبِ أخـلاقِ الكِـرَام تَطَيَّبِـي
قُـولي لتجَّـار الهَـوَى لَـن تَربَحُـوا إلاَّ إذا نَطَقَـت حِجَـارَةُ أثْـربِ
أنـا ربَّـةُ البيـتِ الكريـم ولَـن أقْـوَ إلاَّ عَلـىٰ شَـرَفٍ عَزِيـزِ المطلَـبِ
قـولي لعصـرٍ تـاهَ في مدنيـةٍ عَمْيَـاء قَـد لَبِسْـتُ عَبَـاءة غيـهبِ
إنْ كـانَ قَـائِدُ كـلِّ ذاتِ جديلَـةٍ نزق الهَوَى، فَالأرض أتعَسُ كَوكَبِ!

(العُثرب): نبات موجود في المنطقة الجنوبية، وينبت في صحراء نجد في الربيع.

(الأُثرب): جبل معروف.

❖ ❖ ❖

ملكة أنا رغم أنوفكم

أقولُها وتقولُها غيري كثيراتٌ.. ملكةٌ أنا أتبختَرُ وأدوسُ بقدمَاي علىٰ أنفِ كُلِّ متبجّح ناعقٍ ينازعُني مملكَتي.. علىٰ أنفِ كُلِّ ساقطةٍ تافهةٍ تُنادي بحريّتي المزعومةِ لينتهي بها الحالُ إمامة في الصَّلاة للرِّجال تُنادي بحريّتي المظلومة.. كَذَبَت وكَذَبُوا، بل خَابوا وخَسِئُوا.. فأنا الملكةُ علىٰ عَرشي، وهبني اللهُ جَلَّ وعَلا مملكةً دعائِمُها الحبُّ والوئامُ، رعاياها مَن ينهلونَ عذبَ الإيمانِ والإسلام..

مملكةٌ تَمْنَحُني السَّعادةَ الحقيقيّةَ، وليست الزَّائفة، وطريقاً ممهَّدةً إلىٰ جنانِ ربِّي، فَأسارعُ بالخطواتِ بالأعمالِ الصَّالحات: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

مَلِكَةٌ أنا لِزَوْجِي، مُحِبَّة في بحر حبِّهِ بكلِّ جدارة، مُبْحِرَةٌ مجدافي الطَّهارة والعِفَّةُ.. اللقمةُ تأتي إلىٰ فَمِي يضعها لي بكسبِهِ وَعَمَلِ يَديه وَعَرَقِ جبينِه، فتكون لهُ صَدَقَةً كما قالَ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ: « وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِها وَجْهَ اللهِ، إلاَّ أُجِرْتَ بِها، حَتَّىٰ اللُّقْمَةُ تَجْعَلُها فِي فِيِّ امْرَأَتِك » [متفق عليه] فآكُلُها هنيئاً مريئاً أتقوّى بها علىٰ عبادةِ ربِّي لا أذلّ لِسِوَاه، ولا أذرفُ دُمُوعي إلاَّ مِن خَشيَتِهِ.

تَتَدَفَّقُ عليّ الأشعارُ وكلماتُ الحبِّ والحنانِ مِن زَوجي الحبيب الَّذي مَلَكَ قَلْبِي وعَقْلِي بعدَ حُبِّ رَبِّي وَنَبِيِّي فأفوزُ برضَاه.. وأيما فَوز !!

قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: « أَيُّمَا امرأةٍ مَاتَتْ وزَوْجُها عَنْها رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ » [رواه الترمذي] الله أكبر.. سعادةٌ تنتظرني عِشْتُها في دُنياي، وتَنْتَظِرُني بإذنِ رَبِّي ومنِّهِ وَفَضْلِهِ في الآخرةِ عَلىٰ رُؤُوس الخلائقِ، أُتوَّج أنا لأدخُلَ مِن أيِّ أبواب الجنةِ.

بَشَّرني نَبِيِّي عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فقالَ: «إذا صلَّتِ المَرأةُ خَمْسَها، وصَامَتْ شَهْرَها، وحَصَّنَتْ فَرْجَها، وأطاعَتْ زَوْجَها، قِيلَ لها: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أيِّ أبْوابِ الجَنَّةِ شِئْتِ». [صحيح، رواه ابن حبّان]. تَغبطني، بل تحسدني عليها كثيراتٌ، وكثيراتٌ محرومات، فللتَّعاسةِ والشَّقاءِ أسيراتٌ، يحاولنَ إخراجِي من مملَكتِي..

وهنا أقول لها خدعوكِ فقَالوا:

أنتِ بَدْرُ الدُّجَىٰ فَلا تحجبيهِ ... بِقِتَامٍ يَصُدُّ نُورَ البَهاءِ
اِكشِفِي وَجْهَكِ الجميلَ وَغنِّي ... إنما السَّعْدُ في لَيَالِ الغِنَاءِ
يَا دُعَاةَ التَّغريبِ إنَّا أُناسٌ ... قَد رَفعنَا جِبَاهَنَا للسَّمَاءِ
عِزُّنَا بالإلهِ وَالفَخْرِ فِينَا ... بالنَّبيِّ الكريمِ والأنبياءِ

فحافظي أُخيَّتي علىٰ مملكتك، ويكفيكِ فخراً أنْ تُفْتَحَ لكِ أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانية يوم تموتينَ وَزوجُكِ عَنْكِ رَاض، فبشراكِ يَومَ تُتَوَّجينَ ملكةً علىٰ سائرِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، فأنتِ ملكةٌ قَرَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رضاكِ بَعْدَ التَّوحيد.. قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..﴾ [الإسراء: ٢٣].

وندائي أيضاً لكل أب وزوج وأخ وولي، أن يساعِدَ هذهِ الملكةَ ويَقِفُ إلىٰ جَانِبِها ويؤازرها بما يمنحهُ لها من حبٍّ وحنانٍ وعونٍ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ..

❖ ❖ ❖

الحجاب في الإسلام

التَّعريف: الحجاب في اللُّغة: السَّتر، وهو مصدرٌ يُقَالُ حجـب الشّـيء يحجبهُ حجباً وحجاباً: أي ستره، وقد احتجب وتحجَّب إذا اكتنَّ مِن وراء حجابٍ.

والحجاب اسمُ ما احتجب بهِ، وكلّ مـا حـالَ بـين شـيئين فَـهُو حِجَـابٌ. والحجابُ كلُّ ما يَسْتُرُ المطلوبَ ويمنع من الوصولَ إليه كالسِّتر والبوّاب والجسم والعجز والمعصية.. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ..﴾ [فصلت: ٥].

معناه: ومن بيننا وبينك حاجزٌ في النِّحْلَةِ وَالدِّين. والأصل في الحجاب أنَّه جسمٌ حائلٌ بين جسدين. وقد استعمل في بعضِ المعاني، فقيل: (العجزُ) حجابٌ بين الإنسانِ ومُرَادِهِ، و(المعصيةُ) حجاب بين العبد وربِّه. ولا يخرجُ استعمالُ الفقهاءِ لهذا اللّفظ عن معناه اللّغويّ الذي هو السّتر والحيلولة.

❁ الخمار من الخمر: وأصله السّتر، ومنه قول النّبيّ ﷺ: «خَمّرُوا الإِنَاءَ» وكلّ ما يستر شيئاً فهو خماره. لكنّ الخمار صارَ في التَّعارف اسماً لما تغطّي به المرأة رأسها. ولا يخرج المعنىٰ الاصطلاحيّ للخِمَار في بعض الإطلاقات عن المعنىٰ اللُّغوي، ويعرّفه بعض الفقهاء بأنَّهُ ما يستر الرَّأس والصّدغين أو العنق. والفرقُ بينَ الحجاب والخمار أنَّ الحجابَ ساتر عامٌّ لجسم المرأة، أمَّا الخمارُ فهو في الجملةِ ما تَسْتُرُ بهِ المرأةُ رَأْسَهَا.

النِّقاب: أمَّا النِّقابُ فهو ما تَنْتَقِبُ بهِ المرأةُ، يقالُ انتقبت المرأةُ وتنقَّبت غطَّت وجهها بالنِّقاب. والفرقُ بين الحجاب والنِّقاب، أنَّ الحجابَ ساترٌ عامٌّ، أمَّا النِّقابُ فساترٌ لوجهِ المرأةِ فَقَط.

متى نزلت آية الحجاب ؟

اعلمي - وفقني اللهُ تعالىٰ وإياكِ - أنَّ الراجح واللهُ أعلم أنَّ نزول آيات الحجاب في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ..﴾ [الأحزاب: ٥٩] كان قبل نزول آياتِ سورة النُّورِ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ..﴾ [النور: ٣١] حيث ابتدأ تشريعه بسورة الأحزاب، وانتهىٰ بسورةِ النُّور، ولا خِلافَ في أنَّ سورةَ الأحزابِ نَزلَت عند غزوةِ الأحزاب، فإنْ كانَت غزوةُ الأحزاب قبل غزوةِ بني المصطلق، فمعناه أنَّ أحكام الحجابِ في الإسلام بدأت بالتعليماتِ التي ورَدَت في سورةِ الأحزاب وتَممت بالأحكام التي وردت في سورة النور.

(إشكال والجواب عنه)..

يقول ابن سعد: إنَّ غزوةَ بني المصطلق وَقَعَت في شعبان في سنةَ خمس، ووقعت بعدَها غزوةُ الأحزاب أو غزوةُ الخندقِ في ذي القعدةِ مِن السَّنة نفسِها. [الطبقات ٢/٦٣ - ٦٥].

وأكبر شهادة تؤيد ابن سعد في هذا البيان أنَّ الطرقَ المرويةَ عَن عائشة بشأن قصة الإفك قَد جاءَ في بعضها ذكر المجادلة بين سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ.

ويقول ابن إسحاق في الجانب الآخر: إنَّ غزوة الأحزابِ وقعت في شوال من سنة خمس، وغزوة بني المصطلق في شعبان من سنة ستٍّ. [سيرة ابن هشام ٣/١٦٥].

ويؤيد ابن إسحاق في هذا البيان ما ورد عَن عائشةَ وغيرها من الرِّوايات المعتمدِ بها وهي أكثر قوَّةً وكثرةً، وتَدُلُّ هذه الرِّوايات علىٰ أنَّ أحكام الحجاب كانت قد نزلت قبل قِصَّةِ الإفكِ، أي في سورة الأحزاب..

وتوضح الرِّواياتُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان قد تَزَوَّجَ بزينبَ بنت جَحْش ﵂ قبلَ ذلك في ذي القعدة مِن سنة خمس، وجاءَ ذكره في سورةِ الأحزاب، كما تفيد هذه الروايات أنَّ حمنة أخت زينب بنت جحش قد شاركت في رمي عائشة ﵂ لأنها ضَرَّة أختها، والظَّاهر أنَّه لا بدَّ مِن أن تمضي مدةٌ مِنَ الزَّمن ولو يسيرة على صِلَةِ الضرارة بين امرأتين حتَّى تنشأ في القلوبِ مثلُ هذه النِّزاعات، فهذه الأمور كلها مما يؤيد رواية ابن إسحاق ويقويها.

وما هناك شيء يمنعنا قبول رواية ابن إسحاق إلاَّ مجيء ذِكْر سعد بن معاذ في زمن الإفك، وكانَ سعد بن معاذ ـ كما تفيد جميعُ الروايات المعتمدِ بها ـ مِمَّن قُتِلَ في غزوة بني قريظة التي تَلَت غزوةَ الأحزابِ، فمن المستحيل أنْ يكونَ سعد بنُ معاذ حيّاً سنة ستّ.

إلاَّ أنَّ هذه المشكلة تزولُ بأن الروايات المروية عَن عائشة ﵂ جاءَ في بعضها ذكر سعد بن معاذ، وفي بعضها الآخر ذِكْر أسيد بن حضير مكان سَعد، والرواية الأخيرة تتفق تمام الاتفاق مع الحوادث المروية عن عائشةَ في شأنِ قصَّةِ الإفك، وإلاَّ فلو سَلَّمنا أنْ تكونَ غزوةُ بني المصطلقِ وقصَّة الإفكِ وقعَتا قبلَ غَزوة الأحزابِ وغزوة بني قريظة لمجرَّدِ أن نجعلهما تتفقان مع حياة سَعْد بن معاذ في زمن الإفك، لاستحالَ علينا أن نجدَ حلاً لمشكلة عظيمة أخرى: وهي أنَّه من اللازم إذن أن تكون آيةُ الحجاب ونكاح زينب قد وقعتا قبل غزوة بني المصطلق وقصَّة الإفك، مَع أنَّ القرآن والروايات الصَّحيحة تشهد بأنَّ نكاحَ زينب والآية التي فيها حكم الحجاب من الحوادث الواقعة بعد غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة، فبناءً على ذلك قطع ابن حزم في جوامع السِّيرة (ص ١٤٧) وابن القيم في

زاد المعاد (٣ / ٢٦٩) وغيرهما من العلماء المحقّقين بِصِحَّةِ رواية ابن إسحاق، ورَجَّحُوها علىٰ رواية ابنِ سعد، وما ذهبَ إليه هؤلاء الأعلام من أنَّ نزولَ آيات الحجابِ في سورة الأحزاب كان قبلَ قِصَّةِ الإفكِ وقبل آياتِ الحجاب في سورة النور، وهو الأظهر، والله أعلم.

روى البخاري عَن أنسٍ ﷺ قَالَ: أوْلَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ حِينَ بَنَىٰ بِزَيْنَبَ ابنة جَحْشٍ ـ فَأشْبَعَ النَّاسَ خُبْزاً وَلَحماً، ثُمَّ خَرَجَ إلَىٰ حُجَرِ أمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ فَيُسَلِّمُ عَلَيهِنَّ وَيَدْعُو لَهُنَّ، ويسلِّمن عليه وَيَدْعُونَ لَهُ. فَلَمَّا رَجَعَ إلَىٰ بَيتِهِ رَأى رَجُلَينِ جرَى بِهِمَا الحَدِيثُ، فَلَمَّا رآهُمَا رَجَعَ عَن بَيتِهِ، فَلَمَّا رَأى الرَّجُلانِ نَبِيَّ اللهِ ﷺ رَجعَ عَن بَيتِهِ وَثَبَا مُسْرِعَينِ، فَمَا أدْرِي أنَا أخْبَرْتُهُ بِخُرُوجِهِمَا أمْ أخْبِرَ، فَرَجَعَ حَتَّىٰ دَخَلَ البَيتَ، وَأرْخَىٰ السِّتْرَ بَينِي وَبَينَهُ، وَأنْزِلَتْ آيَةُ الحِجَابِ».

وفي صحيح البخاري، ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها أنَّ أزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِالليلِ إذَا تبرَّزْنَ إلَىٰ المَنَاصع ـ وَهُوَ صَعِيدٌ أفْيَحُ ـ فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: احْجُبْ نِسَاءكَ. فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُ. فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ لَيلَةً مِن اللَّيَالِي عِشَاءً، وَكَانَت امْرَأةً طَوِيلَةً، فَنَادَاها عُمَرُ: ألا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ. حِرْصاً عَلَىٰ أنْ يُنْزِلَ الحِجَابُ. فَأنْزَلَ اللهُ تعالىٰ آيَةَ الحِجَابِ.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ: فِي مَقَامِ إبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ. [رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والدارمي، وأحمد، وابن ماجه].

حكم الحجاب

اعلمي أختاه، أَنَّهُ يحرمُ علىٰ المَرْأةِ المسلمة أنْ تُظْهِرَ مِن جَسَدِها شيئاً إلاَّ جزءاً مِن وَجْهِها وكَفَّيها، فإنْ أظهرت شيئاً غير هذين فقد عَرَّضت نَفْسَها لسخطِ الله تعالىٰ في الدُّنيا والآخرة، وفي هذه المسألة أيضاً ـ الوجه والكفّين ـ خلافٌ بين الفقهاء.

روى مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤُوسُهُنّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَها، وَإِنَّ رِيحَها لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وكَذَا».

ومعنىٰ قوله: (كاسيات عاريات) أنهن يلبسن ملابس شفّافة تُظهر ما تحتها، أو قصيرة لا تستر العورات، فهي تبدو كاسيةً عاريةً.

ومعنىٰ (مائلات): يمشين متبخترات يتمايلن عجباً وخيلاء.

ومعنىٰ (مميلات): يلفتن أنظار الرّجال إليهنّ، أو هنّ ضالاّت مضلاّت، مائلات عن الحق، مميلات لمن ينظر إليهنّ.

ومعنىٰ قوله ﷺ: (رؤوسهن كأسنمة البخت) أي كأسنمة الإبل لما يفعلنه في شعورهن من اللف والتّدوير، ولبس الباروكة ونحوها فتبدو رؤوسهن مائلة كسنام الجمل.

والملابس الضيقة حكمها حكم الملابس الرقيقة، لأنها تفصِّل الجسم، وتدعو إلىٰ الفتنة. والنساء مأمورات بالمبالغة في ستر أجسامهن بالثياب الواسعة التي لا تَشِفُّ عمَّا تحتها ولا تَدْعُو إلىٰ الفِتْنَةِ والإغراء.

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنّ..﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ النساءَ في هاتين الآيتين أن يَحْتَجبنَ عَن الرِّجال بتغطيةِ رؤوسهن بالخمر ـ جمعُ خمار ـ وهي الطَّرحة التي تَتدَلَّىٰ مِنَ الرأس علىٰ العنق وفَتْحَةِ الصَّدر، وتُغَطِّي الخَدَّين والوجه إلاَّ العينين أو عين واحدة، وهذا هو أكملُ مَا تَحْتَشِمُ به المرأةُ.

❁ وقد اختلفَ الفُقَهاءُ حول النِّقاب فقال قومٌ بوجوبه مطلقاً.

وقال قومٌ: بوجوبهِ للشَّابة التي يُخْشَىٰ منها الفِتْنَة.

وقال قومٌ: إنَّه مُسْتَحَبٌّ وليس بواجب، وأتىٰ كلٌّ بدليل يُرَجِّحُ مَذْهَبَهُ.

والَّذي أدينُ اللهَ به أنَّ النقاب واجبٌ علىٰ المرأة التي يُخْشَىٰ منها الفِتْنَة بأنْ تكون شابَّة أو جميلة الوجه بدليل ما جاء في الآيتين السابقتين.

أمَّا كبيرةُ السِّنِّ فإنّه لا يكونُ في حقِّها واجباً، إلاَّ إن كانت ذات جمالٍ فاتنٍ.

والأصل في ذلك قوله تَعَالىٰ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيسَ عَلَيهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

و(القواعدُ من النساء): هنَّ اللاَّتي قعدت بهنّ السّنُّ ويأسن من نِكَاح الرِّجال لهنَّ، فهؤلاء ليس عليهنّ إثمٌ، أن يضعنَ خمرهنَّ ويجلسنَ مكشوفات

الرّأس والعنق، ونصف الذّراع والكعبين، إذْ لا مطمعَ للرِّجال فيهن.

واستعفافُهُنَّ خير لهنّ، فإنَّ المرأة العفيفة التَّقيّة مهما كَبُرَت سِنُّها تَتمَسَّك بأحكام دينها كلَّ التَّمَسُّك، وتأخُذ بالعَزْم ولا تأخُذ بالرُّخص إلاَّ عندَ الضَّرورة، نسأل اللهَ لنا ولهن الهداية والتوفيق. وإليك أختَاهُ أدلّة ذلكَ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ:

أولاً: أدلّةُ الحجاب مِنَ القُرآن:

(الدليل الأول): قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل للمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أبصَارِهِن وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُن وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُن إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنها وَلَيَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَىٰ جُيُوبِهِن وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُن..﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلاَ يَضرِبنَ بِأَرجُلِهِن لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِن وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعاً أَيّه المُؤمِنُونَ لَعَلكُم تُفلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قَالَت عائشة ﵂: «يَرحَمُ اللهُ نساءَ المهاجِراتِ الأُول، لَمَّا أنزلَ اللهُ: ﴿وَلَيَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَىٰ جُيُوبِهِن..﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاَخْتَمَرْنَ بِها». [رواه البخاري].

(الدليل الثاني): قوله تعالىٰ: ﴿وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاَّتي لا يَرجُونَ نِكَاحاً فَلَيسَ عَلَيهِن جُنَاحٌ أن يَضَعنَ ثِيَابَهُن غَيرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأن يَستَعفِفنَ خَيرٌ لهُن وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

(الدليل الثالث): قولهُ تعالىٰ: ﴿ياأيها النَّبِيُّ قُل لأزواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِسَاء المُؤمِنِينَ يُدنِينَ عَلَيهِن مِن جَلابِيبِهِن ذلِكَ أدنَىٰ أن يُعرفنَ فَلا يُؤذَينَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

(الدليل الرابع): قوله تعالىٰ: ﴿وقَرنَ فِي بُيُوتِكُن وَلا تَبرَّجن تَبَرُّجَ الجَاهِلِيةِ الأولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(الدليل الخامس): قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُن مَتَاعاً فَاسأَلُوهُن مِن وَرَاء حِجَابٍ ذلِكُم أطهَرُ لِقُلُوبِكُم وَقُلُوبِهِن﴾ [الأحزاب: ٥٣].

۞ ثانياً: أدلة الحجاب مِنَ السُّنَّةِ:

(الدليلُ الأول): في الصَّحيحين، أنَّ عُمَر بن الخطاب ﷺ قالَ: يَا رَسُولَ الله، احْجِب نِسَاءكَ. قَالَت عَائِشَةُ: فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الحِجَابِ.

وفيهمَا أيضاً: قَالَ عُمَر: يَا رسُولَ اللهِ، لَو أَمَرْتَ أمَّـهات المُؤْمنينَ بِالحِجَابِ. فَأنْزَلَ اللهُ آيةَ الحِجَابَ.

(الدَّليلُ الثَّاني): عَن ابنِ مَسْعُود ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المَرْأَةُ عَورةٌ» [الترمذي].

(الدليلُ الثَّالث): عَن ابنِ عُمَر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن جَرَّ ثَوبَهُ خُيَلاءَ لَم يَنْظِر اللهُ إليهِ يَومَ القِيَامَةِ» فَقَالَت أمُّ سَلَمَةَ رضي اللهُ عَنْها: فكَيفَ يَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذيولِهنَّ؟ قَالَ ﷺ: «يُرخينَ شِبْراً». فَقَالَت: إذنْ تنكَشِفُ أقْدَامهُنَّ. فقَالَ: «فَيُرخِينَهُ ذِراعاً لا يَزِدْنَ عَلَيهِ» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح].

أدلة سَتر الوجه من الكتاب والسنة:

(أولاً): قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَيَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَىٰ جُيُوبِهِن﴾ [النور: ٣١].

قال بعضُ العلماء: فإنَّ الخمارَ مَا تُخمِّر بهِ المرأةُ رَأسَها وتُغَطِّيـه بـهِ كالغدقَةِ، فإذا كانَت مأمورة بأنْ تَضْربَ بالخمار علىٰ جيبها كانَت مأمورة بِسَتْرِ وَجْهها.

(ثانياً): قوله تعالىٰ : ﴿يا أيها النبِيُّ قُل لأزواجِكَ وَبَنَاتِكَ..﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قَالَ ابنُ عبَّاس ﷺ: أمَرَ اللهُ نِسَاءَ المؤمنينَ إذا خَرَجْنَ مِن بيوتِهِنَّ في حاجةٍ أنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِن فَوق رُؤوسِهِنَّ بالجلابيب.

وتفسيرُ الصحابيّ حُجَّةٌ، بَل قالَ بَعْضُ العلماءِ: إنَّه في حكْم المَرْفُوع إلى النبيِّ ﷺ.

(ثالثاً): عَن ابن عمر ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لا تَنْتَقِبُ المرأةُ المُحْرِمَةُ وَلا تَلْبِس القفَّازين» [رواه البخاري].

قَالَ القَاضي أبو بكر بن العربي: قولُهُ في حديث ابنِ عُمَر: «لا تنتقب المرأةُ المُحْرِمَةُ» وذلِكَ لأنَّ سَتْرَها وَجْهَها بالبُرْقُع فَرْضٌ إلاَّ في الحجِّ، فإنَّها ترخِي شيئاً مِن خِمَارِها علىٰ وَجْهها غيرَ لاصق بِهِ، وتُعْرِض عَن الرِّجال ويُعْرِضُونَ عَنْها.

وهَذا مِمَّا يَدُلُّ علىٰ أنَّ النِّقَابَ والقفَّازين كانا مَعْروفين في النِّسَاء اللاَّتي لَم يُحْرِمنَ، وذَلِكَ يَقْتَضِي سَتْر وُجُوهِهِنَّ وأيديهن.

(رابعاً): في قولهِ ﷺ: «المَرأةُ عَوْرَةٌ» دليلٌ علىٰ مَشْرُوعِيَّة سَتْرِ الوَجْهِ. قَالَ الشيخُ حمُّود التّويجري: وهذا الحديثُ دالٌّ علىٰ أنَّ جميعَ أجزاءِ المرأةِ عَورَةٌ في حقِّ الرِّجالِ الأجانِبِ، وسَواءٌ في ذَلِكَ وَجهها وغيره مِن أعضائِها.

❖ ❖ ❖

شروط الحجاب الإسلامي

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقُل للمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أبصَارِهِن وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُن وَلا يُبدِينَ زِينَتَهُن إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنها وَليَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَىٰ جُيُوبِهِن وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُن..﴾ [النور] مِنْ هَـٰذِهِ الآيةِ الكريمةِ يتبيَّن أنَّهُ لا بدَّ من أنْ تَتَوفَّر في الحجاب شروطٌ حتَّىٰ يكونَ حجاباً.

الشرط الأوَّل: (استيعاب جميع البدن)

لقوله تَعَالىٰ: ﴿وقُل للمُؤمنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ وَلا يُبْدِينَ زينَتَهنَّ..﴾ الآية. وقد استثْنَىٰ بعضُ العلماءُ الوَجْهَ والكفَّين، ولكن مَا تفعله بعض النِّسوةِ مِن وضع «الإشارب» بحيثُ يَصِفُ مُوديل الشَّعر وَلا يُغطِّي الرَّقبةَ والعُنُق أوْ يظهر مِنْهُ الشَّعر مِن مُقَدِّمةِ الرأس، فإنَّ ذَلِكَ مِنَ المنكراتِ الَّتي يَجِبُ التَّنَبُّه لها.

وكذلكَ لبس «التَّنورة» إلىٰ الركبتين أوْ أكثر قليلاً لا يكون بِها البدنُ مستوراً لظهور السَّاقين وإنْ أدخلتهما «بالجراب» وسيأتي بيان ذَلِكَ إن شاء الله تَعَالَىٰ.

الشرط الثاني: (أن لا يكون زينة فِي نفسه)

لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وقَرْنَ فِي بيوتكنّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾.

والتبرّج: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها مَا يجب عليها ستره مما تستدعي بِهِ شهوة الرّجل. والمقصود من الأمر بالجلباب إنّما هُوَ ستر زينة المرأة فلا يعقل حينئذٍ أن يكون الجلباب نفسه زينة.

وَعَن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو ﷺ قال: قَالَ جَاءتْ أُميمَةُ بِنْتُ رُقيقَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُبَايِعُهُ عَلَىٰ الإِسْلام فقَالَ: «أُبَايِعُكِ عَلَىٰ أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيئًا، ولا تَسْرِقِي، ولا تَزْنِي، ولا تَقْتُلِي وَلَدَكِ، ولا تَأْتِي بِبُهتَانٍ تفتَرِينَهُ بَينَ يَدَيكِ وَرِجْلَيكِ، ولا تَنُوحِي، ولا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ». [رواه أحمد].

الشرط الثالث: (أن يكون صفيقاً لا يشفّ)

أنَّ السترَ لا يَتحقَّق إلاَّ بهِ، وأمَّا الشَّفَّافُ فإنَّه يَزيدُ المرأةَ فِتْنَةً وزينةً، وفي ذَلكَ يقولُ ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَركَبُونَ عَلَىٰ السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ المَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَىٰ رُؤوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ العِجَافِ العَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءهُمْ كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ». [رواه أحمد].

قَالَ ابنُ عَبْدِ البرِّ: أراد النِّساء اللَّواتي يَلْبسنَ مِنَ الثِّيابِ الشيءَ الخفيفَ الَّذي يَصِفُ وَلاَ يَسْتُر، فَهُنَّ كاسياتٌ بالاسم عارياتٌ فِي الحقيقةِ.

الشرط الرابع: (أن يكون فضفاضاً غير ضيّق فيصف شيئاً من جسمها)

لأنَّ الغرضَ مِنَ الثَّوبِ إنَّما هُوَ رَفْعُ الفِتْنَة ولا يَحْصُلُ ذَلكَ إلاَّ بالفَضْفَاضِ الواسِع، وأمَّا الضَّيِّق فإنَّهُ وإنْ سترَ لونَ البشرةِ فإنَّه يصفُ حجمَ جسمِها أوْ بعضَهُ، ويصوِّره فِي أعينِ الرِّجال، وفي ذَلكَ من الفَسَادِ والدَّعوة إليهِ مَا لا يَخْفَىٰ، فَوَجَبَ أنْ يكونَ واسعاً، وقَد قَالَ أسامةُ بنُ زيد ﷺ: كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاها دِحيَةُ الكَلْبِيُّ فَكَسَوْتُها امْرَأَتِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكَ لَمْ تَلْبس القُبْطِيَّةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَوْتُها امْرَأَتِي فَقَالَ

لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مُرْها فَلْتَجْعَلْ تَحْتَها غِلالَةً إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِها». [أحمد].

فَقَدْ أَمَرَ ﷺ بأن تجعَلَ المرأةُ تحتَ القبطيَّة غلالةً ـ هي شعارٌ يُلْبَس تَحْتَ الثَّوب ـ ليمنع بِها وَصْفَ بَدَنِها، فَلْيَتأمَّل فِي هَذَا مُسلماتُ هَذَا العَصْر اللاَّتي يَلْبِسْنَ مِن هذه الثِّيابِ الضَّيِّقَةِ الَّتي تصفُ أَعْضَاءهُنَّ، ثمَّ ليستغفرنَ اللهَ تَعَالَىٰ ولْيَتُبْنَ إليه، وليذكُرْنَ قَوْلَهُ ﷺ: «الحياءُ والإيمانُ قُرِنَا جميعاً، فإذا رُفِعَ أَحَدُهُما رُفِعَ الآخَرُ». [رواه الحاكم وصححه].

ثمَّ إنَّ كثيراً مِنَ الفتياتِ المؤمناتِ يُبالغن فِي ستر أعلَىٰ البَدَنِ ـ أي الرَّأس ـ فَيَسْتُرنَ الشَّعْرَ والنَّحْرَ ثمَّ لا يُبَالين بِمَا دونَ ذَلِكَ، فَيَلْبِسْنَ الألبسةَ الضّيقةَ والقصيرةَ التي لا تَتَجَاوزُ نصفَ السَّاق.. أَوْ يسترنَ النِّصفَ الآخرَ بالجواربِ اللَّحميّة التي تزيدُهُ جمالاً، فهذا لا يجُوزُ، ويجبُ عليهنّ أن يبادرنَ إلَىٰ إتمام السّتْر كَمَا أمرَ اللهُ تَعَالَىٰ.

الشرط الخامس: (أن لا يكون مبخَّراً مطيَّباً)

لأحاديثَ كثيرة تَنْهَىٰ النِّساءَ عن التَّطيُّب إِذَا خرجن من بيوتِهِنَّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَعْطَرَتِ المَرْأَةُ فَمَرَّتْ عَلَىٰ الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَها، فَهِيَ كَذا وكَذا» قالَ قَوْلاً شَدِيداً. [أبو داود] وفي رواية أحمد: «فهي زانِيَةٌ». ويقولُ ﷺ: «إذَا خَرَجَت إحداكُنَّ إلىٰ العِشاءِ فَلا تَمَسَّ طيباً». [أحمد]. قَالَ ابنُ دقيق العيد: وفيهِ حُرمَةُ التَّطيُّب عَلَىٰ مُرِيدَةِ الخُرُوج إِلَىٰ المسجِدِ لَمِا فيهِ مِن تحريكِ شَهْوةِ الرَّجُل.

فإذا كَانَ ذَلِكَ حراماً عَلَىٰ مُرِيدةِ المسجدِ فماذا يكونُ الحكمُ عَلَىٰ مريدَةِ

السُّوقِ والأزقَّة والشَّوارع؟ لا شكَّ أنَّه أشدُّ حُرمةً وأكبر إثماً، وقد ذكَرَ الهيتميُّ فِي «الزواجر» أنَّ خروجَ المرأةِ مِن بيتِها مُتَعطِّرةً متزيِّنةً مِنَ الكبائِر، ولو أذنَ لها زَوْجُها والعياذُ بالله تَعالىٰ.

الشرط السَّادس: (أنْ لا يُشْبِهَ لباسَ الرِّجال)

لما وردَ أيضاً مِنَ الأحاديث الصَّحيحَةِ فِي لَعْنِ المرأة التي تَتَشَبَّه بالرَّجُل فِي اللِّباسِ وغيره: فَعَن أبي هُريرةَ ﷺ قالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ». [أبو داود].

قَالَ الذَّهبيُّ: فإذا لبستِ المرأةُ زيَّ الرِّجال مِنَ المَقَالِبِ والفرج والأكْمَام الضيِّقةِ فَقَدْ شَابَهَتِ الرِّجال فِي لبسِهِم فَتَلْحَقُها لَعْنَةُ رَسُول اللهِ ﷺ ولزوجِها إذَا أمكَنَها مِن ذَلِكَ.

واليوم تَتَفَطَّرُ القلوبُ وَنَحْنُ نَرَى مسلمَات يَلْبسْنَ من «البنطلون، والقَميصِ الضَّيِّق، والبيجاما الرياضية..» وهنَّ يَحْسَبْنَ أنَّهنَّ من أصحابِ المُوضَةِ.. وهَذَا الفِعْل منهنَّ قَد اشتَمَلَ عَلَىٰ كلِّ هَذَا المنكَر لا سيَّما التَّشَبُّه بِزيِّ الكفَّار مِنَ الرِّجال «كالبنطلون» وغيره مما هُوَ أقبح!

الشرط السابع: (أنْ لا يشبه لباسَ الكافرات)

لما تقرَّر فِي الشَّرع أنَّه لا يجوز للمسلمين - رجالاً ونساءً - التَّشبُّه بالكفَّار سواء فِي عباداتِهِم أوْ أعيادِهِم أوْ أزيائِهِم الخاصَّة بهم. وقَد تظافرت نصوصُ الكتابِ والسُّنَّة فِي تأكيدِ وبيانِ هذهِ القاعدةِ العظيمةِ، وقَد قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُو مِنْهُم». [أبو داود].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: خرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ علَىٰ مَشْيَخَةٍ مِن الأنْصَارِ بِيضٌ لِحَاهُمْ فقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ حَمِّرُوا وَصَفِّرُوا، وَخَالِفُوا أهْلَ الكِتَابِ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ أهْلَ الكِتَابِ يَتَسَرْوَلُونَ، ولا يأْتَزِرُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَسَرْوَلُوا وَائْتَزِرُوا وَخَالِفُوا أهْلَ الكِتَابِ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ أهْلَ الكِتَابِ يَتَخَفَّفُونَ، ولا يَنْتَعِلُونَ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَتَخَفَّفُوا وَانْتَعِلُوا وَخَالِفُوا أهْلَ الكِتَابِ» قَالَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ أهْلَ الكِتَابِ يَقُصُّونَ عَثَانِينَهُمْ وَيُوَفِّرُونَ سِبَالَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُصُّوا سِبَالَكُمْ وَوَفِّرُوا عَثَانِينَكُمْ، وَخَالِفُوا أهْلَ الكِتَابِ». [أحمد].

فكيفَ بالمسلماتِ ـ إلاَّ من رَحِمَ ربِّي ـ يَتَسابَقْنَ لاقتِنَاءِ أحدَثِ مَا سَوَّدتُهُ أيدي هؤلاءِ الكفَّار مِنَ الأزياءِ والتَّصاميم وَيَتَفَاخَرُون بذلكَ والعياذُ باللهِ!

الشرطُ الثامنُ: (أنْ لا يكونَ لباس شُهْرة)

وَهُوَ كلُّ ثوبٍ يُقْصَدُ بِهِ الاشتِهار بين النَّاس سواءً كَانَ الثوب نَفِيساً يلبسُهُ تَفَاخُراً بالدُّنيا وزينتها أوْ خَسيساً يُلْبَسُ إظهاراً للزُّهد والرِّياء. وذَلِكَ لحديثِ ابنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةَ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ، ثمَّ تُلَهَّبُ فِيهِ النَّار». [أبو داود].

فيا مَن تُريدينَ الدَّار الآخرةَ.. ويا مَن تَتَشوَّقينَ إلىٰ جنَّةٍ خَالِدةٍ.. ويَا مَن تخَافِينَ مِن عَذَابِ القَبْر وعَذَاب الجحيم: كُوني فَخُورةً بانْتِمائِكِ إلىٰ هَذَا الدِّين فَلا نجاةَ إلاَّ بِهِ، وَلاَ فكَاكَ مِنَ النَّار إلاَّ بِهِ، وَلاَ قبول للأعمَال إلاَّ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسْلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

واعلمي أنَّ أيدِيَهُم الماكرةَ الخبيثَةَ الخادِعَةَ قَد امتدَّت إليكِ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ لِتُنْزِلَكِ مِن عَلْياءِ كَرامَتك وتَهْبط بكِ مِن سَمَاء مَجْدِك وتُخْرجكِ مِن دارِ سَعْدِك، فَاْقْطَعيها بسرعةٍ وبقوَّة، فإنَّها يدٌ مجرمةٌ ظالمةٌ وقولي كَمَا قَالَت أختُكِ مِنْ قَبْلُ:

بِيَدِ العَفَافِ أصُونُ عِزَّ حِجَابِي ... وبِعِصْمَتِي أعْلُو عَلَىٰ أتْرَابِي

كَذَبَ الَّذِينَ يُتَاجِرُونَ بِقِصَّتِي ... كَذَبُوا وكَانُوا مِثْل زَيفِ سَرَابِ

تَحْرِيرَهُمْ أبْصَرْتُ لا تَحْرِيرَهم ... قَد خَابَ مَن قَد سَارَ خَلْفَ غُرَابِ

لا لَن أكُونَ كَمَا أرادُوا سلعةً ... ضَاعَت بِسُوقِ نِخَاسَةٍ وَبِغَابِ

لا لَن أحِيدَ عَن الحِجَابِ وَطُهْرِهِ ... رَغْمَ الذِّئاب وَرَغْم نَبْحِ كِلابِ

ثَارَ البُغَاةُ وكَشَّرُوا أنْيَابَهُم ... وغَداً نُحَطِّمُ صُورةَ الأنْيَابِ

يَعْوِي العبيدُ عَلَىٰ صَدَى أسْيَادِهِمْ ... وعُوَاؤُهُم مَا ضَرَّ سَيرَ سَحَابِي

أنَا لستُ وَحْدِي في قَرار تَحَجُّبِي ... خَلْفِي كثيراتٌ يَقْتَفِينَ مَتَابِي

فَمَعِي النساءُ السَّائراتُ علىٰ الهُدَى ... ومَعِي الحياءُ وفِطْرَتِي وكِتَابِي

سَأظَلُّ أرقَىٰ للسَّمَاواتِ العُلا ... وأظَلُّ أحيَا في هُدَى المِحْرَابِ

❖ ❖ ❖

هل وجه المرأة ليس بعورة هو قول الجمهور؟

الحمدُ للهِ والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبهِ ومَن اهتَدَى بهداه وبعد: لا يخفَىٰ علىٰ كلِّ مُسلم ـ دَرَسَ شيئاً من الكتابِ والسُّنَّةِ ـ ما يطرأ علىٰ هذه الأمَّة زمن الفتَنِ، ومن ذلك الخوض في المسائل الشَّرعية بلا حُجَّةٍ علميةٍ ولا أمانةٍ دينيةٍ، مصداقاً للحديثِ الذي أخرجه البخاري في صحيحه، من حديثِ عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِن العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وإنَّه في زمانِنا تعدَّى الأمر ذلك، فأصبحَ العلمُ ـ أعني الشَّرعي ـ كلأً مباحاً لكل مُدَّعٍ للكتابةِ، محسن لصفِّ العبارةِ، غير مبالٍ بالمراقبةِ الإلهية، ولا النّصرة للسُّنَّة النبوية، من كتبةٍ زادهم التَّصفح والنَّقل المبتور والادِّعاء المثبور، روَّجت لكتاباتهم صحافةُ الباطل التي تَنْصُرُ المنكرَ وتخذل المعروفَ، فالله طليبهم وهو حسيبُهُم، ولن نحزَنَ، فالله يقولُ: ﴿بلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَىٰ الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨] أمَّا ما يتعلَّق بهذا البحث، وهو: (هل وجه المرأة ليس بعورة هو قول الجمهور؟) فَالذي دعانا إليه هو ما كَثُرَ اللَّغط حولَهُ في تلك الصَّحافة السَّيارة، والمنتدياتِ العامَّة، والقنواتِ الفضائية مِن أناس تصدَّروا فيها، فأعلَنُوا عقيرتهم وردَّدُوا أنَّ وجه المرأة ليس بعورةٍ هو قولُ الجمهور، فأثَّر ذلك في النَّفْسِ، ودعا أهل الغيرةِ للبحثِ المتجردِ والبعيدِ عَن

التَّعصُّب لأيٍّ من الفريقينِ. وهنا أذكر أنَّ جمعي يدور حول قول الجمهور في المسألة، وأيّ النّسبتين أولىٰ أن تنسب له، فلك - أيها القارئ - الاطّلاع الآن علىٰ أقوال أهل العلم، لتحكم بعد ذلك أيه قول الجمهور:

أولاً: قول أئمتنا من الأحناف رحمهم الله تعالىٰ:

يَرى فقهاءُ الحنفيّةِ ـ رحمهم اللهُ ـ أنَّ المرأةَ لا يجوزُ لها كشفُ وجهها أمامَ الرِّجال الأجانب، لا لكونهِ عَورة، بل لأنَّ الكشفَ مظنَّة الفتنةِ، وبعضُهُم يراه عورةً مطلقاً، لذلك ذكَرُوا أنَّ المسلمينَ مُتَّفقُونَ علىٰ منع النِّساء مِنَ الخروج سافراتٍ عن وجوههنَّ، وفيما يلي بعض نصوصِهِم في ذلك:

قال أبو بكر الجصَّاص، رحمهُ اللهُ: المرأة الشّابَّة مأمورةٌ بسترِ وجهها من الأجنبيّ، وإظهار السِّتر والعفاف عندَ الخروج، لئلاَّ يطمع أهلُ الرِّيب فيها (أحكام القرآن ٣/٤٥٨) وقالَ شمسُ الأئمةِ السَّرخسي، رحمهُ الله: حرمةُ النَّظر لخوفِ الفتنةِ، وخوف الفتنة في النَّظر إلىٰ وجهها، وعامَّة محاسنها في وجهها أكثر منه إلىٰ سائر الأعضاءِ (المبسوط ١٠/١٥٢) وقال علاء الدّين الحنفيُّ، رحمه الله: وتُمنع المرأة الشّابَّة من كشفِ الوجهِ بينَ الرِّجال.

قال ابنُ عابدين، رحمه الله: المعنىٰ: تُمنع من الكشفِ لخوفِ أنْ يَرى الرِّجالُ وجهَها فتقع الفتنةُ، لأنَّه مع الكشفِ قَد يقعُ النَّظر إليها بشهوةٍ. وفسَّر الشَّهوة بقوله: أن يَتحرَّك قلبُ الإنسانِ، ويميل بطبعهِ إلىٰ اللَّذَّة. ونصَّ علىٰ أنَّ الزوجَ يُعَزِّرُ زَوجَتَهُ علىٰ كشفِ وجهِها لغير محرم (حاشية ابن عابدين ٣/٢٦١) وقال في كتاب الحجّ: وتسترُ وجهَها عن الأجانبِ بإسدالِ شيءٍ متجافٍ لا يمسُّ الوجهَ، وحكىٰ الإجماع عليه. (حاشية ابن عابدين ٢/٤٨٨).

ونقل عن علماءِ الحنفيّة وجوبَ سترِ المرأة وجهَها، وهي محرمةٌ، إذا كانت بحضرةِ رجالٍ أجانب (حاشية ابن عابدين ٢/٥٢٨)

وقال الطحطاويُّ، رحمهُ الله: تمنع المرأةُ الشابَّة من كشفِ الوجهِ بينَ الرِّجالِ. (رد المحتار ١/٢٧٢) ونصَّ الإسبيجانيُّ والمرغينانيُّ والموصليُّ على أنَّ وجهَ المرأة داخل الصَّلاة ليس بعورة، وأنَّه عورةٌ خارجها، ورجَّح في (شرح المنية) أنَّ الوجه عورة مطلقاً. وقال: أمَّا عند وجود الأجانب فالإرخاءُ واجبٌ على المحرمة عند الإمكان (حاشية إعلاء السنن للتهانوي ٢/١٤١). ولمطالعة مزيد من أقول الفقهاء الحنفية يُنظر حاشية ابن عابدين (١/٤٠٦ - ٤٠٨) والبحر الرائق لابن نجيم (١/٢٨٤ و٢/٣٨١) وفيض الباري للكشميري (٤/٢٤و٣٠٨).

وقال سماحة مفتي باكستان الشيخ محمَّد شفيع الحنفيُّ: وبالجملة فقد اتفقت مذاهب الفقهاء، وجمهور الأُمَّة على أنَّه لا يجوز للنِّساء الشّوابّ كشفَ الوجوه والأكفّ بين الأجانب، ويُستثنى منه العجائز، لقوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (المرأة المسلمة ص ٢٠٢).

وقال السّهارنفوريُّ الحنفيُّ، رحمه الله: ويدلُّ على تقييد كشفِ الوجه بالحاجة: اتفاق المسلمين على منع النِّساءِ أن يخرجنَ سافراتِ الوجوه، لاسيَّما عند كثرة الفسادِ وظهوره (بذل المجهود شرح سنن أبي داود ١٦/٤٣١).

ثانياً: أقوال أئمتنا من المالكيّة:

يرى فقهاءُ المالكيّةِ أنَّ المرأة لا يجوزُ لها كشفَ وجهها أمامَ الرِّجال الأجانب، لا لكونه عورة، بل لأنَّ الكشفَ مظنَّة الفتنةِ، وبعضهم يراه عورةً مطلقاً، لذلك فإنَّ النِّساء - في مذهبهم - ممنوعات من الخروج سافرات عَن وجوههنَّ أمام

الرجال الأجانب، وفيما يلي بعض نُصُوصهم في ذلك:

قال القاضي أبو بكر بن العربيِّ، والقرطبيُّ رحمهما الله: المرأة كلُّها عورةٌ، بدنُها وصوتُها، فلا يجوزُ كشفَ ذلك إلاَّ لضرورةٍ أو لحاجةٍ، كالشَّهادة عليها، أو داء يكون بِبَدَنِها، أو سؤالها عمَّا يعنّ ويعرضُ عندها. (أحكام القرآن ١٥٧٨/٣) والجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١٤).

وقال الشيخ أبو عليٍّ المشداليُّ، رحمه الله: إنَّ من كانت له زوجَةٌ تخرج وتَتَصَرَّف في حوائجها باديةَ الوجه والأطراف - كما جرت بذلك عادةَ البوادي - لا تجوز إمامَتُهُ، ولا تُقْبَلُ شهادَتُهُ.

وسئل أحمد بن يحيىٰ الونشريسيُّ - رحمه الله - عمَّن له زوجةٌ تخرجُ بادية الوجهِ، وتَرْعَىٰ، وتحضر الأعراس والولائم مع الرِّجال، والنِّساء يرقصن والرِّجال يكفون، هل يُجْرَحُ مَن له زوجةٌ تفعل هذا الفِعْلَ؟ فأوردَ الفتوى السَّابقة، ثمَّ قال: وقال أبو عبد الله الزواوي: إنْ كان قادراً علىٰ مَنْعِها ولم يفعل فما ذكر أبو عليٍّ (المشداليّ) صحيح.

وقال سيدي عبدُ الله بن محمد بن مرزوق: إنْ قَدِرَ علىٰ حَجْبِها ممن يَرَى منها ما لا يحلّ ولم يَفْعَل فهي جرحة في حقِّهِ، وإن لم يقدِر علىٰ ذلك بوجهٍ فلا. ومسألة هؤلاء القوم أخفض رتبةً مما سألتم عنه، فإنَّه ليس فيها أزيد من خروجِها وتصرّفها بادية الوجهِ والأطرافِ، فإذا أفتوا فيها بجرحة الزَّوج، فجرحته في هذه المسؤول عنها أولىٰ وأحرَى، لضميمةِ ما ذُكر في السؤال من الشَّطح والرَّقص بين يدي الرِّجال الأجانب، ولا يخفىٰ ما يُنْتِجُ الاختلاطُ في هذه المواطن الرّذلة من المفاسد (المعيار المعرب للونشريسي ١٩٣/١١).

وذكر الآبِّيُّ: أنَّ ابن مرزوق نصَّ علىٰ: أنَّ مشهور المذهبِ وجوب سَتْرِ الوجهِ والكفَّين إنْ خشيت فتنة من نظرِ أجنبي إليها (جواهر الإكليل ١/٤١).

ولمطالعة مزيدٍ من أقوال الفقهاء المالكية في وجوب تغطية المرأة وجهها، يُنظر: المعيار المعرب للونشريسي (١٠/١٦٥و١١/٢٢٦ و٢٢٩) ومواهب الجليل للحطّاب (٣/١٤١) والذّخيرة للقرافي (٣/٣٠٧) والتسهيل لمبارك (٣/٩٣٢) وحاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير (٢/٥٥) وكلام محمد الكافي التونسي كما في الصارم المشهور (ص ١٠٣) وجواهر الإكليل للآبيّ (١/١٨٦).

ثالثًا: أقوال أئمتنا من الشّافعيَّة:

يَرَى فقهاءُ الشافعية أنَّ المرأة لا يجوزُ لها كشف وجهها أمام الرِّجال الأجانب، سواء خُشيت الفتنَةُ أم لا، لأنَّ الكشفَ مظنَّة الفتنَةِ، وبعضُهُم يَرَى أنَّ الوجهَ عورةٌ مطلقاً، وفيما يلي بعض نُصُوصهم في ذلك:

قال إمام الحرمين الجوينيُّ، رحمه الله: اتفقَ المسلمونَ علىٰ منع النِّساءِ من الخروج سافراتِ الوجوه، لأنَّ النَّظر مظنَّة الفتنةِ، وهو محرك للشَّهوة، فاللائق بمحاسنِ الشَّرع سدُّ الباب فيه، والإعراض عن تفاصيلِ الأحوالِ، كالخلوة بالأجنبية. (روضة الطالبين ٧/٢٤) وبجيرمي علىٰ الخطيب (٣/٣١٥).

ونقل ابن حجر - رحمهُ الله - عن الزياديّ، وأقرَّه عليه: أنَّ عورة المرأة أمام الأجنبي جميع بَدَنِها، حتَّىٰ الوجه والكفَّين علىٰ المعتمد.

وقال: قال صاحب النِّهاية: تَعَيَّنَ سترُ المرأة وجهها، وهي مُحْرِمَة، حيث كان طريقاً لدفع نظرٍ مُحَرَّم (تحفة المحتاج ٢/١١٢و٤/١٦٥).

وقال ابن رسلان، رحمهُ الله: اتَّفق المسلمونَ علىٰ منع النِّساءِ أن يَخْرُجْنَ

سافراتٍ عن الوجوهِ، لاسيما عندَ كثرة الفسَّاق (عون المعبود ١١/١٦٢).

وقال الشرقاويُّ، رحمَهُ اللهُ: وعورةُ الحرَّة خارج الصَّلاة بالنِّسبة لنظر الأجنبيِّ إليها فجميع بَدَنِها حتَّىٰ الوجه والكفَّين، ولو عندَ أمْنِ الفِتْنَةِ. (حاشية الشرقاوي علىٰ تحفة الطلاب ١/١٧٤).

وقال النَّوويُّ، رحمهُ اللهُ: لا يجوزُ للمسلمةِ أنْ تكشفَ وجهَها ونحوه مِن بدنِها ليهوديَّةٍ أو نصرانيَّةٍ وغيرهما من الكافراتِ، إلاَّ أن تكونَ الكافرة مملوكة لها، هذا هو الصحيح في مذهب الشافعيِّ ﷺ (الفتاوى ص ١٩٢).

وقال ابن حجر، رحمهُ اللهُ: استمَرَّ العملُ علىٰ جوازِ خروج النِّساء إلىٰ المساجدِ والأسواقِ والأسفار منتقبات، لئلا يراهنَّ الرِّجالُ.

وقال الغزَّاليُّ، رحمهُ الله: لم يَزَل الرِّجالُ علىٰ مرِّ الزَّمان مكشوفي الوجوه، والنِّساء يخرجن منتقبات (فتح الباري ٩/٣٣٧).

ولمطالعة مزيد من أقوال فُقَهاءِ الشَّافعية، يُنظر إحياءُ علوم الدِّين (٢/٤٩) وروضةُ الطالبين (٧/٢٤) وحاشية الجمل علىٰ شرح المنهج (١/٤١١) وحاشية القليوبي علىٰ المنهاج (١/١٧٧) وفتح العلام (٢/١٧٨) للجرداني، وحاشية السقاف (ص ٢٩٧) وشرح السنة للبغوي (٧/٢٤٠).

وقال الموزعيُّ الشافعيُّ، رحمه الله: لم يزل عَمَلُ النَّاس علىٰ هذا، قديماً وحديثاً، في جميع الأمصار والأقطار، فيتَسامَحُونَ للعجوز في كشفِ وَجْهِها، ولا يتسامَحُون للشابَّة، ويرونَهُ عورةً ومنكراً، وقد تَبيَّنَ لك وجهُ الجمع بين الآيتين، ووجهُ الغلط لمن أباح النَّظر إلىٰ وجه المرأة لغير حاجةٍ.

والسَّلف والأئمة كمالك والشافعيِّ وأبي حنيفة وغَيرهم لم يتكلَّموا إلاَّ في

عورة الصَّلاة، فقال الشافعيُّ ومالك: ما عدا الوجه والكفّين، وزاد أبو حنيفة: القدمين، وما أظنُّ أحداً منهم يُبيح للشّابَّة أن تكشفَ وجهَها لغير حاجةٍ، ولا يبيح للشّابِّ أن ينظرَ إليها لغير حاجةٍ (تيسير البيان لأحكام القرآن ٢/١٠٠١).

رابعاً: أقوال أئمتنا من الحنابلة:

يرى فقهاءُ الحنابلةِ أنَّ المرأة لا يجوزُ لها كشفُ وجهها أمام الرِّجال الأجانب، لكونه عورة مطلقاً، وفيما يلي بعض نُصُوصِهِم في ذلك:

قال الإمامُ أحمد، رحمه الله: ظفرُ المرأةِ عورةٌ، فإذا خرجت من بيتِها فلا تُبِن منها شيئاً ولا خُفَّها، فإنَّ الخفَّ يَصِفُ القَدَمَ، وأحبُّ إليَّ أنْ تجعل لكمها زراً عند يدِها حتَّىٰ لا يبن منها شيءٌ (انظر الفروع ١/٦٠١).

وقال ابن تيميّة، رحمهُ اللهُ: وقبل أنْ تنزل آيةُ الحجابِ كان النِّساء يخرجن بلا جلبابٍ، يَرَى الرِّجالُ وجهَها ويَدَيها، وكانَ إذْ ذاكَ يجوزُ لها أن تُظهِرَ الوجهَ والكفين.. ثمَّ لما أنزلَ اللهُ - عزَّ وجَلَّ - آيةَ الحجابِ بقولهِ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] فَحَجَبَ النِّساءَ عَن الرِّجال. وقالَ: وكَشْفُ النِّساء وجوههنَّ بحيثُ يَرَاهُنَّ الأجانب غير جائز، وعلىٰ وليِّ الأمرِ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن هذا المنكرِ وغيره، ومن لم يرتَدع فإنَّه يُعَاقَب علىٰ ذلك بما يزجُرُهُ.

وقال ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ: الشَّارع شَرَعَ للحرائرِ أن يستُرنَ وجوههنَّ عن الأجانب، وأمَّا الإماءُ فلم يوجب عليهنَّ ذلك..

والعورة عورتانِ: عورةٌ في الصلاةِ، وعورةٌ في النَّظر، فالحرَّة لها أنْ تُصَلِّي مكشوفةَ الوجهِ والكفَّين، وليس لها أنْ تَخْرُجَ في الأسواق ومجامع النَّاس كذلك.

خامساً: أقوال أئمتنا من المحقّقين:

قال الشَّوكاني رحمهُ اللهُ في السَّيل الجرار (٢/١٨٠): «وأما تغطيةُ وجهِ المرأة - يعني في الإحرام - فَلِمَا رُويَ أنَّ إحرام المرأة في وجهها ولكنَّه لم يثبت ذلك من وجه يصلحُ للاحتجاج به، وأما ما أخرجهُ أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث عائشة قالت: «كانَ الركبانُ يمرونَ بنا ونحنُ مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذونَا سَدَلَت إحدانَا جلبابَها مِن رأسِها علىٰ وجهِها، فإذا جاوزُونا كشفنَاهُ» وليس فيه ما يَدُلُّ علىٰ أنَّ الكشفَ لوجوههنَّ كان لأجلِ الإحرام، بل كنَّ يكشفنَ وجوههنَ عند عدم وجوبِ من يجبُ سترها منهُ، ويسترنَها عند وجودِ من يجب سترها منه.

قال العلامة بكر أبو زيد: معلوم أنَّ العمل المتوارث المستمر من عصر الصَّحابة ﷺ فمن بعدهم حجَّةٌ شرعيةٌ يجبُ اتِّباعُها، وتلقيها بالقبول، وقد جرَى الإجماعُ العمليُّ بالعمل المستمر المتوارث بين نساءِ المؤمنين علىٰ لزومِهنَّ البيوت، فَلا يخرجنَ إلاَّ لضرورةٍ أو حاجةٍ، وعلىٰ عدم خروجهنَّ أمام الرِّجال إلاَّ متحجبات غَير سافرات الوجوه، ولا حاسِرَات عَن شيء من الأبدانِ، ولا متبرجات بزينة، واتَّفقَ المسلمونَ علىٰ هذا العمل المتلاقي مَع مقاصدهم في بناء صرح العِفَّةِ والطَّهارة والاحتشام والحياءِ والغيرة، فمنعوا النِّساء من الخروج سافرات الوجوه، حاسرات عن شيء من أبدانهن أو زينتهن.

فهذان إجماعَانِ مُتوارثان معلومانِ مِن صدرِ الإسلام، وعُصُورِ الصَّحابة والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ، حكَىٰ ذلك جمعٌ من الأئمةِ، منهم الحافظ ابنُ عبدِ البرِّ، والنووي، وابن تيمية، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ، واستَمَرَّ العملُ بهِ إلىٰ نحو منتصفِ القرن الرَّابع عشر الهجري، وقتَ انحلال الدَّولةِ الإسلاميةِ إلىٰ دُولٍ.

الأدلة من النظر

قال الشنقيطيُّ، رحمه الله: إنَّ المنصفَ يعلمُ أنَّه يبعدُ كلّ البُعْدِ أنْ يأذنَ الشارعُ للنِّساءِ في الكشفِ عن الوجهِ أمامَ الرِّجال الأجانب، مَع أنَّ الوجهَ هو أصلُ الجمالِ والنَّظر إليه مِنَ الشابَّة الجميلة هو أعظم مثير للغَرَائز البشريَّة، وداع إلى الفتنة، والوقوع فيما لا ينبغي. (أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ٦/٦٠٢).

ويتَّضح مما سبق جلياً ظاهراً أنَّ قولَ الجمهورِ هو القولُ بعورةِ وجهِ المرأة، بل حكى الإجماع على ذلك أئمةٌ يُعْتَمَدُ نَقْلَهُم للإجماع وهم:

- ابن عبدِ البرِّ من المالكية المغاربة.
- والنووي من الشافعية المشارقة.
- وابن تيمية من الحنابلة.
- وحكى الاتفاق السهارنفوري، والشيخ محمد شفيع الحنفي من الحنفية.

فهل يبقى بعد ذلك حجَّةٌ لمدعٍ أنَّ قول الجمهور خلاف ذلك؟.

فعلى كلِّ باحثٍ في هذه المسألةِ أنْ يَتَجَرَّدَ في البحث، جاعلاً مراقبَةَ اللهِ نُصْبَ عينيهِ، ثمَّ معرفة مفاتح العلم، فالبعضُ يلتقط أقوالاً من كتابِ الصَّلاة، ولا يراجع كتاب الحجِّ والنَّظر للمخطوبة، فيقع في الخلط والخطأ في نسبة الأقوال دون تحقيق وتمحيص.

وبعد فهذا ما تيسَّر جمعه نصرة لأئمتنا أن يُنْسَبَ لهم ما لم يَصِحّ عنهم، وحماية لجنابِ المرجعية العلمية الأصيلة، وعدم الخلط والتشويه للعلم وأهله.

أسأل الله تعالى أن ينفع بما كتبت، وأن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنَّةِ نَبِيِّهِ متبعاً، والحمدُ لله ربِّ العالمين. [المأتع النافع، لفضيلة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان].

تغطية المرأة وجهها في زمن الفتنة واجبٌ بإجماع العلماء

قبل أن أوردَ الكلام عن حكم تغطيةِ الوجهِ، أردتُ أنْ أشير إلىٰ مسألة الإجماع بما يلي:

الأمَّةُ منذُ القديم مجمعة علىٰ أنَّ الفتنةَ داعية للتَّغطية، ذهبَ إلىٰ ذلك الحنفيةُ والحنابلةُ والمالكيةُ والشَّافعيةُ (وسأورد إنْ شاءَ الله أقوالهم) بل ذهبَ بعضُ العلماءِ إلىٰ إيجابِ التَّغطية حتَّىٰ علىٰ الأَمَةِ إذا صارت فَاتِنَةً، وكل ذلكَ مفهوم في ظلِّ حِرصِ العلماءِ علىٰ عفافِ وستر نساءِ المؤمنين.. وتأمَّل في قول عائشة ﷺ: «لَو رأى رسولُ الله ﷺ ما أحدثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ المسجدَ كَمَا مُنِعَتْ نِساءُ بني إِسرائيلُ». [متفق عليه] تدرك بهذا، أنَّهُ رأت منع النساءِ من الخروج من البيت، إذا تغير الحالُ، والقرارُ في البيتِ أكبر من تغطيةِ الوجهِ..

والشيء بالشيءِ يُذكرُ.. فهذا الشيخ الألباني - رحمهُ الله تعالىٰ - وهو من القائلين بجواز الكشف - يقول: ولو أنَّهم قالوا: يجبُ علىٰ المرأة المتسترة بالجلباب الواجب عليها إذا خشيت أن تصابَ بأذى من الفُسَّاق لإسفارها عن وجهها: أنَّه يجب عليها في هذه الحالةِ أن تسترَهُ دفعاً للأذى والفتنة، لكانَ له وجهٌ في فقه الكتابِ والسُّنة.. (جلباب المرأة المسلمة ص ١٧)

فهو بالرَّغم من قولهِ بجواز كشفِ الوجهِ علىٰ وجهِ الإباحةِ - مع كونه يرى الأفضل هو التَّغطية - إلاَّ أنَّه يرى، لا أقول وجوب التَّغطية فحسب، بل وجوب القرارِ في البيت، ألاَّ تخرج أصلاً، إذا صارَ الزَّمان زمانُ فتنةٍ، يَتَعَرَّضُ فيه السفهاءُ للصَّبايا واليَافعَات.. هذا واضحٌ من كلامهِ..

ونحن نقول:

ألا ترونَ قدر الفتنةِ التي تكون اليوم جَرَّاء خروج الفتـاةِ مِن بيتها؟.. الخروج لِوَحْدِهِ يَسْتَفِزّ السفهاءَ ليحومُـوا حولَ الحِمَىٰ، من أجل التَّحرش والأذى، فما بالكم ـ ولا شكَّ رأيتم ـ حينما تكشفُ عَن وجهها، وكلّكم سمعَ ورأى مِن مثل هذا، ما صارَ معلوماً مشهوراً.. بالإضافةِ إلىٰ الكيدِ الكبير الَّذي يخطِّط له أعداءُ الحجابِ، وهو معلومٌ لا يخفىٰ.. إذن، نحن نعيشُ حالـةَ حربٍ حقيقيةٍ مَع أعداءِ الحجاب، وكلّ متبصر، أو لديه نصف تَبَصُّرٍ يُدرك هذا، وعلىٰ هـذا ألا تَتَّفقون معي أنّ: ـ كلَّ العلماءِ يُجْمِعُونَ أنهُ في زمانٍ كهذا يجبُ التغطيـةُ، حتىٰ مَن أجازه، كالشيخ الألباني نفسُهُ في كلامِهِ السَّابق يقرِّرُ هذا؟.

وأنَّ الحكمةَ والعقلَ يأمرانِ بالحجابِ والتغطيةِ، وأنْ نَدْعُو إلىٰ هذه الفضيلةِ درءاً لهذه الفتنةِ العمياء؟

لو كانَ هنـاكَ من يَرَى جواز الكشفِ مطلقاً، حتَّىٰ في حال الفتنةِ، فإنَّهم بالنِّسبةِ لعموم الأمَّةِ شيءٌ لا يُذكَرُ، وقولُهُم لا يُقْبَلُ في محكم العقولِ.

وقد ذكرَ أهلُ العلم، وقَـد نَقَلْتُ كلامَهُم في حوارٍ سابقٍ، أنَّ مخالفة بعضِ الأفراد لا يَنْقُضُ الإجماعَ، وهو مرويٌّ عن الإمام أحمد وابن جرير، في مذكرة أصول الفقه للشنقيطي (ص١٥٣): فصل لا ينعقد الإجماع بقـول الأكثرين من أهل العصر في قول الجمهور، وقال ابن جرير الطبري وأبو بكر الرازي لا عبرةَ بمخالفَةِ الواحدِ والاثنين فَلا تقدح مخالفتهُمَا في الإجماع وقَد أومأ إليهِ أحمد رحمَهُ الله. وحجَّةُ الجمهور أنَّ العبرةَ بقولِ جميع الأمَّةِ، لأنَّ العصمةَ إنَّما هي للكلِّ لا للبعض، وحجَّة الآخر اعتبار الأكثر وإلغاء الأقل، قال في المراقي:

والكلّ واجبٌ وقيل لا يَضُرّ.. لاثنان دون مَن عليهما كَثُر ا.هـ

فالإجماعُ لا يشترطُ فيه ألاّ يكون فيه مخالفٌ، هذا لو كانَ المخالفُ مخالفاً

بدليلٍ صحيح، فكيفَ إذا كان دليلُهُ غَير صحيح، ولا يَصِحُّ الاحتجاجُ بهِ؟.. حينذاك فلا حُجَّةَ في خلافِهِ، ومِن ثَمَّ لا يُنْقَضُ الإجماعُ بحال أبداً، فإنَّ قولَ العَالم معتبرٌ إذا سانَدَهُ الدَّليلُ، أمَّا إذا لم يُسَانِدْهُ فقولُهُ غير مُعْتَبرٍ، ولا يُنْقَضُ بِهِ قولُ بقيَّةِ العلماءِ، ولا يُنْقَضُ بهِ إجماعُهُم..

وفي مثل مَن يقول بجواز كَشْفِ الوجهِ، حتَّىٰ حال الفتنةِ، فهذا بالإضافةِ إلىٰ مخالفَتِه للقول الصَّحيح الرَّاجح في أصل الكشفِ، كذلك هو قَولٌ يخالف الدَّليل الشَّرعي والعقليّ الآمر بالبعدِ عَن مواطن الفِتَنِ والرِّيبِ.. وعلىٰ ذلكَ فهو قولٌ غير مُعْتَبَرٍ، ومِن ثَمَّ إذا قُلنا: إنَّ العلماءَ أجمَعُوا علىٰ المنع مِن كشفِ الوجهِ حَال الفتنةِ.. هو قولٌ صحيحٌ، لا غبارَ عليهِ، من حيثُ: إنَّ الإجماع لا يشترطُ فيه عَدَمُ المخالفَةِ مِن أحدٍ، بل يَصحُّ حصول الإجماع، ولو خَالَف بعضُ الأفرادِ..

ومن حيثُ إنَّ الإجماعَ لا ينقض بقولٍ يخالفُ الدليلَ الشَّرعيَّ.. وقَد ذهبَ إلىٰ مثل هذا جَمْعٌ مِنَ العلماءِ، قالَ الشَّيخ بكر أبو زيد: «هَذا مَعَ العِلْم أنَّه لَم يَقُلْ أحدٌ مِنْ أهْلِ الإسْلامِ بجواز كشفِ الوجهِ واليدينِ عنْدَ وجودِ الفتنةِ ورقَّةِ الدِّينِ، وفسادِ الزمانِ، بل هُم مجمعونَ علىٰ سترهمَا، كمَا نقلَهُ غير واحدٍ مِنَ العُلماءِ» (حراسة الفضيلة ٨٢)

وبعدَ هذهِ المقدمة عن قضيةِ الإجماع، ألِجُ إلىٰ تفصيلِ الحكم في تغطيةِ الوجه: يقولونَ: «اخْتلفَ العلماءُ في الوجْهِ واليدينِ بالنِّسْبَةِ للمرأةِ، فمنْهُمْ مَنْ أجَازَ لها كشفَها، ومنهُمْ مَنْ مَنَع».. لكن الذي نعتقدُ أنَّ كثيراً من النَّاس لم يفهم حقيقةَ هذا الخلافِ بينَ أهل العلم..

والحقيقة تبرزُ إذا عَرَفنا أنَّ الكلامَ عَن عورةِ المرأةِ، إنَّمَا يذكرُ دائماً في «باب

شروطِ صِحَّةِ الصَّلاة» فيقولُ العلماءُ: «وَكُلُّ المرأةِ عَوْرَة إلاَّ وَجْهَها وكَفَّيها»..
وهم إنما يقصدونَ عورتَها في الصَّلاة، لا عورتها في النَّظر..

وعورة الصَّلاة ليست مرتبطةً بعورةِ النَّظر لا طرداً ولا عكساً، فما يجوزُ كشفُهُ في الصَّلاة بالنِّسبةِ للمرأةِ هوَ الوجهُ بالإجماع، واليَدَين عِنْدَ جمهورِ العلماءِ، والقدمينِ عندَ أبي حنيفة وهو الأقوى.. أمَّا خارج الصَّلاة، فلا يجوزُ كشفُ ذلكَ أبداً، فإذا قيل: «إنَّ وجهَ المرأةِ وكفَّيها ليسَتَا بِعورةٍ».. فهذا المذهب إنما هُوَ في الصَّلاة إذا لم تكن بحضرةِ الرِّجال.. وأمَّا بالنسبةِ لِنَظَرِ الأجنبي إليها فجميعُ بَدَنِها عورةٌ لا بُدَّ مِن ستره عَن الأجنبي لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ». [رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ غريبٌ].

قال موفق الدِّين ابن قدامة: «وقالَ مالكٌ والأوزاعي والشَّافعي: جَميعُ بدنِ المرأةِ عورةٌ إلاَّ وَجْهَها وكفَّيها، ومَا سِوى ذلكَ يجبُ سَتْرُهُ في الصَّلاةِ».

وقال ابن القيم: «العَوْرَةُ عَوْرَتَانِ: عَوْرَةٌ فِي الصَّلاةِ، وَعَوْرَةٌ فِي النظرِ، فالحرةُ لَها أنْ تُصَلِّي مَكشوفةَ الوَجْهِ وَالكَفَّينِ، وليسَ لها أنْ تخرجَ فِي الأسواقِ ومجامعِ النَّاسِ كَذَلِكَ».

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: من الآية ٣١]: «والمُسْتثنىٰ هُو الوجهِ والكَّفانِ لأنَّهمَا ليسَتَا منَ العورةِ، والأظهر أنَّ هَذا في الصَّلاةِ لا في النَّظَرِ، فإنَّ كل بدنِ الحرةِ عورة، لا يحلّ لِغَيرِ الزَّوجِ والمَحْرَم النَّظر إلىٰ شيءٍ مِنْها إلاّ لِضَرُورَةٍ».

وقال الصنعاني: «ويُبَاح كشْفُ وجهها حيثُ لَم يأتِ دليلٌ بتغطيَتِه، والمُرَادُ كَشْفُهُ عندَ صَلاتِها بحيثُ لا يَراها أجنبيٌّ، فهذِهِ عَوْرَتُها في الصَّلاة، وأمَّا عورتُها

بالنَّظر إلىٰ نظرِ الأجنبيِّ إليها، فكلُّها عورةٌ كما يأتي تَحقِيقُه».

فهذه النقولُ عَن أهل العِلْم كافيـة لإثباتِ الفرقِ بينَ حـدودِ العـورةِ وحـدودِ الحجابِ..

وعليه فلا يَصحُّ أبداً ما قَد يذكُرُهُ بعضُ النَّاس مِن إجماع العلماءِ علىٰ جواز كشفِ الوجهِ واليدينِ، فبالإضافةِ إلىٰ كونهِ جهلاً بمواقفِ العلماءِ هو كذلكَ جهلٌ بحقيقةِ الخلافِ بينهم.

فمن وردَ عنهم جواز كشفِ الوجهِ واليدين علىٰ قسمين: قسمٌ لا يجيزُ ذلكَ بإطلاقٍ، بل يخصُّهُ في الصَّلاة فقط، ويحرِّمُهُ عندَ وجودِ الرِّجال الأجـانبِ، وهـذا القسمُ لم يفهم بَعْضُ النَّـاس قولـه، فلَمَّا سمعه يقـول: «وَالمَرْأَةُ كُلُّها عَـورة إلاّ وَجْهَها وكفَّيها» أي في الصَّلاة..

ظنَّ أنَّ ذلكَ بالعموم حتَّىٰ في النَّظر، فحملَ قوله علىٰ جوازِ الكشفِ مطلقاً، وهذا خطأٌ، فإنَّهم لم يقصدُوا ذلكَ، فهذا سببٌ من أسبابِ الاختلافِ في المسألةِ. والقسمُ الآخرُ أجازَ الكشفَ بإطلاق..

والذي دعاه إلىٰ ذلك قـولٌ منسـوبٌ لابـنِ عبَّـاس ﷺ في تفسـير قولـه تعـالىٰ: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها﴾ [النور: من الآية ٣١] قال: «الكحْل والخـاتم» لكن هذا الأثرُ إسنادُهُ ضعيفٌ للغايةِ، ففي إسنادِ مُسلم الملائي قالَ فيه النسائي: «متروك الحديث»..

وهناكَ روايةٌ أخرى قالَ فيها: «ما في الكفِّ والوجهِ» وهي كذلـكَ ضعيفـة، في إسنادها (أحمد العطاردي) قال ابنُ عدي: «رأيتُهُم مجمعين علىٰ ضعفِهِ»..

فالنسبة إذاً إلىٰ ابن عباس غير صحيحة بحسبِ الإسنادين السَّابقين، بَـل جـاءَ

عنه عكسَ ذلكَ، ففي تفسير آية الحجابِ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِن﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٩] قال ابن عباس: « أمَرَ اللهُ نساءَ المؤمنينَ إذَا خرجْنَ مِنْ بيوتِهِنَّ في حَاجةٍ أنْ يغطِّينَ وجُهَهُنَّ مِنْ فوقِ رؤوسِهِنَّ بالجَلابيب، ويُبْدِينَ عيناً واحِدَةً ».

لكن لو افترضنَا صِحَّةَ القولِ المنسوبِ إلىٰ ابنِ عبَّاس من طرقٍ أخرى فكيفَ نُفسِّرُ هذا التَّعارض بين قوليه: مَرَّةً يُجيزُ كشفَ الوجهِ واليدينِ، ومرَّةً أخرى يحرمُ ذلكَ كُلَّه؟..

فالجواب: أنَّه أجاز أولاً، ثمَّ لما نزلت آيةُ الحجابِ مَنَعَ من ذلكَ، قالَ ابن تيمية: « والسَّلَفُ تَنَازَعُوا فِي الزِّينَةِ الظَّاهرةِ عَلَىٰ قَوْلَينِ، فقالَ ابنُ مسعود: هِيَ الثِّيابُ، وقال ابنُ عَبَّاسٍ ومَن وافَقَهُ: هِيَ مَا في الوجْهِ واليدينِ، مثل الكُحْلِ والخَاتَم »..

وقبلَ أنْ تنزلَ آيةُ الحجابِ كانَ النِّساءُ يخرجنَ بلا جلبابٍ، يَرَى الرِّجَالُ وَجْهَها وَيَدَيها، وكانَ إذ ذاكَ يجوزُ لها أنْ تُظْهِرَ الوجهَ والكَفَّين، وكانَ حينئذ يجوزُ النَّظرُ إليها لأنَّه يجوزُ إظهاره، ثمَّ لما أنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آيةَ الحجابِ بقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٩]. حجب النساءَ عَن الرِّجال، وكانَ ذلكَ لما تَزَوَّج النبيُّ ﷺ زينبَ بنت جَحْش فأرخَىٰ النبيُّ ﷺ السِّترَ وَمَنَعَ أنساً أن ينظرَ، ولما اصطَفَىٰ صَفِيَّةَ بنت حُيَيّ بَعْدَ ذلك عام خَيبَر قالُوا: إنْ حَجَبَها فَهِيَ مِن أمهاتِ المؤمنين، وإلاَّ فهي مما مَلَكت يمينُهُ، فَحَجبها ﷺ.. [متفق عليه].

فإذا كنَّ مأمورات بالجلبابِ وهو سَتْرُ الوجهِ أو سَتْرُ الوجهِ بالنِّقاب، كانَ

حينئذٍ الوجهُ واليدان مِن الزِّينة التي أمرت ألاَّ تُظهرَها للأجانبِ، فما بَقِيَ يحلُّ للأجانب النَّظر إلاَّ إلىٰ الثيابِ الظاهرة، فابنُ مسعود ذكرَ آخِرَ الآمرين، وابن عباس ذكرَ أوَّلَ الأمرين.

إذاً لو صحَّ قولُ ابن عباس في إباحةِ كشفِ الوجهِ واليدينِ فإنَّما ذلكَ كان قبلَ النَّسخ، ثمَّ لما نَزَلَت آيةُ الحجابِ أوجَبَ اللهُ عَلَيهِنَّ سَتْرُ جميع ذَلِكَ، هَذا وابنُ مَسعود يذكُر في معنىٰ الزِّينة الظاهرة أنها الثيابُ والرِّداءُ، فهو يخالف ابنَ عبَّاس في قوله الأوَّل لو صحَّ عنه.

نُلَخِّصُ مما سبقَ أنَّ سببَ الخلافِ في هذه المسألةِ ثلاثة أمور:

(أولاً): عَدَمُ التَّفريق بينَ حُدودِ الحجابِ وحدودِ العورةِ، فبعضُ المخالفينَ في هذه المسألةِ ظنَّ أنَّ ما يجبُ سترُهُ في الصَّلاة هو الَّذي يجبُ سترُهُ عن أعينِ النَّاس فحسب، وهو سائرُ البدنِ إلاَّ الوجه والكَفين.. وهذا فهمٌ خاطئٌ فليست عورةُ الصَّلاة هي عورةُ النَّظر، بل عَورَةُ النظرِ أعمُّ في حقِّ المرأةِ من عورةِ الصَّلاة، فالمرأةُ لها أن تبدي وجهَها وكَفَّيها وقَدَميها في الصَّلاة، لكن ليسَ لها ذلكَ في محضرِ الأجانبِ أو إذا خَرَجَت من بيتِها.

(ثانياً): عَدَمُ التَّحقيق في قولِ ابن عبَّاس، فالأثرُ الَّذي وردَ عنهُ في إباحةِ كشفِ الوجهِ ضعيفُ الإسنادِ بحسب الأسانيدِ السَّابقة، ثمَّ إنه قَد صَرَّحَ في آية الحجابِ بأنَّ المرأةَ لا تُظهرُ إلاَّ عيناً واحدةً، فكانَ ينبغي أن يُجْمَعَ قَولُهُ، ويُؤخَذُ بما هو أصَحّ وأصرَح.. وكلُّ الآثار التي يَحْتَجُّ بها مَن قالَ بالجواز كحديثِ أسماء ضعيفة لايَنْهَضُ الاحتجاجُ بها، وكذا حديث الخثعميَّة بالرَّغم من صِحَّتِهِ إلاَّ أنَّهُ ليست فيه دلالةٌ علىٰ جواز كشفِ الوجهِ.

(ثالثاً): عدمُ التَّفطّن إلىٰ إنَّ الحكمَ فيه نَسْخٌ، أو فيهِ أوَّل وآخِر، فأمَّا آية الزِّينةِ: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها﴾ [النور: من الآية ٣١] فقد كان أولاً، وكانَ النِّساءُ إذ ذاكَ يَخْرُجنَ كاشفَات الوجهِ واليدينِ، ثمَّ لما نزلَت آيةُ الحجابِ أُمِرْنَ بالسّترِ.

وعلىٰ هذا الوجهِ يُحْمَل قولُ ابنِ عبَّاس، إنْ ثبتَ مِن طرقٍ أُخرى. علىٰ أنَّ ابنَ مسعود يُفسِّر آيةَ الزينةِ بتفسيرٍ يُخَالفُ تفسيرَ ابنَ عبَّاس الأوَّل فيجعَل الزِّينةَ الظاهرةَ هي الثياب أو الرِّداء، أو ما نسمِّيهِ بالعباءةِ، وإسنادُهُ صحيحٌ، وعلىٰ ذلك فلا حُجَّةَ في هذه الآيةِ لمن احتَجَّ بها علىٰ جوازِ الكشفِ.

ومما يؤكِّدُ هذا الحكم قولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٣] وإذا سأل الرجلُ المرأةَ وهي كاشِفَة عن وجهها لم يكُن سَألها مِن وراءِ حِجَابٍ، وتلكَ مخالفةٌ صريحةٌ لأمرِ اللهِ تعالىٰ..

ثمَّ إنَّ هذا الخلافَ بينَ الفقهاءِ بقيَ خلافاً نظرياً إلىٰ حدٍّ بعيدٍ، حيثُ ظَلَّ احتجابُ النِّساء هو الأصلُ في جميع مراحلِ التاريخ الإسلامي، فقد كانَ ولا زالَ أحدُ معالم الأمة المؤمنةِ، قال الغزالي: «لَمْ يَزَل الرِّجالُ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمانِ مكشوفِي الوجوهِ، وَالنِّساءُ يَخرجْنَ مُنْتَقِبَاتٍ»..

وقال ابنُ حَجَرَ: «العملُ علىٰ جوازِ خروجِ النِّساءِ إلىٰ المَسَاجِدِ والأسْواقِ والأسْفارِ مُنْتَقِبَاتٍ لئلاَّ يُراهن الرِّجال».

وهنا مسألة لا بدَّ من التَّنبه لها، وهي: أنكَ لو سألتَ هؤلاء المجيزينَ: «هَل تُجَوِّزونَ كشفَ الوجْهِ في زمنِ الفتنة أوْ إذَا كانت المرأةُ فَاتِنَةً»؟.

لقالوا: «لا، بَلْ يحرمُ الكشفُ في زمن الفتنَةِ، أو إذا كانتِ المرأةُ شَابَّةً أو

فَاتِنَةً».. بل ذهبوا إلىٰ أكبرِ من ذلكَ فقالُوا: «يجبُ عَلىٰ الأَمَةِ إذا كانَتْ فَاتِنةً تغطيةُ وجْهِها».. مع أنَّ الأمةَ غير مأمورة بِتَغْطيةِ الوجهِ.

إذاً، فجميعُ العلماءِ مُتَّفِقُونَ مِن غير استثناءٍ علىٰ: وجوبِ تَغْطِيَةِ الوجهِ في زمنِ الفتنَةِ، أو إذا كانَت المرأةُ فاتنَةً، أو شابَّةً..

ونحنُ نسألُ: أليسَ اليوم زمنُ فِتْنَةٍ؟..

وإذا كانَ العلماءُ جميعهم حَرَّمُوا الكشفَ إذا كانَ ثَمَّةَ فِتْنَة، فكيفَ سيكونُ قولُهُم إذا عَلِمُوا أنَّ الكشف بداية سُقُوط الحجابِ؟.. فَلم تَعُد القضيةُ قَضيةً فقهيةً تبحثُ في كتبِ الفقهِ فَحَسْبُ، بَل القضيةُ أكبرُ مِن ذلكَ.. إنَّها قضيةُ مَصيرٍ لأمَّةٍ محافظةٍ علىٰ أخلاقِها، يُرَادُ هَتْكَ حِجَابِها، وكَشْفُ الوجهِ هو البدايةُ، فَقَد اتَّخَذَ بعضهُم مِن اختلافِ العلماءِ فيهِ وسيلة لِتَدْنيسِ طهارةِ الأُمَّةِ المتمثلةِ في الحجابِ، ويعظمُ الخطرُ في ظِلِّ اتساع نطاقِ عَمَلِ المرأةِ وازديادِ خُرُوجِها مِنَ البيتِ، مَع نظرةِ بعضِ النَّاس للحجابِ علىٰ أَنَّه إلفٌ وعادةٌ لا دِين وعِبَادة.

فهي مؤامرةٌ واللهِ عَلىٰ المرأةِ المسلمةِ.. وعلىٰ الأُمَّةِ المسلمةِ..

ومما يبينُ ويؤكِّدُ هذا:

تلكَ الصُّور والإعلانات التي تُصَوِّر المرأةَ بأشكالٍ تحاكي من خلالها جمالها ومواطن الفتنةِ فيها.. وغير ذلكَ مما لم يدركهُ رسولُ اللهِ ﷺ حيثُ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا..» الحديث. أي لم يكونا في زمانهِ ﷺ..

ومما يبين أنّ القضيّة ليست قضية اختلاف بين العلماء أن الكثيرات من هؤلاء النساء اللاتي يكشفنَ الوجهَ لا يكشِفْنَهُ لترجح أدلَّةِ الكشفِ عندَهُنَّ، بَل هنَّ مُتبعات للهوَى، قَد وجدن الفرصة اليومَ سانحةً لكشفِ الوجهِ، واللهُ تعالىٰ أعلم.

وعلىٰ ذلك فلا يَدعُو إلىٰ السّفور إلاّ أحَد رَجُلين، إمَّا أنّهُ غير مطلع علىٰ مذاهبِ العُلماءِ، فَاهم لمقاصِدِهم، وإمَّا أنّه مُفْسِد يَتَّخِذ من اختلافِ العلماءِ ذريعةً لتحقيقِ مآربَ خبيثة في نفسِهِ.

أخيراً نقولُ لمن أجاز كشف الوجه:

إنْ كنتَ قَد اقتَنَعْتَ بهذا الرأي تماماً عَن دِين ويقينٍ دُونَ اتِّباع لهوًى، فيجب عليكَ إذا أفتيتَ بهذا القول أنْ تقيِّدَهُ بما قَيَّدَهُ العلماءُ المجيزونَ مِن قَبْلِكَ، بأن تجعلَ كشفَ الوجهِ مشروطاً بما يلي:

١ـ ألاّ يكونَ في زمنٍ فتنةٍ، يكثُرُ فيهِ الفُسَّاقُ.

٢ـ ألاّ تكونَ المرأةُ شابَّةً.

٣ـ ألاّ تكونَ المرأةُ فاتِنَةً جميلةً.

فهذه الشُّروط واجبةٌ، لا بدَّ من ذِكْرِها، إذا ما أفتيتَ بجواز الكَشْفِ..

أمَّا أن تقولَ بكشفِ الوجهِ، هكذا بإطلاق، وتَنْسِبُ ذلك لأهلِ العلم القائلينَ بكشفِ الوجهِ، فهذا تَدْليسٌ، فإنَّهم ما قالوا بجوازِ الكشفِ، هكذا بإطلاق، كما يَفْعَلُ مَن يُفْتِي هذا اليومَ، بَل قَيَّدُوهُ بالشُّروط السَّابقة.. ثمَّ كذلك يجبُ عليكَ أن تَدُلَّ النَّاسَ إلىٰ الأفضل، وهو التَّغطية بإجماع العُلَمَاءِ.. حينذاك تكون معذوراً مجتهداً، لكَ أجر اجتهادكَ..

أمَّا أن تُخْفِي عَن النَّاس حقيقَةَ قَولِ العُلماءِ المجيزينَ، بعدم ذِكْر الشُّروط والأفضل، فإنِّي أخافُ عليكَ الإثم.. اللَّهم إنِّي قد بلَّغت.. فَاَشهد.. اللَّهمَّ إنِّي قد بلَّغت.. فَاَشهد.. ولا حول ولا قوَّة إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم..

العورة

تعريفها، حدودها

التّعريف:

١ - العورة في اللّغـة: الخلل في الثّغر وفي الحربِ، وقَد يُوصف به منكّراً، فيكون للواحدِ والجمع بلفظٍ واحدٍ.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾ فهنا وردَ الوصف مفرداً والموصوف جمعاً. وتطلق علىٰ السَّاعة الّتي تظهر فيها العورة عادةً للّجوء فيها إلىٰ الرّاحة والانكشاف، وهي ساعةٌ قبلَ الفَجْرِ، وساعةٌ عند منتصفِ النَّهار، وساعةٌ بعد العشاءِ الآخر، وفي التّنزيل قوله تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيسَ عَلَيكُمْ وَلا عَلَيهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨] وكلّ شيء يستره الإنسان أنفةً وحياءً، فهو عورة.

وهي في الاصطلاح: ما يحرمُ كَشْفُهُ مِن الجسم سواء مِنَ الرَّجُلِ أو المرأةِ، أو هي ما يجبُ سَتْرُهُ وعَدَم إظهارِهِ مِنَ الجسم، وَحَدُّها يَخْتَلِفُ باختلافِ الجنسِ وباختلافِ العُمرِ، كما يختلفُ مِنَ المرأة بالنِّسبة للمحرم وغير المحرم علىٰ التَّفصيل الَّذي يأتي، وقال الشّربينيّ الخطيب: هي ما يَحْرُمُ النَّظر إليهِ. وإليك الآن بَعْضَ التَّفصيلاتِ الهامَّة لهذهِ المسألةِ:

عورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبي

تقدَّم الكلامُ عن ذلكَ، فمنهم من قالَ المرأةُ كلُّها عورةٌ وأجازَ ظهورَ الوجهِ والكفَّين عِنْدَ أمنِ الفتنةِ، ومنهم من قالَ بِعَدَم جَوازِ كَشْفِهِمَا وتقدَّمت أقوالُ العلماءِ في ذلك قبل قليلٍ، فارجع إليها إنْ شئتَ.

عورة المرأة المسلمة بالنسبة للأجنبية الكافرة

ذهبَ جمهورُ الفقهاءِ: «الحنفيَّة والمالكيّة وهو الأصحُّ عند الشّافعيّة» إلىٰ أنّ المرأة الأجنبيّة الكافرة كالرَّجل الأجنبيّ بالنِّسبة للمسلمةِ، فَلا يجوزُ أن تنظرَ إلىٰ بدنها، وليسَ للمسلمةِ أن تتجرَّد بين يديها، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي النِّساء المسلمات، فلو جازَ نظرُ المرأة الكافرة لما بقي للتَّخصيص فائدةٌ، وقد صحّ عَن عمر رضي الله عنه الأمرَ بمنع الكتابيّات من دخولِ الحمّام مع المسلماتِ.

ومقابل الأصحّ عند الشّافعيّةِ أنّه يجوز أنْ ترى الكافرةُ مِنَ المسلمةِ ما يبدو منها عند المهنةِ، وفي رأي آخر عندهم أنَّه يجوزُ أن تَرَى منها ما تراه المسلمةُ منها وذلك لاتِّحاد الجنسِ كالرِّجال.

والمذهبُ عند الحنابلةِ أنّه لا فرقَ بين المسلمةِ والذِّمِّيَّة ولا بين المسلم والذِّمِّيِّ في النَّظر، وقال الإمامُ أحمد في رواية عنه: لا تنظرُ الكافرةُ إلىٰ الفرج من المسلمةِ ولا تكون قابلةً لها (أي دايةً تُوَلِّدها). وفي روايةٍ أخرى عنه أنَّ المسلمةَ لا تكشف قِناعَها عندَ الذِّمّيّةِ ولا تَدخل معها الحمَّام. واللهُ تعالىٰ أعلم.

عورة المرأة بالنسبة للمرأة المسلمة

ذهبَ الفقهاءُ إلىٰ أنَّ عورةَ المرأة بالنِّسبة للمرأةِ هي كعورة الرَّجل إلىٰ الرَّجُل، أي ما بينَ السُّرَّة والرُّكبةِ، ولذا يجوزُ لها النَّظر إلىٰ جميع بدنها عدا ما بين هذين العضوين، وذلكَ لوجودِ المجانسةِ وانعدام الشَّهوة غالباً، ولكن يَحْرُم ذلكَ مَع الشَّهوة وخوفِ الفتنةِ.

عورة المرأة بالنسبة للمحارم

المرادُ بِمَحْرَم المرأةِ مَن يَحْرُمُ عليهِ نكاحُها علىٰ وجهِ التَّأبيد لنسبٍ أو سببٍ «مصاهرة» أو رضَاع.

قال المالكيّةُ والحنابلةُ في المذهب: إنَّ عورة المرأةِ بالنِّسبةِ إلىٰ رجلٍ مَحْرَم لَها هي غير الوجهِ والرَّأس واليدينِ والرِّجلين، فيحرمُ عليها كَشْفُ صدرِها وثَديَيها ونحو ذلك عِنْدَهُ، ويحرمُ علىٰ مَحَارِمِها كأبيها رؤية هذه الأعضاءِ منها وإنْ كانَ من غَير شهوة وتلذُّذٍ.

وذكر القاضي مِنَ الحنابلة أنَّ حُكْمَ الرَّجُل مع ذواتِ مَحَارِمِهِ هو كحكم الرَّجُل مَع الرَّجل والمرأةِ مَع المرأةِ.

وعورة المرأةِ بالنِّسبة لمن هو مَحْرَمٌ لها عندَ الحنفيّةِ هي ما بين سرَّتها إلىٰ ركبتها، وكذا ظَهرها وبَطنها، أي يحلُّ لمن هو محرَّم لها النَّظر إلىٰ ما عَدا هذه الأعضاء منها عند أمنِ الفتنةِ وخُلُوِّ نَظره من الشَّهوة، والأصل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ..﴾ والمرادُ بالزّينة مواضعها لا الزِّينة

نفسها، لأنَّ النَّظر إلىٰ أصل الزِّينة مباحٌ مطلقاً، فالرَّأس موضع التَّاج، والوجه موضع الكُحل، والعنق والصَّدر موضعا القِلادة، والأذن موضع القرطِ (الحَلَق) والعَضُد موضع الدّملوج، والسَّاعد موضع السِّوار، والكفُّ موضعُ الخاتَم، والسَّاق موضع الخلخالِ، والقَدَمُ موضع الخضَاب، بخلافِ الظَّهر والبَطْنِ والفَخِذِ، لأنَّها ليست بموضع للزِّينة، ولأنّ الاختلاطَ بين المحارم أمرٌ شائع ولا يمكن معه صِيَانة مواضع الزِّينة عن الإظهار والكشْفِ.

وكلّ ما جاز النَّظر إليهِ منهنَّ دونَ حَائل جاز لمسُهُ عندَ أمنِ الفتنةِ، وإلاّ لم يَجُز، وكذلك الأمرُ بالنِّسبةِ للخلوةِ بإحداهنّ منفردين تحت سقفٍ واحدٍ، فالرّسولُ ﷺ كانَ يقبِّلُ فاطمةَ رضي الله عَنْها.

ولم يجز للرَّجل النَّظر إلىٰ ظهر أو بطن أو فَخِذِ مَن هي مَحْرَمٌ له فضلاً عن حرمةِ النَّظر إلىٰ ما بين سرَّتها وركبَتِها، كما لم يحل لَمْس أيّ من هذه الأعضاء لعموم قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ولأنَّه سبحانَهُ وتعَالىٰ جعلَ الظّهار منكراً من القولِ وزُوراً، وهو - أي الظِّهار - تشبيه الزَّوجة بظهر الأمِّ في حقِّ الحرمةِ، ولو لم يكن النَّظر إلىٰ ظهر الأمِّ وبطنها أو لمسها حراماً لم يكن الظِّهار منكراً من القول وزُوراً.

وكلٌّ ما يحلُّ للرِّجل من النَّظر واللَّمس من ذواتِ محارمه يحلّ مثله لها بالنِّسبة لمن هو محرمٌ لها، وكلّ ما يَحْرُمُ عليهِ يَحْرُمُ عليها.

والشّافعيّة يرونَ جواز نظرِ الرَّجل إلىٰ ما عدّا ما بين السّرّة والرُّكبةِ من محارمهِ من النّساء من نسبٍ أو رضاع أو مصاهرةٍ صحيحة، وقيل: يحلٌّ له النَّظر فَقَط إلىٰ ما يظهرُ منها عادةً في العَمَلِ داخِلَ البيتِ، أي إلىٰ الرَّأس والعُنُق واليدِ إلىٰ المرفقِ والرّجل إلىٰ الرُّكبة.

وهم يقرِّرون هذين الاتِّجاهين أيضاً بالنِّسبة لنظرها إلىٰ من هو محرمٌ لها.

وقال الحنابلةُ: الكافِرُ مَحْرَمٌ لقريبتـهِ المسلمة لأنَّ أبا سفيان أتىٰ المدينةَ وهو مُشْرِكٌ، فدخَلَ علىٰ ابنَتِهِ أمِّ حبيبةَ فَطَوَت فراشَ النّبيِّ ﷺ لئلاَّ يجلسَ عليهِ، ولم تَحْتَجِب منهُ ولا أمَرَها بذلكَ الرَّسُولُ ﷺ.

عورةُ الأَمَةِ بالنِّسبةِ للرَّجلِ الأجنبيِّ

اختلف الفقهاءُ في عورة الأَمَةِ بالنِّسبة للرَّجل الأجنبيِّ.

فقال المالكيّةُ وهو الأصحُّ عند الشَّافعيَّة: إنَّ عورتَها هي ما بينَ سرَّتها وركبتِها.

وقال الحنفيّةُ: عورتُها مثل عورةِ الحرّة بالنِّسبة لمحارمها.

وقال الحنابلة: إنّ عورتها كعورةِ الحرّة لا يجوزُ أن ينظرَ منها إلاَّ ما يجوزُ النّظر إليه من الحرَّة.

عورةُ الرَّجلِ بالنِّسبةِ للرَّجلِ

أمَّا عَورةُ الرّجل بالنِّسبة إلىٰ رجل آخر - سواء كانَ قريباً لـهُ أو أجنبيّاً عنه - هي ما بين سرَّتهِ إلىٰ ركبته عندَ الحنفيّة، ويستدلُّون بما روي عن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: « .. فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِن سُرَّتِهِ إِلَىٰ رُكْبَتِهِ مِن عَوْرَتِهِ» [حسن، رواه أحمد] والسّرّة عندهم ليست بعورة استدلالاً بما رُوي أنَّ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أبدى سرَّته فقبَّلها أبو هريرة رضي الله عنه، ولكنَّ الرُّكبةَ عورة عندهم، بدليل ما روي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: « الرُّكبة من العورةِ» [ضعيف، رواه الدارقطني].

وما جازَ نظره مِن الرَّجل بالنِّسبة للرَّجل جاز لمسُهُ.

والشَّافعيَّة والحنابلةُ في المذهبِ يرونَ أنَّ الرُّكبة والسُّرَّةُ ليستا من العورةِ في الرَّجل، وإنَّما العورةُ ما بينهما فقط. لما روي عن أبي أيُّوب الأنصاريّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا فوقَ الرُّكبتين مِنَ العورةِ، وما أسفل السُّرَّة وفوقَ الرُّكبتين من العَورةِ». [رواه الدارقطني].

والرّواية الأخرى عند الحنابلة أنّها الفرجان استدلالاً بما روى أنس رضي الله عنه: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ حَسَرَ يومَ خيبر الإزار عن فخذِهِ حتَّىٰ أنِّي لأنظر إلىٰ بياضِ فخذِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام». [صحيح، رواه البخاري، وأحمد].

وجواز نظر الرَّجل مِنَ الرَّجل إلىٰ ما هو غير عورة منه مشروطٌ بعدم وُجُود الشَّهوةِ وإلاَّ حَرُمَ.

ويرى المالكيّة في المشهور عندهم أنَّ عورةَ الرَّجُل بالنِّسبةِ للرَّجل ما بين السُّرَّة والرُّكبة، وعليه فإنَّ الفخذَ عورةٌ لا يجوزُ النَّظَرُ إليها في المشهورِ عندهم، وقيلَ: لا يحرم وإنَّما يُكْرَهُ، وقيل: يكره عندَ مَن يستحيىٰ منه، بدليل: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كشفَ فَخِذَهُ عندَ أبي بكر وعُمَر رضي الله عنهما. ولما دخلَ عُثمان ﷺ سَتَرَهُ وقال: ألا أستَحِي من رجلٍ تَستحي منه الملائكةُ». [صحيح، رواه مسلم].

عورة الرجل بالنسبة للأجنبيّة

اختلف الفقهاءُ في عورةِ الرَّجل بالنِّسبة للأجنبيّةِ.

فيرى الحنفيّةُ أنَّ لها النَّظر إلىٰ ما عدا ما بين السُّرَّة إلىٰ الرُّكبة إن أمِنَت علىٰ نفسِها الفتنة. والمالكيَّةُ يرون أنَّ لها النَّظر إلىٰ ما يراهُ الرَّجُل من محرمهِ وهو الوجهُ والأطراف عند أمْنِ الفتنةِ.

أمّا الشّافعيّة فلا يجيزونَ لها النَّظر إلىٰ ما هو عورة وإلىٰ ما هو غير عورة منه من غير سببٍ، بدليلِ عموم آيةِ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ وبدليل ما روت أمّ سلمة ﵂ قالت: كُنْتُ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ ميمُونَة، فأَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بالْحِجَابِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «احتَجِبَا مِنْهُ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَلَيسَ أَعْمَىٰ لا يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا؟ فقالَ النّبيُّ ﷺ: «أفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟».

والقول الرَّاجح عند الحنابلة يجيزُ نظرَ المرأةِ إلىٰ ما ليسَ بعورة من الأجنبيِّ، لحديث عائشةَ رضي الله عنها: «كانَ رسولُ الله ﷺ يَسْتُرني بردائِهِ، وأنا أنظُرُ إلىٰ الحبشةِ يَلعبونَ في المسجدِ». [صحيح، رواه البخاري، ومسلم].

عورة الصَّغير والصَّغيرة

يَرَى الحنفيّةُ أنْ لا عورةَ للصَّغير والصَّغيرة جدّاً، وحدَّد بعضهم هذا الصِّغَرَ بأربع سنواتٍ فما دونها، ثمَّ إلىٰ عشرِ سنين يعتبر في عورتهِ مَا غَلُظَ مِنَ الكبير، وتكون عورتُهُ بعدَ العَشْرِ كعورةِ البالغين، ونَقَلَ ابنُ عابدين أنَّه ينبغي اعتبار السَّبع، لأمرهما بالصَّلاة إذا بلغا هذه السِّنَّ.

ويرى المالكيّةُ أنَّ الصَّغير ابن ثمان سنوات فأقلّ لا عورةَ له، فللمرأة النَّظر إلىٰ جميع بدنه حيّاً وأن تغسِّله ميّتاً، ولها النَّظر إلىٰ جميع بدنِ مَن هو بين التَّاسعة والثَّانية عشرة ولكن ليس لها غسلهُ، والبالغ ثلاث عشرة سنةً فما فوق عورته كعورة الرَّجل.

أمّا الصّغيرةُ فهي إلىٰ سنِّ السَّنتين وثمانية أشهر فلا عورةَ لها إذا كانت

رضيعةً، وأمَّا غير الرّضيعة إن كانت لم تبلغ حدَّ الشّهوة فلا عورةَ لها بالنِّسبة للنَّظر، أمَّا بالنّسبة للمسِّ فعورتها كعورة المرأة، فليس للرَّجل أن يغسِّلها، أمَّا المشتهاة فعورتُها كعورةِ المرأةِ بالنِّسبة للنَّظر والتَّغسيل.

وعورة الصَّغير في الصَّلاة السَّوأتان والعانَة والأليتان، فيندب له سترها، أمَّا عورة الصّغيرة فهي بين السُّرَّة والرُّكبة، وما زاد علىٰ ذلك ممّا يجب ستره علىٰ الحرّةِ فمندوب لها فَقَط.

والأصحّ عند الشّافعيّة حلّ النّظر إلىٰ صغيرة لا تُشْتَهَىٰ، لأنَّها ليست مظنَّة الشَّهوة، إلاَّ الفرج فلا يحلُّ النّظر إليه، وفرج الصَّغير كفرج الصّغيرة علىٰ المعتمد، واستثنىٰ ابنُ القطّان الأمّ زمَنَ الرّضاع والتّربية للضّرورة، وينبغي أن تكونَ المرضعةُ غير الأمِّ كالأمّ والأصحّ أنَّ الصّبيَّ المراهق في نظره للأجنبيّة كالرَّجل البالغ الأجنبيّ، فلا يجوزُ للمرأةِ أن تبرز له لقوله تعالىٰ: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ ومقابل الأصحِّ أنَّه معها كالبالغ من ذوي محارمها، وأمَّا غير المراهق، فإن لم يبلغ حدّاً يحكي ما يراه فكالعدم، أو بَلَغَهُ مِن غير شهوة كالمحرم، أو بشهوة فكالبالغ، وقالوا: إنَّ عورةَ الصَّغير في الصَّلاة ذكراً كان أو أنثىٰ، مراهقاً كان أو غير مراهق كعورة المكلَّف في الصَّلاة.

والحنابلة قالوا: إنَّ الصّغيرَ الَّذي هو أقلّ من سبع سنينَ لا عورةَ له، فيجوزُ النَّظر إلىٰ جميع بَدَنِهِ ومسِّه، ومن زادَ عن ذلك إلىٰ ما قبلَ تسع سنين فإنْ كانَ ذكراً فعورتُهُ القُبُل والدُّبر في الصَّلاة وخارجِها، وإن كانَ أنثىٰ فعورتُها ما بين السُّرَّة والرُّكبة بالنِّسبة للصّلاة. وأمَّا خارجها فعورتها بالنِّسبة للمحارم هي ما بين السُّرَّة والرُّكبة، وبالنِّسبة للأجانبِ مِن الرِّجال جميع بَدَنِها إلاَّ الوجه والرَّقبة والرَّأس واليدين إلىٰ المرفق والسَّاق والقَدَم. والله تعالىٰ أعلم.

عورة كلٍّ من الزوجين بالنسبة للآخر

لا خلافَ بين الفقهاءِ في أنَّه ليسَ أيّ جزء من بدنِ الزَّوجةِ عورةً بالنِّسبة للزَّوج وكذلكَ أي جزءٍ من بدنِهِ بالنِّسبة لها، وعليهِ يحل لكلِّ واحدٍ منهما النَّظر إلىٰ جميع جِسْم الآخرِ ومَسِّهِ حتَّىٰ الفَرج، لأنَّ وطأها مباحٌ، فيكونُ نظَرُ كلٍّ منهما إلىٰ أيِّ جزءٍ من أجزاء الآخرِ مباحاً بشهوةٍ وبدونِ شهوةٍ بطريق الأولىٰ، والأصل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ﴾ وما وردَ عن مُعَاوِيةَ بنِ حَيدَةَ قالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي وَمَا نَذَرُ؟ قال: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلاّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكْتَ يَمِينُكَ». قال قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قال: «إن اسْتَطَعْتَ أن لا يَرَيَنّها أحدٌ فلاَ يَرَيَنّها». قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً؟ قال: «اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَىٰ مِنْهُ مِنَ النَّاسِ». [رواه أبو داود، والترمذي].

لكنَّ الشّافعيَّةَ والحنابلةَ قَالُوا: يكرَهُ نظرُ كُلٍّ مِنْهُمَا إلىٰ فرجِ الآخَرِ، ونَصَّ الشّافعيّةُ علىٰ أنَّ النَّظرَ إلىٰ باطنِ الفَرْج أشدُّ كراهةً. وقال الحنفيّة: من الأدبِ أن يغضَّ كلٌّ مِنَ الزَّوجين النَّظرَ عَن فرج صَاحِبِهِ، واستدلّوا بما روي عنه ﷺ أنّه قالَ: «إذا أتىٰ أحدُكُم أهلَهُ فَلْيَستَتِر، ولا يَتَجرَّد تجرُّدَ العيرينِ». [رواه النسائي].

عورة الخنثى المشكل

الخنثىٰ المشكل الرَّقيق عند الحنفيّةِ كالأَمَةِ، والحرُّ كالحرّةِ، أي فيمَا هُوَ عَورة منها وفيمَا هو ليسَ بعورة، قالَ ابنُ عَابدين: يَنْبَغِي أن لا تكشف الخنثىٰ للاستِنْجَاءِ ولا للغسْل عندَ أحدٍ أصلاً، لأنَّها إنْ كشفت عندَ رَجُلٍ احتَمَل أنَّها

أنثىٰ، وإن كَشفَت عندَ أنثىٰ احتمَل أنَّها ذكرٌ.

والشَّافعيَّةُ يَروْنَ أنَّ الخنثىٰ المشكل يعامَل بأشدِّ الاحتمالين، فيجعل مع النِّساءِ رجلاً ومع الرِّجالِ امرأةً، ولا يجوزُ أن يخلُو به أجنبيٌّ ولا أجنبيّةٌ، وإن كانَ مملوكاً لامرأةٍ فهو مَعَها كَعَبْدِها.

وقال الحنابلةُ: الخنثىٰ المشكِل كالرَّجُل، لأنَّ ستر ما زادَ علىٰ عورةِ الرَّجل محتملٌ فلا نُوجب عليهِ حكماً بأمر محتَمَل متردّد فيه، والعورةُ الفرجانُ اللَّذان في قُبُلِه، لأنَّ أحدَهُما فرجٌ حقيقيٌّ، وليس يمكنُهُ تغطيتُهُ يقيناً إلاَّ بتغطيتهمَا، فوجب عليهِ ذلك كما يجبُ سَتْرُ ما قَرُبَ من الفرجين ضَرورة سَتْرِهِمَا.

العورة في الصّلاة

يجبُ سترُ العورةِ في الصّلاة لِكِلا الجنسين في حالِ تَوفُّر السَّاتر، لقولهِ تَعَالىٰ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال ابن عبّاس رضي اللهُ عنهما: المرادُ بالزّينة في الآية الثِّياب في الصّلاة. ولقولـه ﷺ: «لا يَقْبَلُ اللهُ صلاةَ حائِضٍ إلاَّ بخمار». [رواه أحمد] أي البَالِغَة، والثَّوب الرَّقيق الَّذي يَصِفُ مَا تَحْتَهُ مِنَ العورةِ لا تَجُوزُ الصَّلاةُ فيه لانكشافِ العورةِ. واللهُ تعالىٰ أعلم.

ما تستره المرأة في الإحرام

ذهبَ الفقهاءُ إلىٰ أنَّ المرأةَ مَا دامت محرمةً ليسَ لها أنْ تُغطِّي وجهَها إذْ وَرَدَ عَن ابنِ عُمَر ﷺ موقوفاً عليهِ: إحرامُ الرَّجُلِ في رأسِهِ وإحرامُ المرأةِ في وَجْهِها. وليسَ لها أنْ تَلْبِسَ القُفَّازين.

لمس الأجنبيّ أو الأجنبيّة

ذهبَ المالكيّةُ والشّافعيّةُ والحنابلةُ إلىٰ عدم جوَاز مسِّ الرَّجُل شيئاً من جسَدِ المرأةِ الأجنبيّةِ الحيّة، سواء أكانَت شابّةً أمْ عجوزاً، لما ورد: «أنَّ رسول الله ﷺ لم تمسّ يدُهُ يدَ امرأةٍ قطّ». [البخاري] ولأنَّ المسَّ أبلغ من النَّظر في اللّذَّة وإثارة الشَّهوة. ووافَقَهُم الحنفيَّة في حكم لمسِ الأجنبيّة الشّابَّة، وقالوا: لا بأسَ بمصَافَحةِ العجوزِ ومَسِّ يَدِها لانْعِدَام خوفِ الفتنةِ. واللهُ تعالىٰ أعلمُ وأحكمُ.

عورة الميّت

ذهبَ الفقهاءُ إلىٰ أنَّ عورة الميّتِ يحرم النَّظرُ إليها كحرمَةِ النَّظر إلىٰ عورةِ الحيّ: «لقول النَّبيِّ ﷺ لعليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ: لا تَنْظُر إلىٰ فَخِذِ حيٍّ ولا ميِّت». [صحيح، رواه أبو داود]. أمّا لمس الميِّت لتغسيلهِ فجائزٌ لمن يغسِّلهُ. واللهُ تعالىٰ أعلمُ.

النَّظر إلىٰ العورة لتحمّل الشّهادة

يُصرِّحُ المالكيّة والشّافعيّةُ والحنابلَةُ بجواز النَّظَرِ إلىٰ وجهِ المرأةِ الأجنبيّةِ عند الشَّهادة وعند البيع والشِّراء، وكذلك لها النَّظَرُ.

قال الشّربينيّ الخطيب: يجوزُ النَّظَرُ للشّهادةِ تحمّلاً وأداءً، هذا كلّه إنْ لم يخفِ الفِتْنَة فإنْ خَافَها لم ينظر إلاَّ إنْ تَعيَّن عليهِ فينظر ويضبط نَفْسَهُ، كما يجوزُ النَّظَرُ إلىٰ الفرج للشَّهادة علىٰ الزِّنىٰ والولادةِ، وإلىٰ الثَّدي للشَّهادة علىٰ الرِّضاع.

وقال ابنُ قُدَامَةَ: وللشَّاهد النَّظر إلىٰ وجهِ المشهود عليها لتكونَ الشَّهادة واقعةً علىٰ عينِها، قال أحمدُ: لا يَشْهَد علىٰ امرأة إلاَّ أن يكونَ قَد عَرَفَها بِعَينِها، وإنْ

عَامَلَ امرأةً في بيعٍ أو إجارةٍ، فلَهُ النّظر إلىٰ وجهِها ليعلَمَها بِعَينِها، وقَد روي عن أحمد كَرَاهة ذلك في حقِّ الشَّابَّة دون العجوز، ولعلَّه كرهَهُ لمن يخافُ الفتنَةَ أو يَسْتَغْنِي عن المعامَلَةِ، فأمَّا مَع الحاجةِ وعدم الشَّهوة فلا بَأس.

ويُصَرِّحُ الحنفيّةُ أنّه يجوزُ للقاضي إذا أرادَ أن يحكُمَ علىٰ امرأةٍ، وللشَّاهد إذا أرادَ أنْ يَشْهَدَ عليها النَّظر إلىٰ وجهِها وإنْ خافَ الاشتِهاءَ، للحاجَةِ إلىٰ إحياءِ الحقوق عن طريق القضاءِ وأداءِ الشّهادة.

أمَّا النَّظر لتحمّل الشّهادةِ فقيل يباحُ وإن أدَّى إلىٰ الاشتهاءِ، والأصحّ أنّه لا يُباح لانتفاءِ الضَّرورة، إذ يوجد من يؤدّيها دونَ الاشتهاءِ بخلافِ حالةِ الأداءِ وفي حالةِ الزِّنىٰ تنهضُ الحاجةُ للنَّظر إلىٰ العورةِ الغليظةِ لتحمّل الشَّهادة ثمَّ أدائها، إذْ لا يمكِنُ الشّهادَة علىٰ الزِّنىٰ بدونِ النَّظر إلىٰ هذهِ العورة، والحرمةُ تسقط لمكانِ الضَّرورة.

كشف العورة للحاجة الملجئة

ذهبَ جُمهورُ الفقهاءِ إلىٰ أنّه يجوزُ عند الحاجةِ الملجئةِ كشفُ العورةِ من الرَّجل أو المرأةِ، لأيٍّ مِن جِنْسِهما أو مِنَ الجنسِ الآخر، وقَالُوا: إنَّه يجوزُ للقابلةِ النَّظر إلىٰ الفرج عندَ الولادةِ أو لمعرفةِ البكارة في امرأةِ العِنِّين أو نحوها، ويجوز للطَّبيب المسلم إنْ لم تُوجَد طبيبةٌ أنْ يُدَاوي المريضةَ الأجنبيّةَ المسلِمَةَ، وينظر منها ويَلْمَس ما تلْجئ الحاجةُ إلىٰ نظره أو لمسِهِ، فإنْ لم توجَد طبيبة ولا طبيب مُسلِم جازَ للطّبيب الذِّمّيِّ ذلك.

ويجوز للطّبيبةِ أنْ تنظر وتلمس من المريضِ مَا تدعُو الحاجةُ الملجئةُ إلىٰ نظره إنْ لم يُوجد طبيبٌ يقوم بمداواةِ المريضِ.

واستدلّوا بما وردَ عَن عثمان بنِ عفّان رضي الله تعالىٰ عنه أنّه أُتِي بِغُلام قَد

سَرَقَ فَقَال: انظروا إلىٰ مؤتزرهِ، فنظروا ولم يجدوه أنبت الشَّعْرَ فلم يَقْطَعْهُ.

وقال المالكيّةُ: يجوزُ نظرُ الطّبيب إلىٰ محلّ المرضِ مِنَ المرأةِ الأجنبيّة، إذا كانَ في الوجهِ أو اليدين، وقيلَ ولو بفرجِها للدَّواء، كما يجوزُ للقابلة نظر الفَرْج، قالَ التَّتَّائيّ: ولي فيهِ وِقْفَةٌ، إذِ القابلَةُ أنثىٰ وهي يَجُوز لها نَظَرُ فرج الأنثىٰ إذا رَضِيَت.

كشف العورة عند الاغتسال

ذهبَ الفقهاءُ إلىٰ جوازِ كشفِ العورةِ عِنْدَ الاغتسالِ في حالِ الانفراد.

واستدلُّوا بما ورد عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «كانَت بَنُو إسرائيلَ يغتسلونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُم إلىٰ بعض وكانَ مُوسىٰ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ..». [صحيح].

السّلام على مكشوف العورة

ذهب الفقهاء إلىٰ أنّه يكره السّلامُ علىٰ مكشوفِ العورةِ ولو كانَ الانكشافُ لضرورةٍ، وأنّه لا يسلّم علىٰ من يَقْضِي حاجَتَهُ، وإنْ سلَّم عليهِ أحدٌ فلا يردّ عليهِ لما رَوَى ابنُ عمر رضي الله عنهما: «أنَّ رجلاً مرَّ علىٰ النّبيِّ ﷺ وهو يبولُ، فسلّم عليهِ فَلَم يردّ عليهِ ﷺ». [رواه مسلم].

الإنكار على مكشوف العورة

قالَ ابنُ عابدين: لو رأى شَخْصٌ غيره مكشوفَ الرُّكبة ينكِرُ عليهِ بِرفقٍ ولا يُنَازِعُهُ إنْ لجّ، وفي الفَخِذِ يعنِّفُهُ إنْ قَدِرَ علىٰ ذَلِكَ. ولا يَضْرِبهُ إنْ لجّ، وفي السّوأة يؤدّبه إنْ لجّ.

وقال ابن تيميّة: يلزمُهُ الإنكار علىٰ مكشوفِ العورة، إذْ هو من الأمرِ بالمعروفِ.

جروح في جبين الحجاب الإسلامي

جروحٌ في جبين الحجابِ الإسلامي! متىٰ؟ وكيفَ كانَ ذلكَ؟

حصلَ ذلكَ يَوم أنْ تَهاونَت الفتاةُ وحملت عباءتَها علىٰ ساعِدَيها أو كَتِفها لأنَّها تعيقَ الحركَةَ.

يومَ أنْ لَبِسَت الفتاةُ غطاءً شفافاً أو نِقَاباً لعدم رؤيةِ الطَّريق.

يومَ أن ارتَدَت الفتاةُ آخر موديلاتِ العباءةِ لجمالِ المنظَرِ وأصولِ الشِّياكةِ.

يومَ أنْ وَضَعَت الفتاةُ اللِّثامَ علىٰ جزءٍ مِنَ الوجهِ لتَبْقَىٰ العينَان وأعلَىٰ الأنف ظاهراً لإحساسها بالنَّقصِ.

يومَ أن لَبِسَت الفتاةُ التَّنورةَ الضَّيِّقةَ بفتحةٍ علىٰ أحدِ الجانبين يَتَصَيَّد عورتها شبابٌ فارغُونَ.

يوم أن ارتدت الحجاب، ووضَعت في عينيها الكحلَ، وعلىٰ وجهِها المساحيق والألوان. فكيف يجتمعانِ.

يومَ أنْ لَبِسَت حجاباً، وارتَدَت بنطالاً، وأيُّ بنطال إنَّهُ بنطالُ الجينز الضَّيِّق الذي يَصفُ عَورَتَها.. ويحجِّمُ سوءتَها..!

يوم أن خرجتِ الأمُّ الكبيرة العجوزُ بكامل حِجَابِها لا يَرى منها أحدٌ شيئاً، وسارَت ابنتُها الصبيَّةُ المشتهاةُ بجانبها بكامِلِ زينَتِها..!

يومَ أنْ طَرَّزت الفتاةُ عباءتَها القصيرةَ بخيوطٍ سوداء في أطرافِها تحمل أوَّل حرفٍ مِن اسمها (M) وباللغة الإنجليزية بلون ذهبي حباً في كلِّ جديدٍ.

يومَ أن تَفنَّنت الفتاةُ في نِقَابها علىٰ أشكالٍ مختلفةٍ.

يومَ أنْ شَاركت الفتاةُ في لبسِ التِّريكو تقليداً للفَضَائيات..

يـومَ أنْ قَلَّـدت الفتـاةُ بلبس البنطلُـون والجيـنز وَالاسـترتش والمينِـي جيـب.. والميكرو جِيب قَد حَدَّد جِسْمَها جهلاً بالحلالِ والحرَام.

يومَ أنْ خَرَجَت الفتاةُ بثوبٍ قصيرٍ أظهَرَ قَدَميها علىٰ كعبٍ له صوتٌ مسموعٌ تُسَاير رفقتها السَّيئة.

يومَ أنْ ألحَّت الفتاةُ في لبس الكابِ بحجةِ رِقَّة العباءةِ وشَفَافيتِها.

يوم أن أظهَرَت الفتاةُ يَدَيها دونَ لبسِ القُفَّازين فِتْنَةً للباعَةِ وهي الخَاسِرَة.

أختي المباركة.. جـروحٌ في جبينِ الحجابِ تُحَاكي رجلاً نَزَعَ أسـفَلَ حِذَائـه واكتفىٰ بأعلاه كيفَ يَتَّقي الأشواكَ والأوسَاخ؟

تمادَت الفتاةُ في المشاهِد السَّابقة لكن إلىٰ أين؟ ومن المستَفيدُ؟

جـروحٌ ربّمـا حققَـت الـهدفَ الغَربـيَّ في مخططاتـهِ ومؤامراتـهِ، لِتَخْـرُجَ الفتـاةُ المسلمةُ سافرةَ الوجـهِ.. نَاشِـرَةَ الشَّـعر.. كاشـفَةَ السَّـاق.. متمايلـةَ المشـيةِ مُتَزَيِّنـةً متعطرةً.. تَلْفِتُ الأنظارَ وتُثيرُ الفتنَةَ قَد استجَابت ويكـلِّ سهولةٍ لتقسيطِ الحجابِ لتعيشَ التَّبذُّلَ الممقوت وتَصيدَ الأعينَ الخائنة..

قارئتي الكريمة.. كم هو جميلٌ.. هذه الملتزمةُ وقد أحسَنَت في لبس حجَابِها أن يكـون فَضْفَاضـاً قـد زَيَّنتـهُ بِلبـس الجـواربِ والقُفَّـازين فَكَـنَّ لـها الجميـعُ الاحـترامَ والتَّقدير والإكبارَ والإجلال، وقَد صَمَدَت أمامَ الهجمات الشَّرسه لنزع الحجـابِ كـالطودِ الشَّـامخ تحفـظُ كيـانَ المجتمـع مـن الانـهيارِ والانحرافِ لا تَقْبَـل النِّقـاش أو المساومةَ علىٰ الحجاب، فَخر الفتاةِ وعنوان الطّهر والنَّقاء.

فكانَ الحجابُ الإسلاميُّ بحقٍّ علىٰ نَفْسِها الصّالحة أبردَ مِنَ الثّلج وألـذَّ مِنَ العَسَلِ..

لغة العيون

خاص جداً للمنقبات وللعيون مظهرات

تُعَدُّ لُغَةُ العيونِ مِن أبلغ اللُّغَاتِ، وقَد تُغْني كثيراً عَنِ اللِّسان، بَل إنَّ العيونَ لها كلامٌ تنطقُ بهِ هُو أقوى مِنَ اللِّسان فهي تَتَجَاوَزُ حدودَ اللُّغات واللَّهجاتِ بِلُغَةٍ صامِتَةٍ لها مَفْعُولُ السِّحرِ في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ.

نعم إنَّ العيونَ تتكَلَّمُ، وإنَّ نظرةً واحدةً يَخْتَلِفُ حالُها وتعبيرُها، فهذِهِ نظرة إعجابٍ، وهَذِهِ نَظْرَةُ سخريةٍ، وهذه نظرةُ غضبٍ، وغير ذلك مِمَّا يَفْهَمُهُ النَّاسُ بعضُهُم مِن بعض مِن حَديثِ العيونِ دُونَ حاجةٍ إلى إفصَاح اللِّسانِ.

وإنَّك لَتَعْرفُ مِنَ الشَّخصِ أنّه غَارِقٌ في الخيالِ مِن خلالِ عَينيهِ، وتَعْرفُ خَوْفَهُ مِن عَينَيهِ، وتَعْرفُ حُبَّهُ مِن عَينَيهِ، والحياءُ أيضاً يُعرفُ في العينينِ، وكذلكَ الفرحُ والسُّرُورُ في العينينِ، والخيانَةُ تُعْرفُ أيضاً في العينينِ قَالَ تَعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعينِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] وتَتَميَّز لغةُ العيونِ بأنَّها سَريعةُ الوصُولِ مِن الْمُرْسِلِ إلىٰ الْمُسْتَقْبِلِ، قَوِيّة الأثرِ، وهي مَعَ ذلكَ قَصيرة الوَقْتِ إذْ قَد لا تَسْتَغْرِق ثَواني مَعْدُودة، ومَع ذلكَ تَنْفُذُ إلىٰ القَلْبِ فَهِي سهمٌ لا يُخْطِئُ أبداً ورسالةٌ أبلَغُ في التَّأثيرِ منَ السِّحرِ، ولأَجْلِ ذلكَ فَقَد وضَعَ الإسلامُ الضَّوابطَ للنَّظر إذْ أنَّ إطلاقَ المرءِ لِبَصَرِهِ دونَ حُدُودٍ أو ضَوابِطَ يُؤدِّي بهِ إلىٰ القَلَقِ والحسرَةِ والنَّدَامَةِ.

ولَقَد أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّجالَ وَالنِّساءَ بِغَضِّ البصرِ قالَ تَعالىٰ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا..﴾ [النور:٣١].

فكمَا يجبُ علىٰ الرَّجُل أنْ يَغُضَّ مِن بَصرِه عمَّا حرَّمَ اللهُ، فكَذلكَ المرأةُ أيضاً عليها أنْ تَحْفَظَ نَظَرَها وتَغُضَّ مِن بصَرها عَن الرِّجَالِ الأجانِبِ، وقَد بَيَّنَ الإسلامُ حُدُودَ نَظَرِ الفجاَةِ، فَالنَّظرَةُ الأولىٰ لَكَ والأخرَى عليكَ. قال النبيُّ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُوْلَىٰ، وَلَيسَت لَكَ الآخِرَةُ».

[حديثٌ حسنٌ، رواه أبو داود].

يقولُ القرطبيُّ في تفسيرِهِ: البَصرُ هُوَ البابُ الأكبرُ إلىٰ القَلْبِ، وأعْمَرُ طرقِ الحواسِّ إليهِ، وبِحَسَبِ ذلكَ كثُرَ السُّقُوطُ مِن جِهَتِهِ.

فَوَجَبَ التَّحذيرُ منهُ، وغَضُّهُ وَاجِبٌ عَن جميعِ المحرَّماتِ، وكلِّ مَا يخشَىٰ الفِتْنَةَ مِن أجْلِهِ، وقَد قَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِن مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيها، قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيتُمْ إلاَّ الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

[أخرجه البخاري ومسلم].

وروى الأوزاعي قالَ: حَدَّثني هارونُ بنُ رئاب أنَّ غَزْوانَ وأبا مُوسىٰ الأشعري كانَا في بعضِ مَغَازيهم، فكَشَفَت جاريةٌ فَنظَرَ إليها غزْوَان، فَرفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَ عَينَهُ حتَّىٰ نفرَت، فَقَالَ: إنَّكِ لَلَحَّاظَةٌ إلىٰ مَا يَضُرُّكِ وَلا يَنْفَعُكِ، فَلَقِيَ أبا مُوسَىٰ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: ظَلَمْتَ عَينَكَ، فَاسْتَغْفِرَ اللهَ وَتُب، فَإِنَّ لَها أَوَّلَ نَظْرَةٍ وَعَلَيها مَا كانَ بَعْدَ ذلكَ.

قالَ الأوزاعيُّ: وكانَ غَزْوانُ مَلكَ نَفْسِهِ فَلَم يَضْحَك حتَّىٰ مَاتَ رضي الله عنه.

وفي صحيح مُسلم عَن جَرير بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عَن نَظْرَةِ الفجاءةِ، فَأمَرني أنْ أصْرِفَ بَصَري.

وهذا يُقَوِّي قَولَ مَن يقولُ: إنَّ ﴿من﴾ للتَّبعيضِ، لأنَّ النَّظرَةَ الأولىٰ لا تُمْلَك فَلا تَدْخُل تَحْتَ خِطَابِ التكليفِ، إذْ وقُوعُها لا يَتَأتىٰ أنْ يكـونَ مَقْصُـوداً في الغالبِ، فَلا تكون مكْتَسَبَةً فَلا يكونُ مكَلَّفاً بِها، فَوَجَبَ التَّبعيضَ لِذَلِكَ، ولَم يَقُل ذَلِكَ في الفَرْج، لأنَّها تُمْلَكُ.

ولَقَد كَرِهَ الشَّعبيُّ أنْ يُديمَ الرَّجُلُ النَّظَرَ إلىٰ ابنَتِهِ أوْ أمِّهِ أو أختِـه، وزَمَانُهُ خَيرٌ مِن زَمَانِنَا هَذا وحَرَامٌ علىٰ الرَّجُل أنْ يَنْظُرَ إلىٰ ذاتِ مَحْرَم نَظَرَ شَهْوَةٍ يُرَدِّدُها. ا. هـ

ومَع انتِشَارِ النِّقَابِ الذي يكشفُ عَن العينينِ في أوسَاطِ بعضِ النِّساءِ مِمَّا عَمَّتِ بِهِ البلوى وأصبَحَ مِن أكبر دَواعِي الفِتَنِ لأنَّه يُتيحُ إطلاقَ النَّظَرِ مِنْها وإليها، ومِمَّا يَدْعُو إلىٰ العَجَبِ أنهُ إذا كانَ الرِّجالُ لا يَسْمَحُونَ لِنِسَائِهِم بالحديثِ مَع الرِّجالِ الأجانبِ فكَيفَ يَسْمَحُونَ مِن خِلالِ العيونِ؟

وفي نَظَري أنَّ ارتداءَ المرأةِ للنقابِ ـ المظهرِ للعيون ـ لَهُ أسبابٌ عديدةٌ مِنْها:

١ - ضعفُ الوازع الدِّيني لَدَى المرأةِ، فَقَد وَرَدَت النُّصُوصُ في الكتابِ والسنَّةِ في نَهْي المرأةِ عَن إبداءِ زينَتِها للرِّجَالِ الأجَانِبِ، وأيُّ زينَةٍ أكبرُ مِنَ العيونِ؟ فَقَد تَغَنَّىٰ بها الشُّعراءُ قديماً وحديثاً وفيها قال جريرُ:

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثمَّ لَم يحيينَ قَتْلانَا

وقال آخرُ:

هذي العيونُ، وذلك القَدُّ ... والشّيحُ والرّيحان والنَّدُّ

هذي المفاتنُ في تناسُقها ... ذكرى تَلُوحُ، وعِبْرَةٌ تَبْدو

سبحانَ من أعطَىٰ، أرى جسداً | إغـــراؤه للنَّفْـــس يَحْتَـــدُّ
عينـــانِ مـــا رَنَتـــا إلىٰ رَجُـــلٍ | إلاَّ رَأيـــت قُـــوُاه تَنْـــهَدُّ

وقَد أفتىٰ العُلَمَاءُ بتحريم النِّقَابِ عَلىٰ الهيئةِ الَّتي تَلبسها النِّسَاءُ في الوقتِ الحاضرِ لما فيهِ مِنَ الفِتْنَةِ، ولأنَّـهُ ذريعة إلىٰ التَّوسُّع فيمَا لا يَجُوزُ وهُوَ مِن أسبابِ تَحديقِ النَّظرِ إليها وفِتْنَتِها وَوَسيلَة إلىٰ الفسادِ وهَذا أمرٌ مُشَاهَدٌ ولا يُنكِرُهُ إلاّ مكَابرٌ.

٢ - ضَعْفُ الغيرةِ عِنْدَ وليّ المرأةِ زوجاً كـانَ أو أباً أو أخاً، لأنَّ الـذَّبَّ عَن المرأةِ وَصِيَانَتِها عَن عُيونِ الرِّجالِ الأجانبِ مُهِمَّةُ وليِّها، والنِّساءُ لَحْمٌ عَلىٰ وَضَم إلاّ مَا ذُبَّ عَنْهُ، وإنَّ رَجُلاً يَفْرَحُ بِنَظَرِ النَّاسِ إلىٰ زينَةِ امرأتِهِ قَد تَرحَّلَتِ مِن قَلْبِهِ الغَيرَةُ.

٣ - التقليـدُ واتِّبـاعُ الهـوَى، فَبَعْـضُ المنقَّبـاتِ لا يَفْعلـنَ ذَلِـكَ إلاّ تَقليـداً لزميلاتِهِنَّ أو قَريبَاتِهِنَّ دونَ أنْ يُدركنَ خُطُورَةَ الأمرِ وَضَرَرِهِ.

٤ - الشُّعُورُ بالنَّقصِ وَالبَحْث عَن الجمالِ، فَالمتَنقِّبَةُ تَـرَى أنَّـها تَلْفِتُ الأنظارَ عِنْدَمَا تَرْتَدِي النِّقَابَ، وهُوَ وَسيلَةٌ إلىٰ إخفَاءِ العيوبِ ومُخادَعَةِ النَّاس بأنَّ لابسَهُ لَهُ حظٌّ مِنَ الجمالِ وَقَد لا يكونُ كَذَلِكَ، بل يكونُ عكسُهُ تماماً، ولذلِكَ فإنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ اللاتي لم يكُن يَلْبِسنَ غِطَاءَ الوجهِ أصلاً أصْبَحْنَ يَرْتَدينَ النِّقَابَ لأنَّهُ يُظْهِرُ العينينَ فَقَط ويُوهمُ الرَّائي بأنَّ خَلْـفَ النِّقَابَ جَمالاً أكثَرَ وأكَادُ أجزمُ أنَّ بَعْضَ المنقَّباتِ قَد يَصْدُقُ فيهنَّ المثلُ القائلُ:

« ذكَّرني فُوكِ حِمَاري أهْلِي » وقِصَّةُ هذا المثلِ أنَّ رَجُلاً خَرَجَ يطلبُ حمـارينِ ضَلاَّ لَهُ، فرأى امرأَةً مُتَنقِّبَةً فأعجَبَتْـهُ حتَّىٰ نَسِيَ الحمـارين فَلَـم يَزَل يَطْلُب إليها كَشْفَ وَجْهها حتَّىٰ سَفَرَتَ لَـهُ عَـن وَجْهِها، فإذا هِيَ فَوهـاءُ فَحِينَ رَأى أسنَانَها تَذكَّرَ الحمارينِ، فَقَالَ: ذكَّرني فُوكِ (أي فمكِ) حِمَاري أهْلِي! واللهُ أعلم.

أَسْمِعِيني.. يا أُخَيَّة

محمد بن عبد الرحمن المقرن:

أسْـــمِعِيْنِي يَـــا أُخَيَّـــة صَرْخَـــةَ النَّفْـــسِ الأبيَّـــهْ
أسْـــمِعِيْنِي العِـــزَّ شَـــدْواً يُطـــرِبُ النَّفْـــسَ الشَّـــجيِّهْ
أسمِعِيْنِـــــي مِنْـــــكِ لا لَـــن أرْتَضِـــي عيْـــشَ الدَّنِيَّـــهْ
أنَـــا بالإيمـــانِ يُمْنَـــىٰ في دَمِـــي نَـــارُ الحميَّـــهْ
وَارِفٌ قَلْبِـــي وَرُوحِـــي بِـــالهُدَى رُوحٌ نَدِيَّـــهْ
في ثيـــابِ الطُّـــهرِ تَزْهُـــو بَسْـــمَةُ الحـــبِّ النَّقيَّـــهْ
مَـــا شَـــجَانِي نَـــاعِقٌ لم يُبْـــقِ لِلطُّـــهْرِ بقيَّـــهْ
مَـــا شَـــجَانِي مَـــا أرَاهُ مِـــن لحـــومٍ عَرَبِيَّـــهْ
تَقْتُـــلُ الطُّـــهْرَ جِـــهَاراً وَتَـــرَى السِّـــتْرَ قَضِيَّـــهْ
قَـــد كَرِهْـــتُ الحـــبَّ إنْ مَـــا كُنْـــتُ بـــالحبِّ شَـــقِيَّهْ
صَـــادِقٌ حُبِّـــي لأنِّـــي لم أخُـــنْ للهِ نِيَّـــهْ
لؤلـــؤُ القَـــاعِ أنَـــا لســـ ـــتُ علـــىٰ الشَّـــطِّ رَمِيَّـــهْ
أسْـــمِعِيْنِي لَسْـــتُ أرْضَـــىٰ العَيْـــشَ عَيْـــشَ الهَمَجِيَّـــهْ
سَـــابقي خَيْـــلَ الأمَـــانِي وأركَبِـــي أغلَـــىٰ مَطِيَّـــهْ
زادُكِ الإيمـــانُ تَمْضِيـــ ـــنَ بِقَصْـــدٍ وَرَوِيَّـــهْ
لا تُبَـــالي بِالدَّعَـــاوى والأبَـــاطِيل الدَّعِيَّـــهْ

ليـــسَ حُبّـــاً أنْ تكُونِـــي حيثُمَـــا كَـــانُوا بَغِيَّـــهْ
ليـــسَ حُبّـــاً أنْ تكُونِـــي مِثْلَمَـــا كـــانُوا غَبِيَّـــهْ
أنـــتِ أعْلَـــىٰ أنـــتِ أغْلَـــىٰ أنـــتِ أنْقَـــىٰ يَـــا أُخيَّـــهْ
شـــرفُ الحـــبِّ حَمَـــاهُ الشَّـــرعُ أنْ يُرْمَـــىٰ بنيَّـــهْ
صَانَـــهُ "الُمختـــارُ" يَومـــاً حَسْـــبُكُم هـــذِي صَفِيَّـــهْ
يَرْفُـــلُ الحـــبُّ بِدِيْـــنِ اللّـــهِ في أحْلَـــىٰ سَـــجِيَّهْ
أنـــتِ إنْ صُنْـــتِ الَّـــذِي صُنْـــتِ بِمَـــا صُنْـــتِ نَقِيَّـــهْ
أنـــتِ إنْ كنـــتِ كمَـــا كُنـــتِ بِمَـــا كُنـــتِ عَنِيَّـــهْ
أَسْـــمِعِينِي إنَّنِـــي مَـــنْ كُنْـــتَ تَرْجُوهَـــا أبِيَّـــهْ
وَأَسْـــمَعِينِي عِنْدَهَـــا أُهْـــدِيْـــكِ إعْجَـــابِي تحيّـــه

❖ ❖ ❖

أحكامٌ في زينة المرأة

اعلمي أختي في اللهِ أنَّهُ يُطْلَبُ مِن المرأةِ أنْ تفعلَ من خصالِ الفِطْرَةِ ما يختَصُّ بها ويليقُ بِها مِنْ ذلكَ:

١ - قَصُّ الأظافرِ وتعاهدها، لأنَّ تَقْليم الأظافرِ سُنَّةٌ بإجماع أهْلِ العِلْم لأنَّهُ مِن خصالِ الفِطْرَةِ الواردة في الحديثِ ولما في إزالَتِها مِنَ النظافةِ والحُسن. ومَا في بقَائِها طويلة مِن التَّشويه والتَّشبّه بالسِّباع وتراكُم الأوساخ تَحْتَها ومَنْع وصولِ ماءِ الوضوءِ إلىٰ ما تَحتها. وبعضُ المسلماتِ قَد ابتُلينَ بِتَطْويلِ الأظافرِ تقليداً للكافراتِ وجهلاً بالسُّنَّةِ.

٢ - ويطلبُ من المسلمةِ أيضاً تَوفير شعرِ رأسِها ويَحْرُمُ عليها حَلْقُهُ إلاَّ مِن ضَرُورةٍ. كما قَالَ الشيخ محمد بن إبراهيم في «مجموع الفتاوى»: (وَأمَّا شَعْرُ رؤوسِ النِّساء فلا يجوزُ حَلْقُهُ لما رواه النَّسائي في سُننه بسندهِ عَن عليٍّ رضيَ الله عنه، ورواه البزار بسنده في مسنده عَن عثمان رضي الله عنه، ورواه ابنُ جَرير بسنده عن عكرمة قالوا: «نَهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تَحلِقَ المرأةُ رَأسَها». والنَّهي إذا جاءَ عن النَّبِيِّ فإنه يقتَضِي التَّحريم ما لم يَرِد له معارضٌ.

وقَال ملاَّ علي قاري في المرقاة شرح المشكاة: (قوله: «أنْ تَحلِقَ المرأةُ رأسَها» وذلك لأنَّ الذوائب للنِّساء كاللِّحىٰ للرجال في الهيئة والجمالِ).

وأمّا قصُّ المرأةِ شَعْر رأسِها فإنْ كان لحاجة غَير الزِّينة - كأنْ تَعْجَز عَن مؤنَتِهِ أو يَطولُ كثيراً ويَشُقّ عَليها - فلا بأسَ بِقَصِّهِ بِقَدَرِ الحاجةِ. كمَا كانَ بعضُ أزواج النَّبيِّ يَفْعَلْنَهُ بعدَ وفاتِهِ لتركهِنَّ التَّزينَ بعدَ وفاتِهِ ﷺ واستغنائهن عَن تطويلِ الشَّعر.

وأمَّا إنْ كانَ قَصْدُ المرأةِ مِن قصِّ شَعْرِها هو التَّشبهُ بالكافراتِ والفَاسِقَات أو التَّشبه بالرِّجال فهذا محرَّم بلا شكٍّ للنَّهي عن التَّشبه بالكفَّار عموماً وعن تَشَبُّهِ المرأةِ بالرِّجال. وإنْ كانَ القَصْدُ منه التَّزين فقال بعضُهم: لا يَجُوزُ.

قال الشيخ محمدُ الأمين الشنقيطي رحمهُ اللهُ في أضواء البيان: (إنَّ مِنَ العُرْفِ الَّذي صارَ جارياً في كثيرٍ مِنَ البلادِ بِقَطْع المرأةِ شَعْرَ رأسِها إلىٰ قربِ أصولهِ سُنَّةٌ إفرنجيَّة مخالفة لما كانَ عليه نساءُ المسلمينَ ونِسَاءُ العربِ قَبْلَ الإسلام. فهوَ من جملةِ الانحرافاتِ التي عَمَّتِ البلوى بها في الدِّين والخلق والسَّمت وغير ذلك).

ثم أجابَ عَن حديث: (أنَّ أزواجَ النَّبيِّ يأخذن من رؤوسِهِنَّ حتَّىٰ تكون كالوفرة. بأنَّ أزواج النبيِّ إنما يقصِّرنَ رؤوسهن بعد وفاتِهِ لأنَّهن كُن يَتَجمَّلن في حياتِهِ ومن أجمل زينتهن شعورهن، أمَّا بعدَ وفاتِهِ فلهن حكمٌ خاصٌّ بهنَّ لا تشاركهن فيه امرأةٌ واحدةٌ من نساءِ جميع أهلِ الأرض وهو انقِطَاعُ أملِهن انقطاعاً كلياً من التَّزويج ويأسِهِنَّ منهُ اليأسَ الَّذي لا يمكن أنْ يُخالِطَهُ طمعٌ. فهنَّ كالمعتداتِ المحبوساتِ بسببهِ إلىٰ الموتِ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزوَاجَهُ مِن بَعدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُم كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٥٣] واليأس من الرِّجال بالكلِّية قد يكونُ سبباً للتَّرخيص في الإخلال بأشياء مِنَ الزِّينة لا تَحِلُّ لغير ذلك السَّبب. كما لا يجوزُ للمرأةِ أنْ تُطيع زَوْجَها إذا أمرها بذلكَ لأنَّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق).

وعلىٰ المرأة أنْ تَحتَفِظ بشعرِ رأسِها وتعتَني بِهِ وتجعلهُ ضَفَائِرَ، وهو الأولىٰ.

۞ وكَما تُمنع المرأةُ المسلمةُ من حلقِ رأسها أو قَصِّهِ مِن غيرِ حَاجَةٍ فإنَّها تُمْنَعُ مِن وصْلِهِ والزِّيادة عليهِ بِشَعْرٍ آخَر، لما في الصَّحيحين: «لعنَ رَسُولُ اللهِ الوَاصِلَةَ والمستَوْصِلَةَ» والواصلةُ: هي الَّتي تَصِلُ شَعْرَها بشعرِ غَيرِها، والمستَوصِلَة: هي

التي يُعْمَلُ بِها ذلكَ، لما في ذلكَ مِنَ التَّزوير.

۞ ومن الوصل المحرَّم لبسُ الباروكةِ المعروفةِ في هذا الزَّمان. روى أحمد وغيره: أنَّ مُعَاوِيةَ خَطَبَ لما قَدِمَ المدينَةَ وأخرجَ كُبَّةً مِن شَعْره فقَالَ: مَا بالُ نِسَائِكُم يجعلن في رُؤوسِهِنَّ مثل هَذا؟! سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «أيُّمَا امْرَأةٍ أدْخَلَتْ فِي شَعْرِها مِن شَعْرٍ غَيرِها، فَإِنَّمَا تُدْخِلُهُ زُورًا». والباروكةُ شعرٌ صِنَاعيّ يشبهُ شَعْرَ الرَّأس، وفي لبسها تزويرٌ. واللهُ تعالىٰ أعلم.

٣- ويحرمُ علىٰ المرأةِ المسلمةِ إزالة شَعْرِ الحاجبين أو إزالةِ بَعْضِهِ لأنَّ هذا هو النَّمصُ الَّذي لَعَنَ النبيُّ مَن فَعَلَتْهُ، فَقَد لعنَ النبيُّ ﷺ «النَّامصَةَ والمتنمِّصَةَ». و(النامصةُ): هي التي تُزيلُ شَعر حاجبيها أو بعضه للزِّينة ـ في زعمها ـ و(المتنمصة): هي التي يُفْعَلُ بِها ذَلِكَ. وهَذا أيضاً مِن تَغيير خَلْقِ اللهِ الَّذي تَعَهَّدَ الشيطانُ أنْ يَأمرَ بِهِ بني آدم حيثُ قَالَ كما حكاهُ اللهُ تَعالىٰ عَنْهُ: ﴿وَلَآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلقَ اللهِ..﴾ [النساء: ١١٩].

وفي الصحيحِ عَن ابنِ مَسعُود أنَّهُ قَالَ: لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، قَالَ فَبَلَغَ ذلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أسَدٍ، يُقَالُ لَها: أُمُّ يَعْقُوبَ، وكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَينَ لَوْحَي الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فقَالَتِ الْمَرْأَةُ:

فَإنِّي أرَى شَيئاً مِنْ هَذَا عَلَىٰ امْرَأتِكَ الآنَ، قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي، قَالَ فَدَخَلَت عَلَىٰ امْرَأةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شَيئاً، فَجَاءتْ إلَيهِ فَقَالَتْ: مَا رَأيتُ شَيئاً، فَقَالَ: أمَا لَوْ كَانَ ذلِكِ، لَمْ نُجَامِعْها. ذكرَ ذلكَ ابنُ كَثير في تفسيرِهِ.

وقد ابتلي بهذهِ الآفةِ الخطيرة الَّتي هي كبيرةٌ مِن كبائرِ الذُّنوب كثيرٌ مِنَ النِّساء اليومَ حتَّىٰ أصبحَ النَّمصُ كأنَّهُ مِنَ الضَّروريات اليوميةِ. ولا يجوزُ لها أنْ تُطيعَ زوجَها إذا أمرَها بذلكَ لأنَّهُ مَعْصيَةٌ.

(ملاحظة): يُستثنىٰ من تحريم النَّمص، إزالةِ ما نَبتَ في وجهِ المرأةِ، مِن لحيةٍ، وشاربٍ، فلا يَحْرُمُ إزالتهُمَا، بَل يُستَحَبّ، لأنَّ النَّهي إنما هُو لما في الحواجبِ، وما في أطرافِ الوجهِ.

٤- ويحرمُ علىٰ المرأةِ المسلمةِ تفليج أسنَانِها للحُسنِ بأنْ تبردها بالمبرَدِ حتىٰ تُحدثَ بينها فرجاً يسيرةً رغبةً في التَّحسين، أما إذا كانت الأسنان فيها تشويهٌ وتحتاج إلىٰ عمليةِ تعديل لإزالةِ هذا التَّشويه، أو فيها تَسَوُّس واحتاجَت إلىٰ إصلاحِها مِن أجل إزالةِ ذلكَ فلا بأسَ، لأنَّ هذا من بابِ العِلاج وإزالةِ التَّشويه ويكون ذلك علىٰ يدِ طبيبةٍ مختصةٍ.

٥- ويحرمُ علىٰ المرأةِ عَمَلَ الوشم في جِسْمِها، لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَعَنَ الوَاشِمَةَ والمستوشِمَةِ، كما في الصحيح، و(الواشمةُ): هي الَّتي تَغْرِزُ اليدَ أو الوجهَ بالإبر ثم تَحْشُو ذلك المكانَ بالكحلِ أو المداد، و(المستوشمة): هي التي يُفْعَلُ بها ذَلِك. وهذا عملٌ محرَّمٌ وكبيرةٌ مِن كبائرِ الذُّنوب، لأنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ مَن فَعَلَتْهُ أو فُعِلَ بها ذلكَ، واللَّعن لا يكونُ إلاَّ علىٰ كبيرةٍ مِنَ الكَبائرِ، ومكان الوَشْم قَالَ الفقهاءُ: يصيرُ متنَجِّساً، فإن استطاعَت أنْ تُزيلَهُ وجبَ علَيها، وإلاَّ فَلا..

٦- ويحرم علىٰ المرأة أن تتشبَّهَ بالرِّجالِ، وتشبّه النِّساء في الرِّجَال إنما يكونُ بالزِّي واللِّباس، وبَعْض الصِّفات: (كتكلُّفِ الخشُونَةِ، والرُّجُولةِ، وحلْق الشَّعر، ونَحْوِ ذَلِكَ مما عليهِ الرِّجَالُ في العادةِ).

وهذا التشبّه حرامٌ، بَل هو كبيرةٌ من الكبائر، لورودِ اللَّعنِ لِفَاعِلِه. فَعَن ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّهُ لَعَنَ المتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّسَاء بالرِّجَالِ، وَالمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاء». [رواه أبو داود، والترمذي].

وهو أيضاً من المنكرات التي انتشرَت وشَاعَت بينَ المسلمينَ ولا حولَ ولا قُوَّة إلاَّ بِاللهِ العليِّ العظيم.

أمَّا أن تَتَشَبَّه المرأةُ بهم في الرَّأي والعلم، فإنَّ التَّشبُّهَ بهم في هذا المجال محمودٌ، كمَا رُوي «أنَّ عائِشَةَ رضي اللهُ عَنْها كانَت رَجلَةَ الرَّأي» أي رأيُها كَرأي الرِّجال علىٰ ما في النِّهايةِ.

٧- أمَّا حكم الخِضَاب للنِّساء وصَبغ الشَّعر بغير السّوادِ فقد قالَ الإمامُ النَّووي في المجموع: (أما خضابُ اليدينِ والرِّجلين بالحنَّاءِ، فمستَحَبٌّ للمتزَوِّجةِ مِنَ النِّساء للأحاديثِ المشهورة فيهِ).

يشير إلىٰ ما رواه أبو داود، عَن عَائِشَةَ، قَالَت: أَوْمَأَتِ امْرَأَةٌ مِن وَرَاء سِتْرٍ بِيَدِها كِتَابٌ إلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَبَضَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: «مَا أَدْرِي أَيَدُ رَجُلٍ أَمْ يَدُ امْرَأَةٍ». قَالَت: بَل امْرَأَةٌ. قَالَ: «لَوْ كُنْتِ امْرَأَةً لَغَيَّرْتِ أظْفَارَكِ». يَعني بِالْحِنَّاءِ. [أخرجه أبو داود والنسائي] لكن لا تصبغ أظفارَها بما يَتَجَمَّد عليها ويمنع الطَّهارة كالصِّبغة المسماة «بالمنوكير».

وأمَّا صبغ المرأةِ شَعْرَ رأسِها، فإنْ كانَ شيباً، فإنها تَصْبِغُهُ بِغَيرِ السَّواد لعموم

نَهيهِ ﷺ عَن الصَّبغ بالسّواد. قالَ الإمام النَّووي في رياض الصالحين: باب نَهْي الرَّجل والمرأةِ عَن خِضَاب شَعْرِهِمَا بالسَّواد. وقَال في المجموع: (ولا فَرْقَ في المنع مِنَ الخضابِ بالسَّواد بينَ الرَّجُل والمرأةِ، هَذا مَذْهَبُنا). واللهُ تعالىٰ أعلم.

٨- ويُباحُ للمرأةِ أيضاً أنْ تَتَحَلَّىٰ مِنَ الذَّهب والفِضَّةِ بما جرَت بهِ العادةُ وهذا بإجماع العُلَمَاءِ، لكن لا يجوزُ لها أنْ تظهر حُلِّيها للرِّجال غيرِ المحارم بَل تَسْتُرُهُ خصوصاً عند الخروج من البيتِ والتَّعرض لِنَظَرِ الرِّجال إليها لأنَّ ذلك فتنَةٌ، وقَد نُهيَت أنْ تُسْمِعَ الرِّجال صَوتَ حُلِيِّها الَّذي في رِجْلِها تحتَ الثياب، فكيفَ بالحليّ الظَّاهر؟ قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ..﴾ [النور:٣١] والله تعالىٰ أعلَمُ.

❖ ❖ ❖

قرارُ حجابي

يقولُ أديبُ العربيّةِ الرَّافعيُّ: لا يعذِّبُ فاقِدَ الفَضيلَةِ شيءٌ مثل رؤيتِها في غيره، وأنَّه لا يستَطيعُ تحقيقَها في نفسِه..

بعزيزِ إيماني أصُونُ عِزَّ حِجَابِي   وأصونُ عِرضِي في حِمَىٰ جلبابِي
بِيَدِ العَفَافِ أصُونُ عِزَّ حِجَابِي   وبِعِصْمَتِي أعْلُو علَىٰ أتْرَابي
كَذَبَ الَّذينَ يُتَاجِرُونَ بِقِصَّتِي   كَذَبُوا وكَانُوا مِثْل زَيفِ سَرَابِ
تَجْرِيرَهمْ أبْصَرْتُ لا تَحْرِيرَهم   قَد خَابَ مَن قَد سَارَ خَلْفَ غُرَابِ
لا لَن أكونَ كَمَا أرادُوا سلعةً   ضَاعَت بِسُوقِ نِخَاسَةٍ وَبِغَابِ
لا لَن أحيدَ عَن الحِجَابِ وَطُهْرِهِ   رَغْمَ الذِّئَاب وَرَغْم نَبح كِلابِ
ثَارَ البُغَاةُ وكَشَّرُوا أنْيابَهُم   وغَداً نُحَطِّمُ صُورةَ الأنْيَابِ
يَعْوي العبيدُ علىٰ صَدَى أسْيَادِهِمْ   وعُوَاؤُهُم مَا ضَرَّ سَيرَ سَحَابِي
أنَا لستُ وَحْدِي في قَرار تَحَجُّبِي   خَلْفِي كثيراتٌ يَقْتَفِينَ مَتَابِي
فَمَعِي النّساءُ السَّاتِراتُ علىٰ الهُدَى   ومَعِي الحياءُ وفِطْرَتِي وكِتَابِي
سَأظَلُّ أرقَىٰ للسَّمَاواتِ العُلا   وأظلُّ أحيَا في هُدَى المِحْرَابِ

❖ ❖ ❖

الحجاب.. أم العلم المشروط بالسفور.. أو الاختلاط؟

قد يتعرض المسلمُ لمثل هذه البليّةِ فيمن ولاّه اللهُ أمرهم من النِّساء: بنات، أخوات، زوجات.. وقد تَتَعَرَّض المسلمةُ لمثل هذه البليّةِ في خاصَّة نفسِها..

إمَّا أن تلتزمَ حجابها، وتَرْفُض الاختلاطَ.. فتفقِد مقعدها في الدِّراسةِ، أو التَّدريسِ.. في بعضِ البلدانِ العربيةِ و كثيرٍ من البُلدان الغربيةِ..

وإمَّا أن تُفرِّط في حجابِها، وتَقْبَل بالاختلاطِ بالأجانبِ، مقابِلَ حُصُولها علىٰ مقعدِ التَّعليم: تدريساً أو دراسةً.. فماذا تَصْنَع؟..

إليكم الجواب فيمَا يلي: في بعضِ البلادِ الإسلامية [تركيا] التي ابتليت بحكم العلمانيينَ مَنَعَت الطالبةَ المحجَّبةَ مِنَ التَّعليم إلاّ بشرطِ خلع الحجابِ..

وهذه القضيّةُ ما كانت لِتُطْرَح في غير هذهِ الظُّروف المعاصرة.. فلم يكن الحجابُ يوماً ما ضِدَّ العِلم ولا العكس، والمعركة بينهما اليوم مُفْتَعَلَة.. والعجيبُ أنَّ مِنَ النَّاس من أجاز للفتاةِ المسلمةِ أنْ تَخْلَعَ حجابها لأجلِ التَّعليم!.

والمسألةُ تحتاجُ إلىٰ ميزانٍ شرعيٍّ، بهِ نحكم بجواز ذلك مِن عَدَمِه.. فَمِنَ المعلوم أنَّ المحرَّمَ - وكذا المباح - لا يعارض الواجبَ، فالواجبُ لا بُدَّ من فعلهِ، والمحرَّمُ الَّذي يعارضه لا بُدَّ مِن تركهِ، وكذا المباح، أي إذا تعارضَ واجبٌ ومحرمٌ قُدِّمَ الواجبُ بلا تَرَدُّد، وإذا تَرَدَّد واجبٌ ومباحٌ قُدِّمَ الواجبُ كذلك بلا تَرَدُّدٍ، وعلىٰ ذلك نقول: ماهو هذا العِلْم الَّذي لأجلِهِ أجازَ هؤلاءِ للفتاةِ المسلمةِ أنْ تَخْلَعَ حِجَابَها؟.

والجواب أنْ نَقُولَ: العلمُ علمان: علمٌ شرعيٌّ، وعلمٌ دنيويٌّ.. فأمَّا العلم الشَّرعي، فمنه ماهو واجبٌ علىٰ جميع النَّاس ذكوراً وإناثاً.. ومنه ما هو

مستَحَبٌّ في حقِّ الفردِ، ليس فرض عين.. فأمّا الواجب فهو معرفةُ أركانِ الإسلام والإيمان ونواقضِ الإسلام وأحكام الطّهارة والصَّلاة والصِّيام والزكاة لمن مَلَكَ نصاباً والحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً ونحوها، أي ما يمكنُ به القيام بالحدِّ الأدنىٰ من الدِّين..

وأمَّا المستحبُّ فهو مازادَ علىٰ ذلكَ، ولاشكَّ أنَّ المعركةَ ليست هنا، لأنَّ أولئك المحاربينَ للحجابِ في تلك البلادِ الدَّاعين إلىٰ السّفور باسم العِلْم لو كانُوا ممن يُحِبُّونَ العلمَ الشَّرعي لأحبُّوا تعاليمَهُ، التي من أبرَزِها وأظهرها الأمرُ بالتزام الحجابِ للمرأة..

لكن لو فَرَضْنَا أنَّ الفتاةَ لن تَتَعَلَّم العلم الشَّرعيّ إلاّ بنزع الحجابِ فَمَا الحلُّ؟.

الحلُّ: أنْ يُقَال: إنْ كانَ السّؤال عن العلم الشَّرعي المستحب، فالجواب ظاهرٌ، وهو أنّه لايترك الواجب لأجل المستحب، فالحجابٌ واجبٌ، والتَّوسع في العلم مستحبٌّ، وفِعْلُ الواجبِ مُقدَّمٌ علىٰ فعل المستَحَبِّ.

أما إذا كان السؤالُ عن العلم الشرعي الواجبِ، فهنا تَعَارَضَ واجبان - مع العلم أنَّه لا يحصلُ ذلك - فما المخرجُ؟..

المخرجُ أنْ نَقُولَ: إنْ كان يمكن تحصيلُ أحدِ الواجبين وهو العلمُ الواجب بغير خَلْع الحجابِ فهو المتعيّن، وإنْ فرضنا أنّه لايمكن ذلك إلاَّ بنزع الحجاب، فالحكم أنَّه لايجوزُ خلعُ الحجابِ ولو كان لتعلّم العِلْم الشَّرعيّ الواجبِ، لِعِدَّةِ أسبابٍ منها:

(أولاً): أن الحفاظَ علىٰ العِرْضِ الّذي لأجلهِ شُرِعَ الحجابُ من أوجب الواجباتِ، بل هو من الضّروراتِ الخمس.

(ثانياً): لأنَّ تَعَلُّمَ العِلم الشَّرعي ليس مقصوراً علىٰ المدارسِ والجامعاتِ، فإنَّ المرأة بإمكانِها أنْ تَتعَلَّم وهي في بيتِها مِن خلالِ الكتابِ والشَّريط، والمسجد، ومِن خلالِ سُؤال أهلِ العِلْم.

(ثالثاً): لا بُدَّ أنَّ الله سيجعلُ لها مخرجاً وسبيلاً، ولن تَدُومَ هذه الأحوال المنافية للفِطْرَة والدِّين طويلاً، فعلىٰ المسلمةِ الصَّبر والتَّقوى، واللهُ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣]. فبينَ لحظةٍ وأُخرى يُغَيِّرُ اللهُ مِن حالٍ إلىٰ حالٍ.

(رابعاً): لأنَّ الفتاةَ ما دامت تَقْرأ وتكتب فإنَّ بإمكانها أنْ تَتعَلَّم أمورَ دينها من غير دراسةٍ نِظَامِيَّةٍ.

إذاً ليسَ هناك تعارضٌ ألبتة بينَ العلم الشَّرعي الواجب وبينَ الحفاظِ علىٰ الحجابِ، ومن زَعَمَ أنَّ هناك تعارضاً حقيقياً لأجله يجوزُ للمرأةِ أنْ تَخْلَعَ حِجَابَها، فَقَد أبعَدَ النَّجْعَةَ، وقالَ مَا لا عِلْمَ لهُ بِهِ..

وأمَّا عَن العلم الدُّنيوي، فإنَّه علىٰ قسمين: منه ما لاتحتاجُ إليه المرأةُ.. ومنهُ ما تحتَاجُ إليه.

فأمَّا الأوَّلُ فهو علىٰ نوعين:

(الأول): علمٌ لا يضُر الجهلُ به، ولو كان مفيداً مثل العلومُ الطبيعية، وهذا لايمكن أن يكونَ مسوغاً لخلع الحجابِ، لأنَّه مباحٌ، ولايُتْرَكُ الواجبُ لأجل المباحِ.

و(الثاني): علمٌ يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ، مثل دِراسة النَّظريات الإلحاديةِ في العقيدةِ والأخلاقِ، وهذا لايسوغُ نزعُ الحجابِ بداهةً، فدراسةُ هذا العِلْم يَضُرُّ، فكيف يُتْرَكُ الحجابُ لأجل شيء ضارٌّ علىٰ الخلقِ والدِّين؟!.

وأما القسم الثاني الذي تحتاجُهُ المرأةُ، فهو كذلك على نوعين:

(الأول): علمٌ يمكن للمرأةِ تحصيله من غير دراسة نظاميةٍ، كالخِيَاطَةِ وتَدبير المنزلِ والتَّربية، فهذا يمكن تحصيلُهُ من خلال الاحتكاكِ بمن تُحْسِنُ هـذه العلوم، ومن غير الجائزِ أن تَتْرُكَ المـرأةُ حِجَابَها لأجل علم يمكنُ لها أن تحصِّلَهُ من غير طريق الدِّراسة..

فلم يبقَ معنا إلاَّ العلم الذي تحتاجُهُ المرأةُ، ولايمكن تحصيلُهُ إلاَّ بالدراسةِ في الجامعةِ، وهذا هو النَّوعُ الثاني.

الثاني: تَعَلُّم الطبِّ والتَّعليم المدرسيِّ.. إلخ ما هنالك من علومٍ مباحةٍ وجائزةٍ شرعاً!. فهذا تتعلَّمهُ إن سُمحَ لها بتطبيقِ شَرْعِ اللهِ كالحجَابِ وعدمِ الاختلاط، وإلاَّ فلا يجوز لها أنْ تَتَعَلَّمَ أمثال هذا العلم، إنْ كانَ هذا العلم سَيَضطرها لارتكابِ مَا حرَّمَ اللهُ عليها.

ثمَّ إنَّني أسأل هؤلاء المانعين: ماذا يعني إذا نزعت الفتاةُ الحجاب؟ هل يزيدُ في فهمها وعلمها؟ فالجواب معروفٌ من خلالِ التَّتبعِ والاستفاضةِ والتجربةِ أنَّه كثيراتٌ هنَّ اللواتي تفوَّقنَ على زميلاتهنَّ ممن ترتدي الحجاب، وهذا لا ينكرهُ إلاَّ مكابرٌ منافقٌ.. فإذا عرفنا أنَّ القصدَ هو التعليم وأنَّ الحجابَ لا يؤثِّرُ سلباً على المستوى العلمي لأيِّ فتاةٍ إذاً، فلماذا المنع؟!

وأسألُ المانعينَ أيضاً: هل سَمِعُوا أو سَمِعْنَا يوماً جواباً من فتاةٍ راسبةٍ أنَّ سبَبَ رسُوبِها كانَ مِنَ الحجَابِ؟ فسبحان اللهِ كيف يتبجح هؤلاء القائلين بمنع الحجاب وأتوجَّهُ بالسؤال لهم قائلاً: دلُّوني على سببٍ سلبيٍّ واحدٍ يعيق تعلُّم الفتاة وتقدمَّها العِلميّ بسبب الحجاب؟؟

إذن لم يبقَ سَبَبٌ شرعيٌّ أو عقليّ صحيح يدعوها إلىٰ نبذِ حجابِها باسم العلم، سواءٌ كان العِلْم دينياً أو دنيوياً، فالحجابُ فوقَ ذلك كلِّه، فالعلمُ الدِّيني يأمر بالحجابِ، فلا يمكن أن يكونَ وسيلةً لنبذِ الحجابِ، والعلمُ الدنيوي إنْ كان سبباً في الإخلالِ بالدِّينِ فلا خيرَ فيه.

فهذه هي أقسام العلوم، فأيّها تدورُ المعركة حولها؟..

نحن نعلم أنَّ تلكَ الدُّول العلمانيّة التي تُحَارب الحجابَ لا تَلْتَزِم في مَنَاهِجِها الحفاظَ علىٰ الدِّين والخُلُق، بل فيها مَا يُضَادّ الدِّين ويحاربُهُ، وإذا كانَ كذلك فكيفَ يكونُ هذا العلم المضادّ للدِّين مسوّغاً لتركِ المرأةِ حِجَابها؟..

فإذا كنَّا نقولُ: لايجوزُ للمرأةِ أن تَخْلَعَ حجَابَها ولو كانَ ذلك من أجلِ تعلم علم شرعي واجب أو مستَحَبّ..

فَمِن بابٍ أولىٰ أن نقول: لايجوزُ لها أن تَخْلَعَ حجَابَها مِن أجل تَعَلُّم عِلْمٍ دنيويّ فيه ما يضر ولا ينفع، وفيه ما لا يَضُرّ الجهل به، وفيه علمٌ يمكن تحصيلُهُ من غير هذا الطريق الذي يلزم بنزع الحجاب.

فبعضُ الّذينَ جوَّزُوا للفتاةِ المسلمةِ خَلْعَ حجابها لأجلِ التَّعلّم، غَفِلُوا عن النَّظر في طبيعةِ العلم الذي لأجلهِ أجازُوا ذلك، وصارَ همُّهم كُلّه في كيفيّة دَفْع الجهلِ عَن الفتاةِ المسلمة، وكأنَّ الجهلَ لا يندفعُ إلاّ بالدراسةِ في الجامِعَةِ والاختلاط اللاّمشروع، وإلىٰ اللهِ المشتكىٰ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم، وأفوّضُ الأمرَ إلىٰ اللهِ إنَّ اللهَ بصيرٌ بالعباد.

❖ ❖ ❖

أعذار من لا ترتدي الحجاب

اركبي ـ يا أختاهُ ـ قطارَ التَّوبة قبلَ أن يرحلَ عن محطَّتكِ.. تأمَّلي ـ يا أختاهُ ـ في هذا العرض اليومَ قبلَ الغدِ. فكِّري فيه ـ يا أختاه ـ مِن الآن.

أحمد اللهَ تَعَالىٰ كمَا يَنْبَغي لجلالِ وَجْهِه وعظيم سلطانِهِ، وأصلِّي وأسَلِّم علىٰ رسولهِ الكريم الَّذي رَسَمَ الطَّريق إلىٰ رضوان الله وجنَّتِهِ.

فكان ذلكَ الطريق مستقيماً، تحفُّ جنباته الفَضيلة، ويحفَلُ بطيبِ الأخلاقِ، ويزدان بزينةِ الطُّهر والسِّتر والعفافِ.

وكان طريقاً يقودُ شِقَّيَ المجتمع الإنساني ـ الرَّجل والمرأة ـ إلىٰ مرافئ الاطمئنانِ والسَّعادة في الدُّنيا والآخرة.

فكان من ذلك: أنْ أوجبَ المولىٰ تباركَ وتعالىٰ علىٰ المرأةِ الحجابَ، صوناً لعفافِها، وحفاظاً علىٰ شرَفِها، وعنواناً لإيمانها.

من أجلِ ذلكَ كانَ المجتمعُ الَّذي يبتَعِدُ عن مَنْهَج اللهِ ويتنكَّبُ طريقَهُ المستقيم: مجتمعاً مريضاً يحتاجُ إلىٰ العلاج الَّذي يقوده إلىٰ الشِّفاء والسَّعادة.

ومنَ الصُّور التي تدلُّ علىٰ ابتعادِ المجتمع عن ذلك الطريقِ، وتوضح ـ بدقَّةٍ ـ مقدارَ انحرافِهِ وتحلُّلِهِ: تَفَشِّي ظاهرة السّفور والتَّبرج بين الفتيات.. وهذه الظاهرةُ نجد أنَّها أصبحت ـ للأسفِ ـ من سماتِ المجتمع الإسلامي، رغمَ انتشار الزِّي الإسلامي فيهِ، فما هي الأسبابُ التي أدَّت إلىٰ هذا الانحراف؟.

للإجابةِ علىٰ هذا السؤالِ الَّذي طرحناه علىٰ فئاتٍ مختلفةٍ مِنَ الفتياتِ كانَت الحصيلةُ: تسعةُ أعذارٍ رئيسة، وعند الفَحْصِ والتَّمحيص بَدَى لنا كم هي واهيةٌ تلكَ الأعذار.

معاً أختي المسلمة نَتَصفَّح هذه السُّطور، لنَتَعَرَّف ـ من خلالِها ـ علىٰ أسباب الإعراضِ عن الحجابِ، ونناقشها كُلاً علىٰ حِدَة:

(العذر الأول):

قالت الأولىٰ: (أنا لم أقْتَنع بَعْدُ بالحِجَاب).

ـ نسألُ هذه الأخت سؤالين:

❁ **الأول:** هل هي مقتنعة أصلاً بصحَّةِ دِينِ الإسلام؟.

إجابتها بالطّبع: نَعَم مقتنعة، فهي تقول: (لا إله إلاَّ الله) ويعتبر هذا اقتناعها بالعقيدةِ، وهي تقول (محمد رسول الله) ويعتبر هذا اقتناعها بالشَّريعة، فهي مقتنعةٌ بالإسلام عقيدةً وشريعةً ومنهجاً للحياةِ.

❁ **الثاني:** هل الحجابُ مِن شريعةِ الإسلام وواجباته؟.

لو أخلَصَت هذه الأختُ وبحثت في الأمر بَحْثَ مَن يريدُ الحقيقةَ لقالت: نَعَم. فاللهُ تعالىٰ الذي تؤمنُ بألوهيتِهِ أمَرَ بالحجابِ في كتابِهِ، والرَّسُولُ الكريمُ الَّذي تُؤمنُ برسالَتِهِ أمَرَ بالحجابِ في سُنَّتِهِ. وهو لَعَنَ المتبرِّجات السَّافرات.

فماذا نُسَمِّي مَن يقتَنع بِصِحَّةِ الإسلام ولا يَفْعَل ما أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ بـه ورسولُهُ الكريم؟ هو علىٰ أيِّ حالٍ لا يَدْخُل مَع الَّذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

خلاصةُ الأمر: إذا كانت هذهِ الأختُ مقتنعةً بالإسلام، فكيفَ لا تَقْتَنعُ بأوامِرِهِ بل بجزءٍ يسيرٍ منه؟ ألا تخشىٰ أن تكونَ هذهِ الفتاةُ ممن قالَ اللهُ تعالىٰ في حقِّهم: ﴿.. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

مِنْكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٨٥].

(العذر الثاني):

قالت الثَّانية : (أنا مقتنِعةٌ بوجوبِ الزِّيِّ الشَّرعي ، ولكن والدتي تَمْنَعُنِي لبسه ، وإذا عَصَيتُها دخلتُ النَّارَ).

الجواب : نحيلُ الجوابَ علىٰ عُذْر هذهِ الأخت إلىٰ أكرم خَلْقِ اللهِ ، محمَّد رَسُول الله ﷺ حيثُ يقول بقولٍ وجيزٍ حكيم: «لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، إنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» [حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم].

صحيحٌ أنَّ مكانَةَ الوالدين في الإسلام ـ وبخاصَّة الأم ـ ساميةٌ رفيعةٌ ، بل الله تَعَالىٰ قَرَنَها بأعظم الأمور ـ وهي عبادته وتوحيده ـ في كثير من الآيات ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [النساء: ٣٦].

فطاعةُ الوالدين لا يَحِدّ منها إلاَّ أمرٌ واحدٌ هو: أمرهما بمعصيةِ اللهِ تعالىٰ ، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ : ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥].

ولا يمنع عدم طاعتهما في المعصيةِ مِنَ الإحسانِ إليهما وبرِّهما، قال تَعَالىٰ : ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

خلاصةُ الأمرِ: أسألكِ كيفَ تُطيعينَ أمّكِ (المخلوق) وتعصينَ اللهَ تعالىٰ (الخالق) الَّذي خَلَقَكِ وخَلَقَ أُمَّكِ؟.

(العذر الثالث):

أمّا الثالثةُ فتقولُ: (إمكانيَّاتي الماديّة لا تكفِي لاستبدالِ مَلابسي بأُخرى شرعيّة).

أختُنَا هذه إحدَى اثنتين:

إمّا صادقةٌ مخلصةٌ، وإمَّا كاذبةٌ متملِّصةٌ تريد حجاباً متبرجاً صارخَ الألوان، يجاري موضةَ العصر، غالي الثَّمن.

نبدأ بأختنا الصَّادقة المخلصة:

هل تعلمينَ يا أختاه أنَّ المرأةَ المسلمةَ لا يجوز لها الخروجُ مِنَ المنزل بأيِّ حال من الأحوال حتىٰ يستوفي لباسُها الشُّروطَ المعتبرَةَ في الحجابِ الشَّرعي والواجب علىٰ كلِّ مسلمةٍ تَعَلُّمَها، وإذا كنت تَتَعَلَّمين أمورَ الدُّنيا فكيفَ لا تَتَعَلَّمين الأمور التي تُنجيكِ مِن عذابِ اللهِ وغضبِهِ بعدَ الموتِ..؟! ألم يَقُلِ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فتعلَّمي يا أختي شروطَ الحجاب.

فإذا كانَ لا بدَّ مِن خروجكِ، فلا تخرجي إلاَّ بالحجابِ الشَّرعي، إرضاءً للرَّحمن، وإذلالاً للشيطانِ، وذلك لأنَّ مفسدةَ خُرُوجك سافرةً متبرجةً أكبر مِن مصلحة خروجك للضَّرورة.

وأمرٌ آخر ليسَ أحدٌ من المسلمينَ مقطوعٌ من شجرة كما يُقال، فكم من أبٍ وأخٍ وزوجٍ يعرضُ علىٰ قريبتِهِ المال لتَتَحَجَّب، ثمَّ إنَّهُ يجوزُ لكِ أن تعرضي هذهِ المشكلةَ أمامَ إحدَى الصَّديقاتِ الصَّالحات، وهي أنَّكِ لا تستطيعينَ شراء جلباب ـ مع أنَّهُ رخيص الثَّمن ـ ثمَّ انظري بعدها كيف سيُهيِّئ اللهُ لكِ ذلكَ وستكون هذهِ الصَّديقةُ مسرورةً جداً حينَ تكون سبباً في كسوتكِ لهذا الجلباب.

ـ أختي في اللهِ ـ لو صَدَقَتْ نيَّتُك وصحَّتْ عزيمتُك لامتَدَّت إليك ألفُ يدٍ خيِّرة، ولسَهَّلَ اللهُ تَعَالىٰ لكِ الأمورَ! أليس هو القائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]؟.

أمَّا أختنا المتَمَلِّصة، فَلَها نَقُولُ:

ـ الكرامةُ وسموُّ القَـدر عندَ الله تعالىٰ لا تكـون بزركشـةِ الثيـابِ وبهرجـةِ الألوانِ ومجاراة أهل العصرِ، وإنما تكونُ بطاعةِ الله ورسوله والالتزام بالشريعة الطاهرةِ والحجاب الإسلامي الصحيح، واسمعي قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

خلاصةُ الأمر: في سبيلِ رضوانِ اللهِ تَعَالىٰ، ودخول جنته: يهونُ كلّ غَالٍ ونفيس من نَفْسٍ أو مال.

(العذر الرابع):

جاءَ دَوْرُ الرَّابعة، فقالت: (الجوُّ حارٌّ في بلادِي وأنا لا أتحمَّلُهُ، فكيفَ إذا لبست الحجابَ؟)..

لمثل هذه يقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

فكيفَ تقارنينَ حرَّ بلادك بحرِّ نار جهنم. اعلمي أختي ـ أنَّ الشيطانَ قد اصطادَكِ بإحدى حبائِلِهِ الواهيةِ، ليخرجَكِ مِن حرِّ الدنيا إلىٰ نارِ جَهَنَّم، فَأَنْقِذِي نفسَكِ من شباكِهِ، واجعلي من حرِّ الشَّمسِ نعمةً لا نِقْمَةً، إذ هو يذكرك بشدَّةِ عذابِ اللهِ تَعَالىٰ الذي يفوقُ هذا الحرّ أضعافاً مضاعفة، فترجعي إلىٰ أمرِ الله وتُضَحِّي براحةِ الدُّنيا في سبيل النَّجاة من النَّار، الَّتي قالَ تعالىٰ عَن أهلِها: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً ۝ إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥].

ثمَّ إنَّ الذي أعرفُهُ أنَّ الرجالَ يضعونَ علىٰ رؤوسهم في القرى عندما يعملونَ في الحرِّ تحتَ أشعةِ الشَّمس، ومعنىٰ ذلكَ أنَّ الغطاءَ سببٌ لمنعِ تأذّي الناس بأشعةِ

الشّمسِ لا سبباً في تأذّيهم كما تزعمينَ..

وخُلاصة الأمر: حُفَّت الجنّةُ بالمكارهِ، وحُفَّت النَّارُ بالشَّهوات.

(العذر الخامس):

لِنَستَمِع الآنَ إلىٰ عُذْرِ الخامسةِ، حيثُ قَالت: (أخافُ إذا التزَمْت بالحجابِ أن أخلَعَهُ مرَّةً أُخرى، فقد رأيتُ كثيرات يَفْعَلْنَ ذلكَ!).

وإليها أقولُ: لو كانَ كلُّ النَّاس يفكرونَ بمنطِقَكِ هذا لتركُوا الدِّينَ جُمْلَةً وتفصيلاً، ولتركُوا الصَّلاةَ، لأنَّ بَعْضَهُم يخافُ تركَها، ولتركُوا الصِّيامَ، لأنَّ كثيرين يخافونَ مِن تركِهِ.. إلخ.. أرأيتِ كيفَ نصَبَ الشَّيطانُ حبائِلَهُ مَرَّةً أُخْرَى فَصَدَّكِ عَن الهُدَى؟.

واللهُ تَعَالىٰ يحبُّ استمرارَ الطَّاعةِ، حتَّىٰ ولو كانت قليلةً أو كانَت مُسْتَحَبَّةً، فكيفَ إذا كانت واجباً مفروضاً مثل الحجابِ؟!.

قَالَ ﷺ: «أَحَبّ العمل إلىٰ الله أدومه وإن قلَّ» [حديثٌ صحيح، رواه أحمد].

لماذا لم تَبْحَثي عَن الأسبابِ التي أدَّت بهؤلاءِ إلىٰ تركِ الحجابِ حتىٰ تجتَنبيها وتَعْمَلِي علىٰ تفادِيها؟.

لماذا لم تَبْحَثي عن أسبابِ الثَّبات علىٰ الهدايةِ والحقِّ حتَّىٰ تلتزميها؟.

فمن تلكَ الأسبابِ: الإكثار مِنَ الدُّعاء بثباتِ القَلْب علىٰ الدِّين كما كانَ يفعلُ النبيُّ ﷺ وكذلكَ: الصَّلاة والخشوع، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَىٰ الخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

ومنها: الالتزام بكلِّ شرائع الإسلام ـ ومنها: الحجَابُ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ [النساء: ٦٦].

خلاصةُ الأمر: لو تمسكتِ بأسبابِ الهدايةِ وذُقتِ حلاوةَ الإيمان لما تركتِ أوامرَ اللهِ تَعَالىٰ بعدَ أنْ تلتزميها. وأقولُ لكِ بصدقٍ حاشا وكلاَّ أن يردَّ اللهُ تعالىٰ من طلبَ الهدايةَ منهُ، أو سألهُ إيَّاها بصدق، ألم تقرئي قولهُ تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

(العذر السادس):

الآن ها هي ذي السَّادسة، فما قَولُها؟ قالت: قيل لي: (إذا لبستِ الحجابَ فلنَ يَتزوَّجَكِ أحدٌ، لذلكَ سأتركُ هذا الأمر حتَّىٰ أتزوج).

الجواب: إنَّ زوجاً يريدكِ سافرةً متبرجةً عاصيةً للهِ هو زوجٌ غير جديرٍ بكِ، هو زوجٌ لا يغارُ علىٰ محارم اللهِ، ولا يغارُ عليكِ، ولا يُعِينُكِ علىٰ دخولِ الجنَّة والنَّجاة من النار.

إنَّ بيتاً بُنِيَ مِن أساسهِ علىٰ معصيةِ الله وإغضابهِ حَقٌّ علىٰ اللهِ تَعَالىٰ أنْ يكتُبَ لهُ الشَّقاء في الدُّنيا والآخرة، إن لم يجد للتوبةِ سبيلاً، وكما قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

فاعلمي أنَّ الزَّواجَ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ يُعطيها مَن يشاءُ، فكَم مِن مُتَحَجِّبةٍ تَزَوَّجت، وكم مِن سافرةٍ لم تَتَزَوَّج.

وإذا قلتِ: إنَّ تبرُّجي وسفوري هو وسيلةٌ لغايةٍ طاهرة، ألا وهي الزَّواج، فإنَّ الغاية الطاهرة لا تبيحُ الوسيلةَ الفاجرةَ في الإسلام، فإذا شَرُفَت الغايةُ فلا بدَّ من طهارةِ الوسيلة، لأنَّ قاعدةَ الإسلام تقولُ: (الوسائلُ لها أحكامُ المقاصدِ).

ثمَّ إنَّه بات معروفاً لدى النَّاس جميعاً وخصوصاً الشَّباب، أنَّهُ إذا أرادَ أحدُ الشَّباب التّسليةَ يبحث عن الفتاة التي تستجيبُ لرغباتهِ والّتي يستطيع أنْ يُدَغْدغَ

عَواطِفَها من الفتياتِ السَّاذجات حتىٰ يصلَ إلىٰ غايتهِ ومقصدِهِ وهو الحصول علىٰ الشَّهوة، وإذا حصلَ عليها تركها وانتقل إلىٰ غيرها لتعاني من ألم الفضيحةِ وفقدانِ الكرامة، وخسران الشّرف والعفَّة.. وأمَّا إذا أرادَ الزَّواجَ وَدَفْعَ المهرِ وإنشاءَ أسرةٍ فلا يفكِّرُ بأمثالِ هؤلاء الفتياتِ. وما أكثر القصَص في هذا المجال، وارجعي إلىٰ كتابي (ضحايا الحبّ) لتجدي صدقَ ما أقولهُ لكِ.

خلاصةُ الأمر: لا باركَ اللهُ في زواجٍ قامَ علىٰ المعصيةِ والفُجُور.

(العذرُ السابع):

وما قولك أيّتها السَّابعةُ؟ قالت: (لا أتحَجَّب، عملاً بقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١] فكيف أُخْفِي ما أنْعَمَ اللهُ بهِ عَلَيَّ مِن شعرٍ ناعم وجمالٍ فاتنٍ؟).

أختنَا هذهِ تلتَزِم بكتابِ اللهِ وأوامِرِهِ مَا دامت هذه الأوامرُ تُوافِق هَواها وفَهْمَها! وتترك هذهِ الأوامرَ نَفْسها حينَ لا تُعْجبَها، وإلاَّ فلماذا لم تَلْتَزِم بقولهِ تَعالىٰ: ﴿ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها﴾ [النور: ٣١] وبقوله سبحانه: ﴿يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

بقولك هذا يا أختاه تكونينَ قَد شرّعتِ لنفسكِ ما نَهىٰ اللهُ تَعالىٰ عنهُ، وهو التَّبرج والسّفور، والسبب: عدم رغبتكِ في الالتزام.

إنَّ أكبرَ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها علينا هي نعمةُ الإيمان والهدايةِ، ومن ذلكَ: الحجاب الشَّرعيّ، فلماذا لم تُظْهِريهِ وتَتَحَدَّثي بأكبرِ النِّعم عليكِ؟.

وهذا الكلام غالباً تقولهُ الجاهلات علىٰ سبيل التهرُّبِ من المسؤولية..

وخلاصةُ الأمر: هل هناكَ نِعْمَةٌ أكبرُ للمرأةِ مِن الهدايةِ والحجابِ؟.

(العذر الثامنُ):

نـأتي إلىٰ أختِنَـا الثَّامنة ، الـتي تَقُـولُ : (أعـرفُ أنَّ الحجابَ واجـبٌ ، ولكنَّـني سألتزم به عندمَا يَهْديني اللهُ).

نسألُ هـذهِ الأخت عَن الخطـوات الّـتي اتَّخَذتـها حتَّـىٰ تنـالَ هـذهِ الهدايـةَ الرَّبانِيَّةَ؟.

فَنَحْنُ نعرفُ أنَّ اللهَ تعالىٰ قد جَعَلَ بحكمتِهِ لكلِّ شيء سبباً ، فكـانَ مـن ذلـك أنَّ المريضَ يتناولُ الدواءَ كي يَشْفَىٰ ، والمسافرُ يركبُ العربـةَ أو الدَّابةَ حتَّىٰ يَصِلَ غايَتَهُ ، والأمثلةُ لا حَصْرَ لَها.

فهل سَعَت أختُنَا هذهِ جادَّةً في طلبِ الهدايةِ ، وبَذَلَت أسـبَابَها مِـن : دُعَـاءِ اللهِ تعـالىٰ مخلصـةً كمـا قـال تَعَـالىٰ : ﴿اهْدِنَـا الصِّـرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحـة : ٦] ومجالسـة الصَّالحات، فإنَّهـن خيرُ مُعينٍ علىٰ الهدايةِ والاستمرارِ فيها ، حتَّـىٰ يهديـها اللهُ تَعَالىٰ ، ويزيدها هُدًى ، ويلهمـها رشـدَها وتقوَاهـا ، فتلتزِمَ أوامِرَهُ تَعَـالىٰ وتلبس الحجابَ الذي أمَرَ بهِ المؤمنات؟.

ثمَّ أمرٌ آخر أسألهُ لهذهِ الفتـاةِ وغيرهـا : أليـسَ اللهُ قـد بيَّـنَ لنـا الخيرَ مـن الشَّر ودلَّنا علىٰ طريق الجنَّة والنَّار ، فلماذا نرتدعُ عن خطرٍ دنيويٍّ ولا نرتدعُ عن خطرٍ أخروي ، مع أننا نعلم أنَّ الفتاةَ إذا أصرت علىٰ ترك الحجاب وماتت علىٰ ذلك ، ما هو مصيرهـا إن لم تدركها رحمـة اللهِ تعـالىٰ.. فلمـاذا نستعمل هداية اللهِ لنا في الدنيا من طعام ولباس ونكاح وعمـل وترفيهٍ ، ولا نستعملُ هدايةَ اللهِ الـتي هـي تنفعنا في آخرتنا.

خلاصةُ الأمرِ : لو كانت هذه الأخت جـادة في طلـبِ الهدايةِ لبذلـت أسبابها فنَالَتْها. واللهُ تعالىٰ أعلمُ وأحكمُ.

(العذر التاسع):

وما قولُ أختنا التَّاسعة؟، قالت: (الوقتُ لم يحن بَعْدُ، وأنا ما زِلْتُ صغيرةً على الحجابِ، وسألتزمُ بالحجاب بعدَ أن أكبَرَ، وبعدَ أن أحُجَّ!).

نقولُ لها: وهل مَلَكُ الموتِ، أيَّتُها الأختُ، زائرٌ يَقِفُ على بابكِ يَنْتَظِرُ أمرَ الاستئذان منكِ في الدخول، فإن سمحت لهُ دخلَ وإلاَّ فلا؟ أم أنَّهُ يأتمرُ بأمرِ اللهِ تَعَالى حتَّى إذا جاءَ أمرهُ في أيِّ لحظة من لحظاتِ عُمُرك وقع دونَ تأخير.

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]

فالموتُ يا أختَاهُ لا يعرفُ صغيرةً ولا كبيرةً، ولا تقيَّةً ولا شقيَّةً، وربما جاءَ لكِ وأنت مقيمة على هذه المعصيةِ العظيمةِ تُحاربينَ رَبَّ العِزَّةِ بسفوركِ وتبرجك. فماذا تقولينَ للهِ تعالى، وبأيِّ شيءٍ تعتذرينَ بين يديهِ؟ فالنَّجاة النَّجاة..

[د. هويدا إسماعيل، بتصرف].

❖ ❖ ❖

تيهي جمالاً بالحجاب

هنالكَ مَن قَدَّم لكِ العِنَايَةَ.. مَن انتَشَلَكِ مِن مُسْتَنْقَع الوأدِ..

مَنْ قَدَّم لكِ الودَّ..

جَعَلَكِ مَاسةً ثمينةً في قِطْعَةٍ مُخْمَلِيَّةً..

زَهْرَةً فَوَّاحةً بالعفَّةِ زكِيَّةً..

لَم تُبْصِرها عَينُ البريَّة..

هوَ.. هُو الإسلامُ..

هنا يا ابنتي.. يحضرني سؤال: ماذا قَدَّمتِ لهذا الدِّين؟! ألا يستحقُّ أنْ تُضَحِّي بزخرفِ الحياة الفانيةِ مِن أجل أنْ تتنعمي بنعيم لا يَفْنَىٰ وبشبابٍ لا يشيخُ وبجمالٍ لا يزول بل يَتَجَدَّد! الآن حَدِّدي الهدفَ! فأنتِ بينَ قابَ قوسين أو أدنَىٰ من حسم الموقف تَرى ما هُوَ حالُكِ مَع الحجاب؟؟ أهو عَادَةٌ.. أم عبادةٌ؟! مزركشٌ بالألوان أم سَاتِرٌ سادة؟! اعلمي يا ابنتي.. أنَّ حجابَكِ تاجٌ علىٰ رأسكِ.. فهل رأيتِ تاجاً يوضَعُ علىٰ الكتفِ؟!

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَينَ وكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

تأمَّلي عزيزتي هذهِ الآية الكريمةَ.. ذوقي معانيها بقلبِك.. وإذا أوصدَت في وجهكِ الأبوابَ وغشَّتكِ ضبابيّةُ الأسبابِ، فَاعلَمِي أنَّ هنالكَ مَن يَبْسُطُ يَدهُ لمن تابَ وأناب إنَّه الغفورُ.. الكريمُ.. الوهَّاب.

لماذا الحجابُ

أ - لأنّه أمرٌ صريحٌ من اللهِ ورسولهِ، وقد أمرَ اللهُ سبحانه النِّساءَ بالحجابِ قائلاً: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ مَا ظَهَرَ مِنْها﴾ [النور: ٣١]

وقال أيضاً: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أمّا أمر الرَّسُول الكريم به، فهو حديث عائشة الذي رواه البخاري في صحيحه، أنّها قالت: عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهاجِرَاتِ الأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِها.

ب - لأنَّ الحجابَ طاعةٌ لله عزَّ وَجَلَّ وطاعةٌ للرَّسول ﷺ واللهُ تعالىٰ يقولُ في كتابه العزيز: ﴿وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمِنَةٍ إذا قَضَىٰ اللهُ ورسولُهُ أمراً أنْ تكُونَ لهُم الخِيرَةُ من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فهو بالتّالي فَرْضٌ علىٰ كلِّ مسلمةٍ بالغةٍ كما جاءَ في القرآن والسُّنَّة، ويكفي أنْ نعلم عن ثوابِ الطائعينَ للهِ ما جاءَ في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: من الآية ١٣].

ج - لأنَّ الحجابَ إيمانٌ، فاللهُ سبحانهُ وتعالىٰ لم يخاطب بالحجابِ إلاّ المؤمنات فقالَ تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقالَ أيضاً: ﴿وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ﴾

د - لأنَّه يميِّز العفيفةَ عن غيرها، فتسلَم من المضايقاتِ، وتَعرُّض الفُسَّاق لها بالأذى، لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

هـ - لأنَّ الحجابَ حياءٌ وسِترٌ، واللهُ حييٌّ يحبُّ الحياءَ، سِتِّيرٌ يحبُّ السِّتر. قَالَ ﷺ في الحياءِ: «الحياءُ من الإيمان». [متفق عليه].

وقال ﷺ: «الحياءُ من الإيمان، والإيمان في الجنةِ» [الترمذي، وابن ماجه].

وقال ﷺ: «الحياءُ خيرٌ كلُّهُ» [رواه مسلم].

و - لأنَّ جسدَ المرأةِ أمانةٌ أعطاه اللهُ تعالىٰ إيَّاها، وما أحراها بأن تحافِظ علىٰ هذهِ الأمانة، فلا إيمانَ لمن لا أمانَةَ له.

ز - لأنَّ الحجابَ تكريمٌ، فلقد كرَّمَ اللهُ سبحانه بني آدم علىٰ سائِرِ المخلوقات بعدَّةِ أشياء منها ستر عوراته، حياً وميتاً، وحجابُ المرأةِ سترٌ لعوراتِها، فكيف تهينُ نَفْسَها؟!

ح - لأنَّ الحجابَ طهارةٌ، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ولعلَّه ـ سبحانه ـ وصفَ الحجابَ بأنَّهُ طهارةٌ لقلوب المؤمنينَ والمؤمنات لأنَّ العيَن إذا لم تَرَ لم يشتهِ القلبُ، ومن هنا كانَ القلبُ عند عَدَم الرّؤيةِ أطهر، وعدم الفِتْنَةِ حينئذ أظهر لأنَّ الحجابَ يقطع أطماعَ مرضىٰ القلوبِ، قالَ تعَالىٰ: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ط - لأنَّ الحجابَ غَيرَةٌ (فهو يتناسبُ مع الغيرة التي جُبِلَ عليها الرَّجُلُ السَّويُّ الذي يأنَف أن تمتدَّ النَّظراتُ الخائنةُ إلىٰ زوجتِه وبناتِه، وكم مِن حربٍ نَشبَت في الجاهليةِ والإسلام غيرةً علىٰ النساءِ وحميَّةً لحرمتِهِنَّ، قالَ عليٌّ رضي الله عنه: «بلغني أنَّ نساءكم يزاحِمْنَ العلوج - أي الرِّجالَ الكفَّار من العجَم - في الأسواقِ ألا تغارونَ؟ إنَّه لا خيرَ فيمن لا يَغَار».

ولعل فيما حدَثَ عندَ مقتلِ عُثمان بن عفَّان رضي الله عنه عبرَة، وعظة لكلِّ وليِّ أمر مِنَ المسلمين، فقدَ حاولت زوجتُهُ «نائلة» أنْ تدفَعَ عنه الثُّوار بخلع خمَارها، لعلهم إنْ رأوها استَحيوا وانصرَفُوا، ولكن عثمانَ أبَىٰ وقال: «واللهِ لَئِن أُقطَّع تقطيعاً، أحبَّ إليَّ من أن يَرَى رجلٌ منكِ خَصْلَةَ شعرٍ واحدةٍ».

❖ ❖ ❖

شبهات حول حجاب المرأة

ـ الشبهة الأولى: الحجابُ تزمّتٌ والدِّين يُسْرٌ:

يدَّعي بعضُ دعاة التَّبرج والسفور بأنَّ الحجابَ تزمّت في الدِّين، والدِّينُ يُسْر لا تزمّتَ فيه ولا تشدّد، وإباحةُ السفور مصلحةٌ تقتضيها مشقّة التزام الحجابِ في عصرنا.

الجواب:

١ - إنَّ تعاليم الدِّين الإسلامي وتكاليفَه الشَّرعية جميعها يسرٌ لا عسرَ فيها، قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيكمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]

وقال تعالىٰ: ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاَّ وُسْعَها﴾ [البقرة:٢٣٣]. فهذه الآياتُ صريحةٌ في التزام مبدأ التَّخفيف والتَّيسير علىٰ النَّاس في أحكام الشَّرع.

وعَن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» [رواه البخاري].

وعن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا بعثَ أحداً من أصحابهِ في بعض أمرهِ قَالَ: «بَشّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسّرُوا، وَلاَ تُعَسّرُوا». [أبو داود].

فالشارعُ لا يقصدُ أبدًا إعناتَ المكلَّفين أو تكليفَهُم بما لا تطيقُهُ أنفُسُهُم، فكلّ ما ثَبَتَ أنَّه تكليفٌ مِنَ اللهِ للعبادِ فهو داخلٌ في مقدورهِم وطاقتهم.

٢ - ثمَّ لا بدَّ من معرفة أنَّ للمصلحةِ الشرعيةِ ضوابط يجب مراعاتها وهي:

(أ) - أن تكونَ هذه المصلحةُ مندرجة في مقاصدِ الشَّرع، وهي حفظُ الدِّين والنَّفس والعَقْل والنَّسل والمالِ، فكلّ ما يحفظ هذهِ الأصول الخمسة فهو مصلحةٌ، وكلّ ما يفوِّت هذه الأصول أو بعضَها فهو مفسدةٌ، ولا شكّ أن الحجابَ مما يحفظُ هذه الكليات وأنَّ التبرج والسّفور يؤدي بها إلىٰ الفسادِ.

(ب) - أنْ لا تعارض هذه المصلحةُ النقلَ الصحيحَ، فلا تُعَارض القرآنَ الكريمَ، لأنَّ معرفة المقاصِدِ الشَّرعية إنما تمّ استنادًا إلىٰ الأحكام الشَّرعية المنبثقة من أدلتها التَّفصيلية، والأدلة كلُّها راجعة إلىٰ الكتابِ، فلو عارضَت المصلحةُ كتابَ الله لاستلزم ذلك أن يعارضَ المدلولُ دليلَهُ، وهو باطلٌ.

وكذلك بالنِّسبة للسُّنَّةِ، فإنَّ المصلحةَ المزعومةَ إذا عارضتها اعتُبرت رأيًا مذمومًا. ولا يخفىٰ مناقضة هذه المصلحة المزعومَة لنصُوصِ الكتابِ والسُّنَّة.

(ج) - أنْ لا تُعَارض هذه المصلحةُ القياسَ الصحيحَ.

(د) - أنْ لا تفوِّت هذه المصلحةُ مصلحةً أهمَّ منها أو مساويةً لها.

٣ - قاعدة: «المشقّةُ تجلبُ التيسير» معناها: أنَّ المشقة التي قد يجدها المكلَّفُ في تنفيذ الحكم الشَّرعي سبب شرعي صَحيح للتَّخفيف فيه بوجه ما. لكن ينبغي أنْ لا تُفْهَمَ هذه القاعدةُ علىٰ وجهٍ يتناقَضُ مع الضَّوابط السَّابقة للمصلحة، فلا بدَّ للتخفيف أنْ لا يكونَ مخالفًا لكتابٍ ولا سنَّةٍ ولا قياسٍ صَحيح ولا مصلحة راجِحَةٍ.

ومن المصالح ما نصّ علىٰ حُكمِهِ الكتابُ والسُّنَّةُ كالعباداتِ والعقود والمعاملات، وهذا القسم لم يَقْتَصِر نصّ الشَّارع فيه علىٰ العزائم فَقَط، بل ما من حكم مِن أحكام العباداتِ والمعاملاتِ إلاّ وقد شرع إلىٰ جانبهِ سبل التَّيسير فيه. فـ(الصلاةُ) مثلاً شرِعت أركانها وأحكامها الأساسية، وشرعَ إلىٰ جانبها

أحكام ميسّرة لأدائها عند لحوقِ المشقَّةِ كالجمع والقَصْر والصَّلاة من جلوس. و(الصَّوم) أيضاً شُرِعَ إلىٰ جانبِ أحكامِهِ الأساسيةِ رخصةُ الفِطْرِ بالسَّفر والمرضِ. و(الطهارة) من النَّجاسات في الصَّلاةِ شُرِعَ معها رخصةُ العفو عما يشقّ الاحتراز منه. وأوجبَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ الحجابَ علىٰ المرأة، ثمَّ نَهَىٰ عن النَّظر إلىٰ الأجنبية، ورخَّصَ في كشفِ الوجه والنَّظر إليه عند الخِطبةِ والعلاج، والتَّقاضي والإشهادِ وبعض المعاملاتِ.

إذًا فليسَ في التَّيسير الذي شرَعَهُ اللهُ سبحانَهُ وتَعَالىٰ في مقابلةِ عزائم أحكامِهِ ما يخلّ بالوفَاق مع ضوابطِ المصلَحَةِ، ومعلومٌ أنَّه لا يجوزُ الاستزادة في التَّخفيف علىٰ ما وردَ به النَّص، كأنْ يُقَال: إنَّ مشقَّةَ الحربِ بالنِّسبة للجنود تقتَضِي وضعَ الصَّلاة عنهم، أو يُقَال: إنَّ مشقَّةَ التَّحرُّزِ عن الرِّبا في هذا العصر تقتضي جوازَ التعامل بهِ، أو يُقال: إنَّ مشقَّةَ التزام الحجابِ في بعض المجتمعاتِ تقتضي أنْ يباحَ للمرأة التبرّج بدعوى عُمُوم البَلوى به.

ـ الشُّبهة الثانية: الحجاب من عادات الجاهلية فهو تخلُّفٌ ورجعيةٌ:

قالوا: إنَّ الحجابَ كان من عاداتِ العربِ في الجاهلية، لأنَّ العربَ طبِعوا علىٰ حمايةِ الشَّرف، ووأدوا البناتَ خوفًا من العار، فألزمُوا النِّساء بالحجابِ تعصبًا لعاداتِهِم القبليةِ التي جاءَ الإسلام بذمِّها وإبطالِها، حتىٰ إنَّه أبطل الحجاب، فالالتزام بالحجابِ رجعيةٌ وتخلُّف عن ركبِ الحضارة والتَّقدم.

الجواب:

١ ـ إنَّ الحجاب الذي فَرَضَهُ الإسلامُ علىٰ المرأة لم يعرفهُ العربُ قبل الإسلام، بَل لَقَد ذمَّ اللهُ تعالىٰ تبرُّج نساءِ الجاهليةِ، فوجَّه نساءَ المسلمين إلىٰ عَدَمَ

التَّبرج حتىٰ لا يَتَشبَّهن بنساءِ الجاهليةِ، فقالَ جلَّ شأنه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

كما أنَّ الأحاديثَ الحافلةَ بذمِّ تغيير خَلْق اللهِ أوضحَت أنَّ وصلَ الشَّعر والتنمُّص كان شائعًا في نساءِ اليهودِ قبل الإسلام، ومن المعروفِ أنَّه مما تستخدمه المتبرّجاتُ اليوم.

صحيح أنَّ الإسلام أتىٰ فأبطلَ عادات ذميمة للعربِ، ولكن بالإضافةِ إلىٰ ذلك كانت لهم عاداتٌ جميلةٌ أقرَّها الإسلامُ فلم يبطلها، كإكرام الضَّيف والجود والشَّجاعةِ وغير ذلك.

وكانَ مِن ضِمن عاداتهم الذَّميمة خروجُ النِّساء متبرّجات كاشِفَات الوجوه والأعنَاق، باديات الزِّينة، فَفَرَضَ اللهُ الحجابَ علىٰ المرأة بعدَ الإسلام ليرتقي بها ويصونَ كرامَتَها، ويمنع عنها أذى الفسَّاق والمغرضينَ.

٢ - إذا كانت النِّساء المسلمات راضياتٍ بلباسهن الَّذي لا يجعلهن في زمرة الرَّجعيات والمتخلِّفات فما الذي يضير التَّقدميين في ذلك؟! وإذا كنَّ يَلْبِسْنَ الحجابَ ولا يتأفّفن منه فمَا الذي حشرَ التَّقدُّميين في قضيةٍ فرديةٍ شَخْصِيَّةٍ كهذهِ؟! ومن العجبِ أنْ تَسْمَعَ منهم الدعوةَ إلىٰ الحريةِ الشَّخصية وتقديسها، فلا يجوز أن يمسَّها أحدٌ، ثمَّ هم يتدخَّلُون في حريةِ غيرهم في ارتداءِ ما شاؤوا من الثياب.

٣ - إنَّ التَّخلفَ له أسبابُهُ، والتَّقدُّم له أسبابُهُ، وإقحامُ شريعةِ السِّتر والأخلاقِ في هذا الأمر خِدْعَةٌ مكشوفَةٌ، لا تَنْطَلي إلاَّ علىٰ متخلِّفٍ عَن مُسْتَوى الفِكْر والنَّظر، ومنذ متىٰ كانَ التقدُّمُ والحضارةُ متعلّقَين بلباسِ الإنسان؟! إنَّ الحضارةَ والتَّقدم والتَّطور كان نتيجةَ أبحاثٍ توصَّل إليها الإنسانُ بِعَقْلِهِ وإعْمَالِ فِكْرِهِ، ولم تكُن بثوبِهِ وَلَا بمظهَرِهِ.

الشبهةُ الثالثة: الحجابُ وسيلةٌ لإخفاءِ الشَّخصيةِ:

يقولُ بعضُهم: إنَّ الحجابَ يسهِّل عمليةَ إخفاءِ الشَّخصية، فقد يَتَستَّرُ وراءه بعضُ النِّساء اللواتي يقترفنَ الفواحِشَ.

الجواب:

۞ يشرعُ للمرأة في الإسلام أنْ تَسْتُرَ وجهَها لأنَّ ذلكَ أزكىٰ وأطهَر لقلوبِ المؤمنينَ والمؤمنات. وكلُّ عاقل يفهمُ مِن سلوكِ المرأةِ التي تبالغُ في سترِ نفسِها حتىٰ أنها لا تُبدي وجهًا ولا كفاً ـ فضلاً عن سائرِ بدنِها ـ أنَّ هذا دليلُ الاستعفافِ والصِّيانة، وكلّ عاقلٍ يعلمُ أيضًا أنَّ تبرّج المرأة وإظهارها زينَتَها يُشْعِرُ بِوَقَاحَتِها وقِلَّةِ حيائِها وهوانِها علىٰ نَفْسِها، ومن ثمَّ فهي الأَولىٰ أن يُساءُ بها الظنُّ بقرينةِ مَسْلَكِها الوخيم حيثُ تعرِضُ زينَتَها كالسِّلعَةِ، فتجرّ علىٰ نفسِها وصمةَ خُبْثِ النِّيةِ وفسادِ الطَّويةِ وطمع الذِّئاب البشرية.

۞ إنَّ مِنَ المتواترِ لدَى الكافَّةِ أنَّ المسلمة التي تَتَحَجَّب في هذا الزمانِ تَذُوق الويلات والسَّفاهات من المنافقينَ والمنافقات في كلِّ مكانٍ، ثمَّ هي تصبرُ علىٰ هذا كلّه ابتغاءَ وجهِ اللهِ تَعَالىٰ، ولا يفعل هذا إلاَّ مؤمنةٌ صادقةٌ ربَّاها القرآنُ والسُّنَّةُ، فإذا حاولَت فاسقةٌ مستهترةٌ ساقطةٌ أن تَتَجَلبَب بجلبابِ الحياءِ وتُواري عَن الأعينِ بارتداءِ شعار العَفَافِ ورَمْزِ الصِّيانةِ وتَسْتُر عن الناس آفاتها وفجورَها بمظهر الحصانِ الرَّزان فما ذنبُ الحجابِ إذًا ؟!

إنَّ الاستثناءَ يُؤيّدُ القاعدةَ ولا ينقضها كما هو معلومٌ لكلّ ذي عَقْل، مع أنّ نفسَ هذه المجتمعات التي يُرَوَّج فيها هذه الأراجيف قَد بلغت من الانحدارِ والتردِّي في مهاوي التبرُّج والفسوقِ والعِصْيان ما يغني الفَاسقاتِ عَن التستُّرِ،

ولا يحوجهنّ إلىٰ التَّواري عن الأعينِ.

ونقولُ للمنافقين الذين يتشدَّقُونَ بمثلِ هذا الكلامِ:

لو أنَّ رجلاً انتحلَ شخصيةَ قائدٍ عسكري كبيرٍ، وارتَدَى بِزَّتَهُ، وتحايَلَ بذلكَ واستَغَلَّ هذا الثوبَ فيما لا يُبَاحُ لَهُ كيف تكونُ عقوبَتُهُ؟! وهل يَصْلُحُ سلوكُهُ مبررًا للمطالبةِ بإلغاءِ الزِّي المميّز للعسكريينَ مثلاً خشيةَ أن يُسيءَ أحدٌ استعمالَهُ؟!

وما يقالُ عن البزَّةِ العسكريةِ يُقَال عن زيٍّ الرياضة، فإذا وُجِدَ في المجتمع الجنديّ الذي يخونُ والرِّياضِيُّ الذي يُذْنِب ويُسِيءُ، هل يقولُ عَاقِلٌ: إنَّ علىٰ الأُمَّةِ أنْ تُحَارِبَ شِعَارَ العسكرِ وزِيَّ الرِّياضةِ لخيانَاتٍ ظَهرَت وإساءاتٍ تكَرَّرت؟! فإذا كانَ الجوابَ: «لا» فلماذا يقفُ أعداءُ الإسلام مِنَ الحجابِ هَذا الموقِف المعَادِي؟! ولماذا يُثِيْرُونَ حولَهُ الشَّائِعَات الباطِلَة المغْرِضَة؟!.

❁ إنَّ الإسلامَ كما يأمرُ المرأةَ بالحجابِ يأمرُها أن تكونَ ذات خلقٍ ودينٍ، إنَّه يُربِّي من تحتِ الحجابِ قَبْلَ أنْ يُسْدَلَ عليها الجلبابُ، ويقول لها: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦] حتىٰ تصل إلىٰ قمَّةِ الطُّهر والكمالِ قبلَ أن تَصِلَ إلىٰ قِمَّةِ السِّترِ والاحتجابِ، فإذا اقتصرتِ امرأةٌ علىٰ أحدهمَا دونَ الآخرِ تكون كمن يمشِي علىٰ رجلٍ واحدةٍ أو يطير بجناح واحدٍ.

إنَّ التَّصدي لهؤلاء المستهترات ـ إذا وجدنَ ـ أنْ تَصْدُرَ قوانين صارمة بتشديدِ العقوبةِ علىٰ كلِّ من تُسوِّل لها نفسها استغلالَ الحجابَ لتسهيل الجرائِم وإشباع الأهواءِ، فمثل هذا التَّشديد جائز شرعًا في شريعةِ اللهِ الغَرَّاء التي حَرِصَت علىٰ صيانةِ النَّفس ووقايةِ العِرْض، وجعلتهمَا فوقَ كلِّ اعتبار، وإذا كانَ التَّخوف من سوءِ استغلالِ الحجابِ مخطرة محتَمَلَة إلاَّ أنَّ المخطرةَ في التَّبرج والسُّفور بنشر الفاحشةِ وفَتْح ذرائِعِها مقطوعٌ بها لدى كلِّ عَاقِل.

الشبهة الرابعة: عِفَّةُ المرأةِ في ذاتها لا في حِجَابِها:

يقول البعضُ: إنَّ عفَّةَ الفتاةِ حقيقةً كامنةً في ذاتِها، وليست غطاءً يُلقىٰ ويُسْدَل علىٰ جِسْمِها، وكم من فتاةٍ محتجبةٍ عن الرِّجال في ظاهرها وهي فَاجرةٌ في سلوكِها، وكم من فتاةٍ حاسرةَ الرأس كاشفةَ المفاتِن لا يعرفُ السوءُ سبيلاً إلىٰ نَفْسِها ولا إلىٰ سلوكها.

الجواب:

إن هذا صحيحٌ، فما كانَ للثيابِ أن تَنْسُجَ لصاحِبِها عفَّةً مفقودةً، ولا أن تَمنَحهُ استقامةً معدومَةً، ورُبَّ فاجرة سَتَرَت فجورَها بمظهر سترها.

ولكن مَن هذا الذي زَعَمَ أنَّ اللهَ إنما شَرَعَ الحجَابَ لجسم المرأةِ ليخلُقَ الطهارةَ في نَفْسِها أو العفةَ في أخلاقِها؟! ومَن هذا الذي زَعَمَ أنَّ الحجابَ إنما شرعَهُ اللهُ ليكونَ إعلانًا بأن كلَّ مَن لم تلتزمهُ فهي فاجرةٌ تَنْحَطُّ في وادي الغوايةِ مَع الرِّجال؟!

إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فرضَ الحجابَ علىٰ المرأةِ محافظةً علىٰ عِفَّةِ الرِّجالِ الَّذينَ قد تقعُ أبصارَهُم عَلَيْها، وليسَ حفاظًا علىٰ عِفَّتِها مِنَ الأعينِ الَّتي تَراها فَقَط، ولئن كانت تَشْتَرِكُ معهم هي الأخرى في هذه الفائدةِ في كثيرٍ من الأحيانِ إلاَّ أن فَائدَتَهُم مِن ذلك أعْظَمُ وأخطَرُ، وإلاَّ فَهَل يقولُ عاقلٌ تحتَ سلطانِ هذه الحجَّةِ المقلوبةِ: إنَّ للفتاةِ أنْ تَبْرُزَ عَارِيَةً أمامَ الرِّجال كُلِّهم مَا دَامَت لَيْسَت في شَكٍّ مِن قوَّةِ أخْلاقِهَا وصِدْقِ استِقَامَتِهَا؟!

إنَّ بلاءَ الرِّجال بما تَقَعُ عليه أبصارُهُم من مغرياتِ النِّساء وفتنَتِهِن هو المشكلة التي أحوجَت المجتمعَ إلىٰ حلٍّ، فكانَ في شرع اللهِ مَا تكفَّلَ بهِ علىٰ أفضلِ وَجْهٍ، وبلاءُ الرِّجال إذا لم يجد في سبيلِه هذا الحلّ الإلهي ما مِن ريبٍ سيتجاوزَ بالسوءِ

إلىٰ النِّساء أيضًا، ولا يُغني عَن الأمر شيئًا أنْ تَعْتَصِمَ المرأة المتبرجةُ عندئذ باستقامةٍ في سلوكِها أو عِفَّةٍ في نَفْسِها، فإنَّ في ضِرَام ذلكَ البلاءِ الهائج في نفوسِ الرِّجال ما قَد يتغلّب علىٰ كل استقامَةٍ أو عِفَّةٍ تتمتّع بها المرأةُ إذ تَعْرِض من فنون إثارتها وفتنتها أمامَهُم.

الشبهةُ الخامسةُ: دعوىٰ أنَّ الحجاب مِن وضع الإسلام:

زعمَ آخرونَ أنَّ حجابَ النِّساء نظامٌ وضعَهُ الإسلام فلم يكن له وجودٌ في الجزيرةِ العربيةِ ولا في غيرها قبل الدَّعوة المحمدية.

الجواب:

١- إنَّ مَن يقرأ كتبَ العهد القديم وكُتُبَ الأناجيل يعلمُ بغير عناءٍ كبير في البحثِ أنَّ حجابَ المرأة كان معروفًا بين العبرانيين من عهدِ إبراهيم عليهِ السلام، وظلَّ معروفًا بينهم في أيَّام أنبيائهم جميعًا، إلىٰ ما بعدَ ظهور المسيحية، وتكررت الإشارةُ إلىٰ البرقع في غير كتابٍ من كتبِ العهدِ القديم وكُتُب العهدِ الجديدِ. ففي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر (التكوين) عن «رفقة» أنَّها رفعت عينيها فرأت إسحاقَ، فنزلت عن الجمل وقالت للعبدِ: من هذا الرَّجُلُ الماشي في الحقل للقائي، فقال العبدُ: هو سيدي، فأخذت البرقُعَ وتَغَطَّت.

وفي النشيدِ الخامس من (أناشيد سليمان) تقول المرأة: أخبرني يا من تحبّه نفسي، أينَ ترعىٰ عند الظهيرة؟ ولماذا أكون كمقَنَّعةٍ عند قطعان أصحابِك؟

وفي الإصحاح الثالث من سفر (أشعيا): إنَّ الله سيعاقب بناتِ صهيونَ علىٰ تبرجهن والمباهاةِ برنين خلاخيلهن بأنْ ينزع عنهن زينةَ الخلاخيلِ والضفائِرِ والأهلَّةِ والحلقِ والأساور والبراقع والعصَائِب.

وفي الإصحاح الثامنِ والثلاثين من سفر (التكوين) أيضًا أنَّ «تامار» مضت وقعَدَت في بيتِ أبيها، ولما طالَ الزَّمانُ خلَعَت عنها ثياب تَرَمُّلِها وتَغَطَّت ببرقع وتَلَفَّفَت.

ويقول بولس الرَّسُول في رسالته (كورنثوس الأولىٰ): «إنَّ النِّقابَ شَرَفٌ للمرأةِ، وكانت المرأةُ عندهم تضع البرقُعَ علىٰ وجهها حينَ تَلْتَقِي بالغرباءِ وتخلعه حين تَنْزَوي في الدَّار بلباس الحداد».

فالكتبُ الدِّينية التي يقرؤها غيرُ المسلمينَ قد ذكرَت عن البراقع والعصَائِب مالم يذكُرهُ القرآنُ الكريمُ.

٢ - وكانَ الرومانُ يسنُّونَ القوانينَ التي تحرِّم علىٰ المرأة الظهور بالزِّينة في الطرقاتِ قبل الميلاد بمائتي سنةٍ، ومنها قانون عرف باسم «قانون أوبيا» يحرم عليها المغالاة بالزِّينة حتىٰ في البيوت.

٣ - وأما في الجاهلية فنجد أنَّ الأخبار الواردة في تستّر المرأة العربيةِ موفورة كوفرة أخبار سفورها، وانتهاكُ سترها كان سببًا في اليوم الثاني من أيام حروب الفجار الأول، إذْ أنَّ شبابًا من قريش وبني كنانة رأوا امرأة جميلةً وسيمةً من بني عامر في سوق عكاظ، وسألوها أن تُسْفِرَ عن وجهِها فأبت، فامتَهَنَها أحدُهُم فاستغاثَت بقومِها.

وفي الشعر الجاهلي أشعارٌ كثيرةٌ تشير إلىٰ حجابِ المرأة العربيةِ، يقولُ الربيعُ بنُ زياد العبسي بعد مقتَلِ مالك بن زهير:

مَن كانَ مسرورًا بمقتَلِ مَالك ... فليأتِ نِسْوتنا بوجهِ نَهار

يجِدِ النِّساءَ حواسرًا يَنْدُبْنَهُ ... يلطمنَ أوجههنَّ بالأسحَار

قد كن يخبأن الوجوه تسترًا ... فاليومَ حينَ بَرَزْنَ للنُّظَّار

فالحالةُ العامّةُ لديهم أنَّ النساءَ كنَّ محجَّبات إلاَّ في مثل هذه الحالةِ حيث فقدنَ صوابَهُنَّ فكشَفْنَ الوجوهَ يلطمنَها، لأنَّ الفجيعَةَ قد تَنْحَرفُ بالمرأةِ عمَّا اعتادت من تَسَتُّرٍ وقنَاع.

وقد ذكرَ الأصمعي أنَّ المرأة كانَت تُلْقِي خمارَها لحسنِها وهي علىٰ عِفَّةٍ.

وكانت أغطيةُ رؤوس النِّساء في الجاهلية متنوعةً ولها أسماء شتَّىٰ، منها:

(الخمار): وهو ما تُغَطِّي به المرأةُ رَأسَها، يوضعُ علىٰ الرأسِ، ويلفُّ علىٰ جزءٍ من الوجهِ.

وقد ورد في شعر صخرٍ يتحدث عن أختهِ الخنسَاء:

والله لا أمنحها شرارها ولو هلكت مَزقت خِمَارَها

وجعلت من شعر صدارَها

ولم يكن الخمارُ مقصورًا علىٰ العربِ، وإنما كانَ شائعًا لدى الأمم القديمةِ في بابل، وأشور، وفارس، والروم والهند.

(النقاب): قال أبو عبيد: «النقابُ عندَ العربِ هو الَّذي يبدُو منه محجر العينِ، ومعناهُ أنَّ إبداءهن المحاجِرَ محدَثٌ، إنما كانَ النقاب لاصقًا بالعينِ، وكانت تبدو إحدَى العينين والأخرى مستورةٌ».

(الوصواص): وهو النِّقاب علىٰ مارِن الأنفِ لا تظهر منه إلاَّ العينان، وهو البرقُع الصَّغير، ويسمّىٰ الخنق، قال الشاعر:

يا ليتَها قَد لَبِسَت وصوَاصا

(البرقع): فيه خرقانِ للعينِ، وهو لنساءِ العَرَب، قالَ الشَّاعرُ:

وكنتُ إذا ما جِئْتُ ليلَىٰ تَبَرْقَعَت فَقَد رَابَنِي منها الغداة سفورها

الشبهة السادسة: الاحتجاج بقاعدة: (تبَدّل الأحكام بتبدُّل الزَّمان):

فَهِمَ أعداءُ الحجابِ مِن قاعدة: «تبدل الأحكام بتَبَدُّل الزَّمان» وقاعدة: «العادة محكّمة» أنهُ ما دامت أعرافُهُم متطورّةً بتطوّرِ الأزمان فلا بدَّ أن تكونَ الأحكامُ الشرعيةُ كذلكَ.

الجواب:

لا ريبَ أنَّ هذا الكلامَ لو كانَ مقبولاً علىٰ ظاهرهِ لاقتضىٰ أن يكونَ مَصيرُ شرعيةِ الأحكام كُلّها رهنًا بيدِ عاداتِ النَّاس وأعرافهم، وهذا لا يمكنُ أن يقولَ بهِ مُسلم، لكن تحقيقَ المراد من هذهِ القاعدةِ أنَّ ما تعارفَ عليهِ النَّاسُ وأصبحَ عرفًا لهم لا يخلو من حالات:

١ - إما أنْ يكونَ هو بعينهِ حكمًا شرعيًا أيضًا بأن أوجدَهُ الشَّرع، أو كان موجودًا فيهم فدعا إليه وأكّدَهُ، مثال ذلك: الطهارةُ مِنَ النَّجس والحدثِ عند القيام إلىٰ الصَّلاة، وستر العورةِ فيها، وحجبِ المرأة زينَتَها عن الأجانبِ، والقصاص والحدود وما شَابَهَ ذلك، فهذه كُلّها أمورٌ تعدّ من أعرافِ المسلمينَ وعاداتِهِم، وهي في نفسِ الوقتِ أحكامٌ شرعيةٌ يستوجبُ فِعلها الثَّواب وتركها العقاب، سواءٌ منها ما كانَ متعارفًا عليه قَبْل الإسلام، ثمَّ جاءَ الحكم الشرعيُّ مؤيّدًا ومحسّنًا له كحكم القسَامَةِ والدِّيةِ والطوافِ بالبيتِ، وما كان غيرَ معروف قبل ذلكَ، وإنّما أوجَدَهُ الإسلامُ نفسُهُ كأحكامِ الطَّهارة والصَّلاة والزكاةِ وغيرها. فهذه الصُّورةُ من الأعرافِ لا يجوزُ أن يَدْخُلَها التَّبديل والتَّغيير مهما تبدلت الأزمنة وتطورت العاداتُ والأحوالُ، لأنها بحدِّ ذاتها أحكامٌ شرعيةٌ ثبتَت بأدلة باقيةٍ ما بقيتِ الدُّنيا، وليست هذه الصُّورة هي المعنية بقولِ الفقهاء: «العادة محكَّمة».

٢ - وإمَّا أنْ لا يكون حكمًا شرعيًا، ولكن تعلّق به الحكمُ الشرعيُّ بأن كانَ مناطًا له، مثال ذلك: ما يَتَعارَفُهُ النَّاسُ مِن وسائِل التَّعبير وأساليبِ الخطابِ والكلام، وما يَتَوَاضَعُونَ عليه من الأعمالِ المخلّةِ بالمروءة والآدابِ، وما تفرضُهُ سُنَّةُ الخلقِ والحياةِ في الإنسانِ مما لا دَخْلَ للإرادةِ فيه كاختلافِ عاداتِ الأقطارِ في سنِّ البلوغ وفترةِ الحيضِ والنِّفاس إلىٰ غير ذلك.

فهذه الأمثلةُ أمورٌ ليست بحدِّ ذاتها أحكامًا شرعيةً ولكنها متعلّق ومناط لها، وهذه الصُّورة من العرفِ هِيَ المقصودة من قول الفقهاء: «العادة محكّمة» فالأحكامُ المبنيّة علىٰ العرفِ والعادةِ هي التي تتغيّر بتغيّر العادةِ، وهنا فقط يصحُّ أنْ يقال: «لا ينكر تبدُّل الأحكام بتبدل الزّمان» وهذا لا يعدّ نسخًا للشّريعة، لأنَّ الحكمَ باقٍ، وإنما لم تتوافر لهُ شروطُ التَّطبيق فطبِّق غيره.

يوضّحه أنَّ العادةَ إذا تَغَيَّرت فَمَعْنَىٰ ذلكَ أنَّ حالَةً جديدةً قد طرأت تَسْتَلْزِم تطبيقَ حكم آخَرَ، أو أنَّ الحكمَ الأصليَّ باق، ولكن تَغَيّر العادةِ استلزمَ توافر شروط معينة لتطبيقه.

الشبهة السابعة: نساءٌ خيِّراتٌ كنَّ سَافِرات:

احتجّ أعداء الحجابِ بأنَّ في شهيرات النِّساء المسلماتِ علىٰ اختلاف طبقاتِهن كثيرًا ممن لم يرتدينَ الحجاب ولم يتجنّبن الاختلاطَ بالرِّجال.

وعمدَ المروِّجونَ لهذه الشُّبهة إلىٰ التاريخ وكُتُبِ التَّراجم، يفتشونَ في طولها وعرضِها وينقبونَ فيها بحثًا عن مثل هؤلاءِ النِّساء حتىٰ ظفروا بضَالَّتهم المنشودة ودرتِهِم المفقودَة، فالتقطوا أسماءَ عَدَدٍ من النِّساء لم يكن يبالين - فيما نَقلته الأخبار عنهنَّ - أنْ يظهرنَ سَافرات أمامَ الرِّجال، وأن يلتقينَ معهم في ندوات أدبيةٍ وعلمية دونما تَحرُّز أو تحرُّج.

الجواب:

١ - من المعلوم والمتقرر شرعاً أنَّ الأدلةَ الشَّرعيةَ التي عليها تُبْنَىٰ الأحكامُ هي الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ والقياسُ، فضمن أيِّ مَصْدَرٍ من مصادرِ التَّشريع تندرج مثل هذه الأخبَار، خاصَّةً وأنَّ أغلَبَها وقعَ بعد فترةٍ مِنَ التَّشريع وانقطاع الوحي؟!.

٢ - وإذا عُلِم أنَّ أحكامَ الإسلام إنما تؤخَذُ مِن نَصٍّ ثابتٍ في كتابِ اللهِ تَعَالىٰ أو حديثٍ صحيح من سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ أو قياسٍ صحيح عليهمَا أو إجماع اتَّفَقَ عليهِ أئمةُ المسلمينَ وعلماؤهم لم يصحّ حينئذٍ الاستدلال بالتصرُّفات الفرديةِ مِن آحادِ النَّاس أو ما يسمّيه الأصوليون بـ«وقائع الأحوال» فإذا كانت هذه الوقائعُ الفرديةُ مِن آحادِ النَّاس لا تعتبر دليلاً شرعيًا لأيِّ حكم شرعيٍّ حتَّىٰ لو كانَ أصحابُها مِنَ الصَّحابة رضوانُ اللهِ عليهم أو التَّابعين من بعدهم فكيف بمن هم دونَهُم؟!

بل المقطوعُ بهِ عند المسلمينَ جميعًا أنَّ تصرفاتهم هي التي تُوزن ـ صحةً وبطلانًا ـ بميزانِ الحُكْم الإسلامي، وليس الحكمُ الإسلاميُّ هو الذي يُوزَن بتصرفاتِهِم ووقائع أحوالِهِم، وصدَقَ القائل: «لا تعرفِ الحقَّ بالرِّجال، واعرف الحقَّ تَعْرف أهلَهُ».

٣ - ولو كانَ لتصرفات آحاد الصحابَةِ أو التَّابعين مثلاً قوةَ الدَّليل الشَّرعي دونَ حاجةٍ إلى الاعتمادِ علىٰ دليلٍ آخَر لبَطَلَ أنْ يكُونُوا معرَّضين للخطأ والعصيانِ، ولوجبَ أن يكونُوا معصومينَ مثْلَ رسولِ اللهِ ﷺ وليسَ هذا لأحدٍ إلاَّ للأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام، أمَّا من عَدَاهُم فحقَّ عليهم قولُ رسولِ اللهِ

ﷺ: «كلُّ بني آدمَ خَطَّاء..» [رواه أحمد] وإلاّ فما بالنا لا نقولُ مثلاً: يَحِلُّ شُرب الخمر فَقَد وُجِد فيمن سَلَفَ في القرونِ الخَيِّرة مَن شَرِبَها؟!.

٤ - وما بالُ هؤلاء الدُّعاة إلىٰ السّفور قد عَمَدُوا إلىٰ كتبِ التَّاريخ والتَّراجم فجمعوا أسماءً مثل هؤلاء النِّسوة من شتىٰ الطبقاتِ والعُصُور، وقَد عَلِمُوا أنَّهُ كان إلىٰ جانبِ كلِّ واحدةٍ منهنَّ سوادٌ عظيمٌ وجمعٌ غفيرٌ مِنَ النِّساء المتحجّبات الساترات لزينَتِهِنَّ عن الأجانبِ مِنَ الرِّجال؟! فلماذا لم يَعْتَبِرْ بِهَذِهِ الجمهَرَةِ العظيمةِ ولم يجعلها حُجَّةً بدلاً من حَالِ أولئك القِلَّةِ الشَّاذَّةِ المستثناة؟!

يقولُ الغزاليُّ: «لم تَزَل الرِّجال علىٰ مرِّ الأزمان تكشفُ الوجوه، والنِّساء يخرجن مُنتقبات أو يمنعنَ مِن الخروج»

ويقولُ ابن رسلان: «اتَّفَقَ المسلمونَ علىٰ منعِ النِّساء مِنَ الخروجِ سافرات».

ولماذا لم يحتجّ بمواقفِ نِسَاءِ السَّلف مِنَ الصَّحابة والتَّابعين ومن تبعهم بإحسانٍ في تمسكهم بالحجابِ الكاملِ واعتباره أصلاً راسخًا من أصولِ البُنْيَةِ الاجتماعيةِ؟!.

الشبهةُ الثامنةُ: الحجابُ كبتٌ للطاقَةِ الجنسيةِ:

قالوا: إنَّ الطاقةَ الجنسيةَ في الإنسانِ طاقةٌ كبيرةٌ وخطيرةٌ، وخطورتُها تكمُنُ في كبتِها، وزيادةِ الضَّغط يولّد الانفجار، وحجابُ المرأة يغطِّي جمالَها، وبالتَّالي فإنَّ الشبابَ يظلونَ في كبتٍ جنسيّ يكادُ أن يَنْفَجِرَ أو يتفَجَّر أحيانًا علىٰ شكلِ حوادثِ الاغتصابِ وغيرها، والعلاج لهذهِ المشكلة إنما يكمنُ في تحريرِ المرأة من هذا الحجابِ لكي يُنَفِّسُ الشَّبابُ الكبتَ الَّذي فيهم، وبالتَّالي يحدثُ التَّشبع لهذهِ الحاجةِ، فيقلّ طبقًا لذلك خطورة الانفجَار بسببِ الكبتِ والاختناق.

الجواب:

١ - لو كانَ هذا الكلامُ صحيحًا لكانَت أمريكا والدُّول الأوربية وما شَاكَلَها هي أقلُّ الدول في العالم في حوادثِ الاغتصابِ والتحرّش في النِّساء وما شَاكلها من الجرائم الأخلاقيةِ، ذلك لأنَّ أمريكا والدُّول الأوربية قد أعطَت هذا الجانب عنايةً كبيرةً جدًا بحجةِ الحرِّيةِ الشَّخصية. فماذا كانَت النتائجُ التي ترتَّبت علىٰ الانفلاتِ والإباحيةِ؟ هل قلَّت حوادثُ الاغتصابِ؟ هَل حدثَ التشبُّعُ الذي يتحدَّثون عنه؟ وهل حُميت المرأةُ مِن هذهِ الخطورة؟

جاء في كتاب «الجريمة في أمريكا»: إنَّه تَتِمُّ جريمةُ اغتصابٍ بالقوَّة كلَّ ستة دقائق في أمريكا. ويعني بالقوةِ: أي تحتَ تأثير السِّلاح.

وقد بلغَ عددُ حالاتِ الاغتصاب في أمريكا عام (١٩٧٨م) إلىٰ مئة وسبعة وأربعين ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين حالة، لِتَصِلَ في عام (١٩٨٧م) إلىٰ مئتين وواحد وعشرين ألف وسبعمائة وأربع وستين حالة. فهذه الإحصائيات تكذِّب هذه الدَّعوى بلا شكٍّ ولا ريب.

٢ - إنَّ الغريزَةَ الجنسيةَ موجودة في الرِّجال والنِّساء، وهي سرٌّ أودَعَهُ اللهُ تعالىٰ في الرَّجُل والمرأةِ لحِكَم كثيرة، منها استمرار النَّسل. ولا يمكنُ لأحدٍ أن ينكِرَ وجودَ هذه الغريزة، ثمَّ يطلب مِنَ الرِّجال أن يَتَصرَّفُوا طبيعيًا أمامَ مناظِرِ التكَشُّف والتَّعرّي دونما اعتبار لوجودِ تلكَ الغريزة.

٣ - إنَّ الذي يدَّعي أنَّهُ يمكن معالجة الكبتِ الجنسي بإشاعَةِ مناظر التبرّج والتَّعري ليحدث التَّشبع فإنه بذلك يصلُ إلىٰ نتيجتين:

الأولىٰ: أن هؤلاء الرِّجال الَّذين لا تُثيرهُم الشَّهوات والعوراتِ البادية من فئةِ

المخصيِّينَ، فانقطعَت شهوتُهم، فما عادُوا يشعرونَ بشيءٍ من ذلك الأمر.

الثانية: أنَّ هؤلاءِ الرِّجال الذين لا تثيرُهُم العوراتُ الظاهرةُ من الَّذين أصابهم مرضُ البرودِ الجنسي.

فهل الذينَ يَدَّعُونَ صِدْقَ تلكَ الشُّبهة يريدونَ مِن رجالِ أمَّتنا أن يكونُوا ضِمْنَ إحدى هاتين الطائفتينِ مِنَ الرِّجالِ أم ماذا؟!.

الشبهة التاسعة: الحجاب يُعَطِّل نصفَ المجتمع:

قالوا: إنَّ حجابَ المرأة يُعَطِّل نصفَ المجتمع، إذْ أنَّ الإسلام يأمرُها أن تَبْقَىٰ في بيتها.

الجواب:

١ - إنَّ الأصل في المرأة أن تبقىٰ في بيتِها، قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]. ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأةِ وتعطيل طاقَاتِها، بَل هو التَّوظيف الأمثل لطاقاتها.

٢ - وليسَ في حجابِ المرأةِ ما يمنعُها من القيام بما يتعلَّق بها من الواجباتِ، وما يُسمح لها بهِ مِنَ الأعمال، ولا يحولُ بينها وبينَ اكتسابِ المعارفِ والعلوم، بل إنها تستطيع أنْ تَقُوم بكلِّ ذلك مع المحافظةِ علىٰ حجابِها وتجنبها الاختلاط المشين.

وكثيرٌ مِن طالباتِ الجامعاتِ اللاتي ارتَدَينَ الثَّوب الساتِرَ وابتَعَدْنَ عن مخالطةِ الطلابِ قَد أحرزنَ قَصَب السَّبق في مضمارِ الامتحان، وكنَّ في موضع تقديرٍ واحترام من جميع المدَرِّسين والطلاب.

٣ - بل إنَّ خروجَ المرأةِ ومزاحمتِها الرَّجُل في أعمالِهِ وتركها الأعمالَ التي لا يمكنُ أنْ يَقُومَ بها غيرُها هو الَّذي يُعَطِّلُ نصفَ المجتمع، بَل هو السَّبب في انهيار

المجتمعاتِ وفشو الفَسَادِ وانتشارِ الجرائِم وانفكاكِ الأسَر، لأنَّ مهمتها رعاية النشء وتربيتهم والعناية بهم - وهي من أشرفِ المهام وأعظمها وأخطرها - وقد أضحَت بلا عائلٍ ولا رقيب.

ثمَّ إنَّ هناك الكثيرينَ مِن الرِّجال الَّذين فقدُوا كرسيَّ العملِ اللائقِ بهم، وكانوا عاطلينَ عن العملِ والسببُ يعودُ إلىٰ احتلالِ النِّساء الجميلات هذا المكان، فكانت النتيجةُ أنْ عَمِلَت المرأةُ وقعدَ الرجُلُ في البيتِ يأكلُ من معاشها وكدِّ يمينها! فَهَل هذا هو الوضعُ الطبيعيُّ بأعينِ أهل التحرُّر والتَّقدُّم والازدِهار للمجتمعَاتِ.

الشبهة العاشرة: التبرّج أمرٌ عادي لا يلفتُ النَّظَرَ:

يدَّعي أعداءُ الحجابِ أنَّ التَّبرج الذي تبدُو به المرأةُ كاسيةً عاريةً لا يُثيرُ انتباهَ الرِّجال، بينما ينتبِهُ الرِّجَالُ عندما يرونَ امرأةً متحجبةً حجابًا كاملاً يَسْتُرُ جَسَدَها كُلَّهُ، فيريدونَ التعرُّفَ علىٰ شَخْصِيَّتِها ومتابعتها، لأنَّ كلَّ ممنوع مرغوب.

الجواب:

١ - ما دامَ التَّبرجُ أمرٌ عاديٌّ لا يلفتُ الأنظارَ ولا يستهوي القلوبَ فلماذا تبرَّجت؟! ولمن تَبَرَّجَت؟! ولماذا تحمَّلت أدواتِ التَّجميل وأجرة الكوافير ومتَابَعَةِ الموضات؟!.

٢ - وكيفَ يكونُ التَّبرج أمرًا عاديًا ونَرى أنَّ الأزواج - مثلاً - تزدادُ رغبَتُهُم في زوجاتِهم كُلَّمَا تَزَيَّنَّ وتجمَّلن، كما تزدادُ الشهوةُ إلىٰ الطعام كُلَّما كانَ منسقًا متنوعًا جميلاً في ترتيبه ولو لم يكن لذيذَ الطعم؟!.

٣ - إنَّ الجاذبيةَ بينَ الرَّجُل والمرأة هي الجاذبية الفِطرية، لا تَتَغَيَّر مَدَى الدَّهْر، وهي شيء يجري في عُرُوقِهِمَا، وينبِّهُ في كلٍّ من الجنسين ميوله وغَرَائِزَهُ الطبيعية،

فإنَّ الدَّم يحملُ الإفرازات الهرمونية مِنَ الغددِ الصَّماء المختلفـةِ، فتؤثِّر علىٰ المخّ والأعصابِ وعلىٰ غيرها، بل إنَّ كلَّ جزءٍ مِن كلِّ جسم يَتَمَيَّز عمَّا يشبهه في الجنس الآخَر، ولذلك تَظْهَرُ صفاتُ الأنوثـة في المرأةِ في تركيبِ جسمِها كُلِّه وفي شكْلِها وفي أخلاقِها وأفكارها وميولها، كما تظـهر مميزاتُ الذكورةِ في الرَّجُل في بدنِهِ وهيئَتِه وصوتِهِ وأعمالِهِ وميولِهِ. وهذه قاعدةٌ فطريةٌ طبيعيةٌ لم تَتَغَيَّر مِن يوم خَلَقَ اللهُ الإنسانَ، ولن تَتَغَيَّر حتىٰ تقومَ السَّاعَةُ.

٤ - أودعَ اللهُ الشبقَ الجنسي في النَّفس البشرية سرًّا مِن أسراره، وحكمـةً من روائع حِكَمِهِ جلّ شأنهُ، وجعلَ الممارسةَ الجنسيةَ مِن أعظم ما يَنْزِعُ إليه العقلُ والنَّفسُ والروحُ، وهي مطلبٌ روحيٌ وحسيٌ وبدني، ولو أنَّ رجلاً مَرَّت عليه امرأةٌ حاسرَةٌ سافرةٌ علىٰ جمالٍ باهر وحُسْن ظاهِر واستهواء بالغ ولم يلتفِت إليها وينزع إلىٰ جمالها يحكم عليهِ الطِّبُّ بأنَّهُ غَيرُ سويٍّ وتنقصه الرَّغبة الجنسيةُ، ونقصان الرَّغبة الجنسية ـ في عُرف الطب ـ مرضٌ يستوجبُ العلاج والتداوي.

٥ - إنَّ أعلىٰ نسبةً مِنَ الفجور والإباحية والشذوذِ الجنسي وضياع الأعـراض واختلاط الأنساب قد صَاحبت خـروجَ النِّسـاء مترجـات كاسيات عاريَـات، وتتناسبُ هذه النِّسبة تناسبًا طرديًا مع خروج النِّساء علىٰ تلك الصُّورة المتحللة من كلِّ شرفٍ وفضيلةٍ، بَل إنَّ أعلىٰ نسبةً مِنَ الأمراض الجنسية ـ كالأيدز وغيره ـ في الدولِ الإباحيةِ التي تزدادُ فيها حُرِّيةُ المرأة تفلّتًا، وتتجاوزُ ذلك إلىٰ أن تُصبحَ همجيةً وفوضَىٰ، بالإضافة إلىٰ الأمراض والعُقَدِ النَّفسية التي تلجئ الشباب والفتيات للانتحارِ بأعلىٰ النِّسب في أكثر بلادِ العالم تحللاً مِنَ الأخلاق.

٦ - أما أنَّ العيون تُتَابع المتحجِبَةَ السَّاترة لوجهها ولا تُتَابع المتبرجَـةَ فـإنَّ

المتحجبةَ تشبه كتابًا مغلقًا، لا تُعْلم محتوياتُهُ وعدَد صفحاتِهِ وما يحملُهُ من أفكارٍ، فطالما كانَ الأمرُ كذلك، فإنَّه مهما نظرنا إلىٰ غلافِ الكتابِ ودقَّقنا النَّظَرَ فإنَّنا لن نفهمَ محتوياته، ولن نَعْرفها، بل ولن نتأثَّر بها، وبما تحملُهُ مِن أفكار، وهكذا المتحجبةُ غلافُها حجابُها، ومحتوياتُها مجهولة بداخلِهِ، وإنَّ الأنظار التي ترتفعُ إلىٰ نورها لَتَرْتَدُّ حسيرةً خاسئةً، لم تظفر بِشَروَى نَقير ولا بأقلِّ القليل.

أمَّا تلكَ المتبرجةُ فتشبهُ كتابًا مفتوحًا تتصفَّحُهُ الأيدي، وتتداولُهُ الأعينُ سطرًا سطرًا، وصفحةً صفحةً، وتتأثَّر بمحتوياتِهِ العقولُ، فلا يُتْرَك حتىٰ يكونَ قد فَقَدَ رَونَقَ أوراقِهِ، فَتَتَنَّت بل تَمَزَّق بعضُها، إنَّه يصبحُ كتابًا قديمًا لا يستحقّ أنْ يُوضَعَ في واجهةِ مكتبةِ بيتٍ متواضعةٍ، فما بالنَا بواجهةِ مكتبةٍ عظيمةٍ؟!.

الشُّبهة الحادية عشرة: السفور حقّ للمرأة والحجاب ظلم:

زعموا أنَّ السّفور حقٌّ للمرأةِ، سلَبَها إيَّاه المجتمعُ، أو سَلَبَها إيَّاهُ الرَّجُلُ الأنانيُّ المتحجرُ المتزمتُ، ويرونَ أنَّ الحجابَ ظلمٌ لها وسلبٌ لحقِّها.

الجواب:

١ - لم يكن الرَّجُل هو الذي فرضَ الحجابَ علىٰ المرأة فترفع قضيتَها ضدَّه لتتخلَّص من الظلم الَّذي أوقَعَهُ عليها، كما كانَ وَضعُ القضيةِ في أوربا بين المرأة والرَّجُل، إنما الذي فرضَ الحجابَ علىٰ المرأة هو ربُّها وخالِقُها الذي لا تملِكُ - إن كانت مؤمنةً - أنْ تُجادلَهُ سبحانَهُ فيما أمرَ بهِ أو يكونَ لها الخيرةُ في الأمر، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

٢ - إنَّ الحجابَ في ذاتِهِ لا يشكِّلُ قضيةً، فقد فُرِضَ الحجابُ في عهدِ رسول الله ﷺ ونفذ في عهدِ، واستمَرَّ بعد ذلك ثلاثَةَ عشَرَ قرنًا متواليةً وما من مُسْلِم يؤمنُ بالله ورسولِهِ يقول: إنَّ المرأةَ كانت في عهدِ رسول الله ﷺ مظلومةً.

فإذا وقَعَ عليها الظلمُ بعدَ ذلك حينَ تخلّف المسلمونَ عَن عقيدَتِهِم الصَّحيحة ومقتضياتها فلم يكن الحجاب ـ بداهةً ـ هو منبعُ الظلم ولا سببهُ ولا قرينهُ، لأنَّه كان قائمًا في خيرِ القرونِ علىٰ الإطلاقِ، وكانَ قرين النَّظافة الخلقيةِ والرُّوحية، وقرين الرِّفعة الإنسانيةِ التي لا مثيلَ لها في تاريخ البشريةِ كُلِّه.

الشبهة الثانية عشرة: الحجابُ رمزٌ للغلوِّ والتَّعصب الطائفي والتَّطرف الديني:

زعم أعداءُ الحجابِ أنَّ حجابَ المرأة رَمْزٌ من رُموز التَّطرف والغلُوّ، وعلامة من علاماتِ التَّنطع والتَّشدد، مما يسبب تنافراً في المجتمع وتصادماً بين الفئتين، وهذا قد يؤول إلىٰ الإخلالِ بالأمن والاستقرار.

الجواب:

١ - هذه الدعوى مَرفُوضَة من أساسِها، فالحجابُ ليسَ رمزاً لتلكَ الأمور، بل ولا رمزاً من الرموز بحال، لأنَّ الرَّمز ما ليس له وظيفة إلاَّ التعبير عن الانتماء الدِّيني لصاحبِهِ، مثل الصَّليب علىٰ صدرِ المسيحي أو المسيحيةِ، والقُلُنسوة الصغيرة علىٰ رأس اليهودي، فلا وظيفةَ لهما إلاَّ الإعلان عن الهوية.

أما الحجابُ فإنَّ له وظيفةً معروفة وحِكَماً نبيلة، هي السّتر والحشمة والطُّهر والعفاف، ولا يخطرُ ببالِ مَن تلبسهُ مِنَ المسلمات أنَّها تعلن عن نفسِها وعن دينِها، لكنها تطيعُ أمرَ ربِّها، فهو شعيرةٌ دينيةٌ، وليسَ رمزاً للتَّطرف والتَّنطُّع.

ثمَّ إنَّ هذه الفريةَ التي أطلقوها علىٰ حجابِ المرأةِ المسلمةِ لماذا لم يطلقُوها علىٰ حجاب الرَّاهبات؟! لماذا لم يقولوا: إنَّ حجابَ اليهودياتِ والنَّصرانيات رمزٌ للتَّعصب الدِّيني والتَّميُّز الطائفي؟! لماذا لم يَقُولُوا: إنَّ تعليق الصَّليب رمزٌ من رموزِ التَّطرف الدِّيني وهو الذي جرَّ ويلاتِ الحروبِ الصَّليبية؟! لماذا لم يَقُولُوا: إنَّ وَضْعَ اليهوديّ القُلنسوةَ الصَّغيرة علىٰ رأسهِ رمزٌ مِن رموزِ التَّطرف الدِّيني وبسببهِ يحصلُ ما يحصُلُ مِنَ المجازرِ والإرهابِ في فلسطين المحتلّة؟!

٢ - إنَّ هذه الفريةَ يكذِّبُها التاريخُ والواقعُ، فأين هذه المفاسدُ المزعومةُ والحجابُ ترتديهِ المرأةُ المسلمةُ منذُ أكثر من أربعةِ عَشَرَ قرناً؟!

٣- إنَّ ارتداءَ المرأةِ للحجابِ تم مِن منطلقٍ عقدي وقناعةٍ روحيةٍ، فهي لم تُلْزَم بالحجابِ بقوةِ الحديدِ والنَّار، ولم تدعُ غيرها إلىٰ الحجابِ إلاَّ بالحكمةِ والحججِ الشَّرعية والعقليةِ، بل عكس القَضيَّة هو الصَّحيح، وبيان ذلك أنَّ إلزام المرأة بخلع حجَابِها وجعل ذلك قانوناً وشريعةً لازمةً هو رَمْزُ التَّعصُّب والتَّطرف اللاديني، وهذا هُو الَّذي يسبب التَّصادُم وردودَ الأفعالِ السيئةِ، لأنَّه اعتداءٌ علىٰ الحريةِ الدِّينيةِ والحريةِ الشَّخصية. كما حصلَ في يوم أسود في فرنسا.. وسنتكلَّمُ عن هذا قريباً ضمن هذا الكتاب إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

❖ ❖ ❖

لباس النساء في هذا الوقت

واقعُ اللباسِ عندَ كثيرٍ من نساءِ المسلمين الآنَ عندما يتجولُ الإنسانُ الآنَ في الأسواق، لا يكادُ يكون هناك لباسٌ ساترٌ ـ إلاَّ من رحمَ ربِّي ـ فعامَّةُ اللِّباس لباسٌ لا يستُرُ العورةَ، وأقلُّ ما فيهِ أنْ تجدَ لباساً يجَسِّدُ ويصفُ الجسَدَ.

وإذا خوطبَ أصحابُ المحلاتِ عن ذلك.. قالُوا: إنَّ هذا الَّذي يطلبُهُ النَّاسُ الآنَ!.. ولعلكَ تجد فساتينَ طويلة من غير أكمام! أو مفتوحَةً مِنَ الظَّهر! أو ضَيِّقةً من الجانبين!

وأخرى إلىٰ الركبةِ! وأخرى إلىٰ الفَخِذَين! وطويلة وشفَّافة تظهر الصَّدرَ! وتلك قصيرة مِن غير أكمام! وإنما عليها قطعة شفافة مِنَ القُماش!

ولباس استورد مِن عبَّادِ البقَرِ والفئرانِ ذلك اللِّباس الذي يسمونَّه بالزِّي الهندي.. عبارة عن قطعةٍ تُلَفُّ علىٰ الجسدِ ويبين مابين ذلك!

أيضاً.. الميني جيب، والتي شيرت يكتب عليها عبارات سيئة وعليها صُور للسَّاقطين والسَّاقطات..!

وبَلايِز تُغَطِّي نصفَ البَطْن!

وهناكَ بناطيل جلدية لامِعَة تعلقُ بالجسدِ لشدة ضِيقِها، وتلبسُها المرأةُ المتَرَجِّلة..

وهناك تنانير الاسترش.. نوع من المطاطِ حسبَ الجسم..

وهناك تنورةُ اللَّف تُزَرُّ مِن أحدِ جانبيها، إذا تحركَت المرأة أدنىٰ حركةٍ ظهرَ مابينَ ذلك!

وهناك امرأةٌ وَصَفَت حالَ النساء في الزَّواج ونُشر في بعض الصحف..

وقالت: أنَّ هناك من النِّساء:

نصفها الأسفَل واضحٌ تماماً تحتها شَفَّاف.. والنِّصف العلوي حكم ماكان ساتر..

وأخرى تكشِفُ عَن الوَسَطِ، ومن البديهي صارَ خلع الأزرارِ ولبس القَصِير والضَّيِّقِ والمفكوك من كلِّ الجهات..

أسباب هذا التحول التي أبتليت فيه مجتمعات المسلمين في أوساط النساء

أسبابه كثيرةٌ منها:

١ - تفريط من وَلاَّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ أمرَ هؤلاءِ النِّساء.

٢ - ضعفُ الإيمانِ وَضَعْفُ الوازع الدِّيني لدى بعضِ النِّساء.

٣ - القنواتُ الفضائيةُ.

٤ - المجلاتُ الهابطةُ.

٥ - الإلغاءُ التَّامُّ للتَّفكير والعَقْل.

٦ - حِرْص النِّساء على الموضةِ والرَّغبة في شراءِ كلِّ جَديدٍ.

٧ - الأسفارُ لبلدانِ الكُفْرِ والَّتي لا تَعْرفُ الدِّينَ والحياءَ.

٨ - الألبسةُ السّائدةُ في الأسواقِ.

٩ - القدوةُ السَّيئة.

١٠ - اِنعكاسُ المفاهيم واِنقلابِ المقاييس.

١١ - دعاةُ التَّبرُّج وسعيهم في تعريةِ نساءِ المسلمينَ.

علاج هذه الظواهر

١- أن يقومَ أولياءُ الأمورِ بمنع النِّساء ومحارِمِهم مِنَ اللباس الغيرِ محتشم.

٢- وعلىٰ مَن بسطَ اللهُ يَدَهُ.. أنْ يقومَ علىٰ دورِ الأزياءِ والمشاغل ومتابعَةِ المخالفاتِ.

٣- التربيةُ الإيمانيةُ وغرسُ الحياءِ في الجيل منذ الصِّغَر.

٤- أنْ نغرسَ في النفوسِ ونقرر أنَّ هذهِ القضيةَ دِينٌ وفطرةٌ وليست مأخوذَةٌ منَ التَّقاليد.

٥- أنْ نكثف التَّوعيةَ والبرامجَ التي تُوَجَّهُ للمرأةِ.

٦- تُوَزَّع الفتاوى في ذلك في الأعراسِ والمحلاَّت...

٧- تفقيهُ النِّساء عبرَ الدُّروس والمحاضراتِ.. فلا يتركنَ بين جهلٍ وهَوى.

حكم ألبسة النساء في هذا الزمان

هَل يُعْقَل أنْ يكونَ اللِّباس بينَ النساءِ الآن ما بينَ السُّرةِ والركبةِ؟

هذا لا يقولُهُ عاقلٌ ولا يلبسنَهُ إلاَّ الكافرات..

والألبسةُ التي يلبسها كثيرٌ مِنَ النِّساء الآن هي ألبسةٌ محرمةٌ. وأنَّ عامَّتها من ثيابِ الكفَّار وأزيائهم.

منها عمومُ الأدلة علىٰ أنَّهُنَّ عورات.

وهناك ما أخرجَهُ مسلم في صحيحه: «صِنْفَان مِن أهلِ النَّار لم أرهما..».. الحديث.. ومن هذهِ الأزياء التي تؤدِّي إلىٰ التَّبَذُّل وعَدَم الحياء والتَّساهُل.

لبس البنطال

لقَد أفتت دارُ الإفتاءِ المصرية بما يلي:

«لبسُ المرأة للبنطلون الضَّيق المُفصِّل لجسَدِها حرامٌ شرعاً وأنَّ عقوبَةَ التَّبرج والسّفور في الآخرة عقوبة شديدة مثل عقوبةِ تَارك الصَّلاة أو الزكاةِ ، لأنَّ الحجابَ واجبٌ شرعيٌّ، والتَّبرج والسّفور من الكبائرِ المحرَّمَةِ شرعاً إذْ أنَّهما يؤديان إلىٰ انتشارِ الفسادِ والفَاحِشَةِ».

وحديثُ رسولِ الله ﷺ: عَن أبي هريرة ؓ قَالَ: «لَعَنَ رسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يلبسُ لِبْسَةَ المرأةِ، والمرأةَ تلبس لِبْسَةَ الرَّجُلِ» [رواه أبو داود]

وقالَ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ عَزّ وَجَلَّ إليهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوث». [رواه النسائي].

❁ وأكيد أنَّ هذه المرأةُ التي ستخرج بهذا البنطال سوفَ تَتَعَطَّر، وسوفَ ترقِّق حَواجِبَها، وتتبرَّج بصوتِها ومشيتِها، فما حكمُ ذلكَ؟

١ ـ (التعطُّرُ): قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِها فَهِيَ زَانِيَةٌ» [رواه أبو داود، والنسائي].

٢ ـ (ترقيق الحاجب) وهو (النَّمص) قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ». [متفق عليه].

والنامصةُ: هي من تُرَقِّق الحاجبين للنِّساء، والمتَنَمِّصَةُ: هي مَن يَتِمُّ ترقيقُ حواجبها.

٣ ـ (تبرُّج المرأة بصوتها أو مشيتها): قالَ تَعالىٰ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً

مَعْرُوفاً﴾ [الأحزاب:٣٢]. ولا تخضعنَ بالقولِ: أي لا تُلِن القَولَ، ولا يكن في صوتِكُنَّ ميوعة الأنوثةِ عندمَا تخاطِبْنَ الرِّجال.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: من الآية ٣١] وذهب ابن كثير، إلىٰ أن المرأة منهيةٌ عن كلِّ شيء يلفتُ النظرَ إليها أو يحرِّك شَهوةَ الرِّجال نَحْوَها. واللهُ تعالىٰ أعلم.

❖ ❖ ❖

التبرج المقنَّع

لقد رأى أعداءُ الصَّحوة الإسلامية أنْ يتَعَامَلُوا مع الحجابِ الشَّرعي بطريقةٍ خبيثةٍ ، فراحُوا يُرَوِّجُونَ صوراً متنوعةً مِنَ الحجابِ على أنها حَلٌّ وسطٌ تُرضِي المحجبةُ بهِ ربَّها ـ زعموا! ـ وفي نفسِ الوقتِ تُسَايِر مجتمَعَها ، وتحافِظ على أناقَتِها.

وكانت بيوتُ الأزياءِ قد أشفَقَت من بوارِ تجارتِها، بسببِ انتشارِ الحجاب الشَّرعي ، فمن ثَمَّ أغرقَت الأسواقَ بنماذج ممسوخةٍ من التَّبرج تحت اسم (الحجاب العَصْري) وأحرَجَت ظاهرةَ الحجابِ الشَّرعي طائفةٌ مِنَ المتبرجات اللائي هرولْنَ نحو (الحلِّ الوسط) تخلصاً من الحرجِ الاجتماعي الضَّاغِط ، الذي سببهُ انتشارُ الحجابِ الشَّرعي ، وبمرورِ الوقتِ تَفَشَّت ظاهرة (التَّبَرُّج المقنَّع) المسمىٰ بالحجابِ العَصْريّ ، يحسب صويحباته أنهنَّ خير البناتِ والزَّوجات ، لذا فيا صاحبةُ الحجاب العصري : حذار أنْ تُصَدِّقي أنَّ حجابَكِ هو الشَّرعي الذي يُرضِي ربَّكِ ، وإيَّاك أن تَنْخَدِعي بمن يبارك عَمَلَكِ هذا ، ويكتمكِ النَّصيحة ولا تغتَرِّي فتقولي : « إني أحسن حالاً من صويحبات التَّبرج الصارخ » فإنَّه لا أسوة في الشرِّ ، فعليكِ أن تَقْتَدِي بأخواتِك الملتزماتِ بالحجابِ الشرعي بشروطهِ التي ذكرناها ضمن هذا الكتاب فارجعي إليها..

❖ ❖ ❖

النساء والموضة

لا شكَّ أنَّ الإسلامَ قد اهتَمَّ بزينةِ المرأة المسلمةِ اهتمامًا كبيرًا، ورخَّص لها من الزِّينة أكثرَ مما رخَّصَهُ للرَّجُل كالحريرِ والذَّهب، لأنَّ الزينةَ أمرٌ فطريٌّ بالنِّسبةِ لها، وتلبية لنداءِ الأنوثةِ لديها، ومَع اهتمام الإسلام بالزِّينة فإنَّه لم يتركها عبثًا، ولكن وضَعَ القيودَ، والشُّروط، والقواعدَ، والضَّوابطَ في اللِّباس والحلِيّ والطِّيب ونحو ذلك.

ولكن الذي يُؤْسَفُ له اليومَ أنَّ بعضَ فتياتِنا المسلمات لم يَعُدْنَ مُتَقيِّدات بتعاليم الإسلام في موضوع الزِّينة واللِّباس، وأصبحت قضيةُ التقليدِ للكافراتِ والفاسقاتِ طريقًا سارت عليهِ تحت مسمىٰ «الموضة» فتعالي معي ابنتي نَضَع الموضَةَ في الميزان وتحتَ المجهر.

عوامل انتشار الموضة

١ - وسائلُ الإعلام لها دورٌ كبيرٌ في انتشار الموضةِ بين الفتياتِ وإبراز المشاهير فيها علىٰ أنَّهم أهلٌ للاقتداءِ بما في ذلك مَلابسهم.

٢ - هناك جزءٌ مِنَ المسؤولية يقعُ علىٰ التُّجار وأصحابِ المحلاتِ في تَسَلُّل أزياءِ الموضةِ إلىٰ بلادِ المسلمينَ.

٣ - الترفُ والبذخ الَّذي تعيشُهُ بعضُ المجتمعاتِ وسذاجَة عُقُول بعضِ النِّساء اللَّواتي لا يهمهنَّ إلاَّ اسم الماركة.

٤ - كما تَلْعَبُ التَّنشئةُ الاجتماعيةُ دورًا مهمًا في بلورة شخصيةِ الفتاةِ واختياراتِها واتجاهاتِها. فالأسرةُ التي تهملُ الفتاةَ وتترك لها البابَ مفتوحًا علىٰ

مصراعيهِ، والأسرةُ التي تعتمدُ الكبتَ والقهرَ أسلوبًا في التربيةِ يدفعانِ الفتاةَ إلىٰ التعويض عبر المؤثراتِ الخارجيةِ، وتصبح مجرَّد تابع ومُقلِّد، وتختلطُ لديها المعاييرُ السلوكيةُ فتؤثرُ علىٰ اتجاهاتِها النَّفسية وبالتَّالي علىٰ أفكارها وآرائها.

٥ ـ إذا تحولَ الاهتمامُ لدى الفتاةِ من المهمِّ إلىٰ الثَّانوي، ومن الجوهريِّ إلىٰ الشَّكلي فإنَّها تجري وراء الموضةِ.

الموضة ـ ومرض التقليد للكافرات وحكم الشرع في ذلك

أصبحت قضيةُ التقليدِ للكافراتِ والفاسقاتِ طريقًا سارت عليهِ بعضُ الفتياتِ تحتَ مُسمَّىٰ الموضةِ، ولقد زحفَت هذه الموضةُ لتمتَدّ علىٰ مناحي الحياة لتشمل الأزياءَ والأحذيةَ وتصفيفاتِ الشَّعر وماكياج الوجهِ.

ليس هذا فقط بل بدأت الموضَةُ ترتبطُ بالحميةِ وتخسيسِ الجسم بين الفتياتِ لتقليدِ عارضاتِ الأزياء اللاتي تظهرنَ في مجلاتِ الموضة في منتهىٰ الرَّشاقَةِ، مما يثير في نفسيةِ الفتاةِ الإحساسَ بالعجز عن التَّشبهِ بهنَّ. والنبيُّ ﷺ يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم» [رواه أحمد، وأبو داود]

وقد سئل الشيخ ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ عضو هيئةِ كبار العلماءِ عن المجلاتِ التي تعرضُ آخر صيحاتِ موضاتِ الأزياء فأفتىٰ بأنَّها مجلاتٌ تنشرُ الخلاعَةَ والبذاءةَ والسّفور، وهذه المجلات هدَّامةٌ للأخلاقِ مُفْسِدَةٌ للأمةِ بعيدةٌ عن الحياءِ والفضيلةِ، ولا يشكُّ عاقلٌ فَاحص ماذا يريدُ مُرَوِّجُوها بمجتمع إسلاميٍّ محافظ.

فلا بدَّ أن تعي الفتاة المسلمة خطورةَ هذا الأمر، وأنْ تُراعي عند اختيارها ملابسها ألا تكون غريبةَ الألوان، غاليةَ الأثمانِ، لافتةً للأنظار، وكذلكَ في اختيار القَصَّات والتَّسريحات، فتختار ما يُناسِب أذواقَ المسلمين وعَادَاتِهم، لأنَّ مخالفةَ ملبوسِ النَّاس يدعو إلىٰ التَّعجب، فيجعل اللباس لباسَ شُهْرَةٍ.

الموضة وتفسيرُ الطبِّ النَّفسي..

يُفَسِّرُ الدكتورُ علي الحرجان ـ اختصاصي الطبِّ النَّفسي ـ شغفَ النِّساء بالموضةِ بأنَّهُ نابعٌ من حسٍّ داخِلي بِقِيَم الجمالِ والأشياءِ الجديدةِ، لكنَّه قد يَتَحوَّل إلىٰ خَلَل عندَ رغبةِ بعضِ النِّساء في مواكبةِ الموضةِ واقتناءِ كلِّ ما هُوَ جديد وعصريّ دونَ أن تمتلكَ السيولة الماديةَ، وهذه تعرف بالشخصية «النرجسية» التي تحبّ أنْ تكونَ حديثَ الآخرين.

وهناك بعضُ النِّساء يشعرنَ بالنَّقص ويندفعنَ وراءَ الموضةِ بشكلٍ مرضي لتغطيةِ هذا النَّقص، فيقضينَ ساعاتٍ طويلة في السُّوق للتَّبضع والشِّراء وتغطية لبعض الجوانبِ في شخصيَّتِها.

وتفسِّرُ الاختصاصية الاجتماعية «فوزية العقيل» التسابقَ المحمومَ بين الفتياتِ لمسايرةِ الموضةِ بأنهنَّ يجدنَ في الموضةِ وما يصاحِبُ عارضاتِ الأزياءِ مِن وهج الأضواءِ طموحًا يسعين للانتماءِ إليه، ونموذجًا مثاليًا يشبع حاجاتٍ لديهنَّ، كما لا نستطيعُ أنْ نُغْفِلَ عامِلَ الغيرة والتَّنافس بين النِّساء الذي يَدْفَعُ المرأةَ إلىٰ تقليدِ امرأةٍ أخرى تحظىٰ بالإعجابِ والإطراءِ مِنَ النَّاس، وأحيانًا كثيرة تَتَجاوزُ التَّقليدَ إلىٰ الابتكارِ والبحثِ عَن كلِّ ما هو غريب ولافتٍ للنَّظر أكثر. [مجلة الأسرة ـ العدد ١٠٩].

الموضة.. والهزيمة النَّفسية

مَن يَتَتَبَّع أمرَ هذهِ الموضة مِن مبدئِها إلىٰ منتهاها يجدها شرًا في شَرٍّ، وأنَّ الهدفَ منها هو تحطيمُ المرأة ماديًا عن طريقِ استنزافِ أموالِها، وإضاعَةِ وقتها فيما لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع، وتحطيمها معنويًا وذلك لغيرِ القادرات واللاتي لا يَمْلِكْنَ من المالِ ما يحقِّق رغباتِهِنَّ في الجري وراءَ الموضةِ فيصبنَ بالإحباطِ والعُقَدِ النَّفسية.

فضلاً عن أنَّ فيها نوعًا من العبوديةِ لغيرِ اللهِ تعالىٰ لأنَّها تقودُ صاحبتَها عندَ الإسرافِ فيها إلىٰ عبوديةِ شَهَواتِها، وتقديسِ جَسَدِها وهذا له أثرٌ مُدَمِّر علىٰ الأسرةِ والمجتمع، وخصوصاً إنْ كانَ فيه تَشَبُّهٌ بالكافراتِ، والسَّافرات.

وهذا التَّشَبُّهُ يَدْفَع إلىٰ فتنةِ الحياةِ الدُّنيا ومظاهرها، ويُقْعِد المنافسينَ وراءَ عاداتِ الأجنبي وأزيائِهِ وأخلاقِهِ عن كثيرٍ مِنَ الواجباتِ الدِّينية، والمسؤولياتِ الاجتماعيةِ، وهو أيضًا من العواملِ التي تحطِّم الشَّخصيةَ وتستأصِلَ فضيلةَ الشَّرف والعفافِ لما يؤدي إليهِ مِن تَفَلُّت للغَرَائِزِ، وانطلاق للشَّهوات والملذاتِ.

الموضة.. وإفساد المجتمع وعلاقة اليهود بذلك

إنَّ معركةَ الموضةِ مِن أعتىٰ وأشرسِ المعاركِ التي تخوضُها المجتمعاتُ، لأنَّها معركةٌ تُخَاضُ بقفازات حَريريةٍ، وبعناوين مخادِعَة، فكلُّ حركاتِنَا وسكناتِنَا باتَت تخضعُ لسلطَةِ الموضَةِ ومصمِّمي الأزياءِ الَّذين يصمِّمُونَ لنا الملابسَ، ويحدِّدُونَ وزنَ الجسم، ويقرِّرُونَ لونَ الشَّعر وشكلَ الأنفِ، وسماكَة الشِّفاة، وطول الأظافِر.

وها هي دورُ الأزياءِ تنتشرُ في كثيرٍ من بلادِنا ويُنْظَرُ إليها علىٰ أنَّها سمةٌ للرقيِّ والتَّطور، وتتهافتُ الكثيرُ من النِّساء علىٰ تلكَ الدورِ للمتابعَةِ ولاقتناءِ مَا لا يتناسَبُ مَع معتقداتهنَّ ودينِهنَّ وهنا يأتي السؤال: مَن الَّذي يصنَعُ هذه الموضَة؟

إنَّهمُ اليهودُ الذين يسيطرونَ علىٰ بيوتِ الأزياءِ العالميةِ التي تَصْنَع الموضَةَ، ويسيطرون أيضًا علىٰ منابع الإعلام العالمي، ومن خلالِهِ يمارسونَ عمليةَ غسيلِ مخٍّ للنِّساء، ويصنعونَ عندهنَّ إحساسًا بأنهنَّ نَاقِصَات، مُتَخَلِّفَات، وقبيحات إذا لم يسايرنَ صيحاتِ الموضَةِ.

وقَد عَمِلَ اليهودُ أيضاً علىٰ السيطرةِ علىٰ معامِلِ الملابسِ، والمساحيقِ

والعطورِ وما سِواها من مستلزماتِ الموضةِ، فَهُم بذلكَ يتوصَّلُونَ إلىٰ تحقيقِ الغرضين: السَّيطرةِ علىٰ المالِ، وإفسادِ الدِّين والأخلاقِ.

ومما يُؤْثَرُ لهُ أنَّ وسائلَ الإعلام في أكثرِ الدولِ العربيةِ تسيرُ علىٰ نهج بيوتِ الأزياءِ العالميةِ، وتُقَلِّدُها تقليدَ الأعمىٰ، فنجد معظم مجلاتِ المرأةِ العربيةِ تَتَبارَىٰ في تقديم آخِرِ صيحاتِ الموضةِ، وتُقَدِّم عارضَاتَ الأزياءِ علىٰ أنَّهُنَّ النَّمُوذَج الأرقىٰ في الأناقةِ والرَّشَاقَةِ والقُدوة المثلىٰ.

واتباع خطواتِ الموضة فيهِ إفسادٌ للمجتمع وإضاعَةٌ للمالِ والوقتِ.

❁ أما عن إضاعةِ المالِ:

لَقَد امتَنَّ اللهُ علىٰ عبادهِ بالمالِ وجعَلَهُ قيامًا لمصالحِهِم، ووضَعَ الضوابطَ لاستعمالِ هذا المالِ، وقد وضَعَ القيودَ في إنفاقِهِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٩].

وفي اتِّباع خطواتِ الموضة وقوعٌ في براثِن الإسرافِ والخيلاءِ الَّذي نَهَىٰ عنه رسولُ اللهِ ﷺ حيث قال: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيرِ إسْرَافٍ وَلا مَخِيلَةٍ». [أخرجه أحمد].

وأمَّا عَن إضاعةِ الوقتِ:

فالمسلمةُ مطالبةٌ بحفظِ وقتِها، ويجبُ أن تحفظَ عُمُرَها فيما يعودُ عليها بالنَّفع في الدِّين والدُّنيا، وإضاعَةُ السَّاعات الطوال أمامَ المرآةِ وتسريح الشَّعر، والجري وراءَ الموضات، والتَّسكع بين محلاتِ الأزياءِ، كلّ هذا مضيعةٌ للوقتِ والعُمُر وقد نَهىٰ الشارعُ عنهُ لأنَّ الإسلامَ جعَلَ الزينةَ وسيلةً وليست غايةً، وسيلةً لتلبيةِ نداءِ الأنوثةِ في المرأةِ، وللظهورِ أمامَ زوجِها بالمظهرِ الذي يجلبُ المحبةَ ويُدِيمُ المودَةَ.

الموضة.. والفرق بين الجمال والأناقة

إنَّ الجمالَ الطبيعيَّ هو البساطةُ الإنسانيةُ والفطرةُ كما خَلَقَها اللهُ تعالىٰ، والجمالُ لا علاقةَ له بالملابسِ والماكياج، والجمالُ المرهفُ العذبُ زهيد الثَّمن تملِكُهُ كلُّ فتاةٍ دونَ أن تضيعَ وقتَها في أسواقِ الملابسِ، والتَّصفح في مجلاتِ الأزياءِ.

إنَّه جمالٌ ينبعُ مِن الرُّوح الكبيرةِ المستوعبةِ، والذِّهن المرنِ، والقلبِ النَّابض الرقيقِ، وهو جمالُ الخُلُقِ الكريم، والعذوبة والخشوع للهِ والنَّزاهة.

❁ أما التأنق فهو الجمالُ المصنوعُ بالوسائلِ الآليةِ المصطنعَةِ، فبدلاً مِن أنْ تعتمِدَ الفتاةُ علىٰ مرونةِ ذِهْنِها وسِعَةِ ثَقَافَتِها، وجمالِ رُوحِها، تجدها تعتمدُ علىٰ كثرةِ ملابِسِها والتَّصنع في شعرها ولبسِ الملابسِ القصيرةِ التي تبرزُ أعضاءَ الجسم.

وقَد تَظن المرأةُ أنَّ تَبَرُّجَها شيءٌ ظاهريٌّ لا يمس عَقْلَها ـ وهي في هذا مخطئة ـ فإنَّ لكلِّ عمل يقومُ بهِ الإنسانُ آثارًا فكريةً وروحيةً بعيدةَ المدَى، فإذا لم يَتَحكَّم العقلُ في سلوكِنَا تحكَّم سلوكُنَا في عَقْلِنَا.

فَالتأنقُ يُذِلُّ المرأةَ ويقتل كبرياءَها، ويُشْعِرِ المرأةَ بأنَّ الجمالَ هو الشيءُ الذي يَنْقُصُها لا الشيءَ الذي تملِكُهُ، فإذا أرادت أن تكونَ جميلةً وجبَ عليها أنْ تكافحَ وتعمَلَ ليلَ نهارَ في استكمالِ ذاتِها النَّاقصَة.

فمبدأُ التأنُّق يقومُ علىٰ الإقرارِ بأنَّ المرأةَ لا تملكُ جمالاً، وإنما هي ناقِصَةٌ وعليها أن تصنَعَ الجمالَ صُنْعًا.

فالتأنقُ إكمالٌ لنقصٍ بخلافِ الجمالِ الَّذي هو فيضٌ مِن السِّحر والعذوبةِ يَتَدَفَّقُ ويغمرُ الحياةَ كلَّها. فالتأنُّقُ نَقْصٌ والجمالُ فيضٌ وطبيعةٌ.

ومبدأ التأنق يَحْرُمُ نساء الطبقةِ الفقيرة أن يكنَّ جميلات، وبذلكَ يُصْبِحُ

الجمالُ حِكْرًا تملكُهُ الطبقةُ المرفَّهةُ وحدَها، فهو ضربٌ من الطبقيةِ الاجتماعيةِ، بينما الجمالُ مُشَاعٌ يملكُهُ الكلُّ ولا يُشْتَرَى بالمالِ، والأناقةُ أيضًا تقْضِي علىٰ الوقتِ والمال.

إنَّ الإسلامَ رفعَ ذوقَ المجتمع الإسلاميّ، وطهَّرَ إحساسَهُ بالجمالِ فَلَم يَعُد الطَّابع الحيواني للجمَال هو المستَحَبّ بَل الطابع الإنسانيّ المهذَّب، وجمالُ الكشف الجسَدَي جمالٌ حيوانيٌّ يهفُو إليه الإنسانُ بحسِّ الحيوانِ، أمَّا جمالُ الحشمَةِ فهو الجمالُ النظيفُ الذي يرفعُ الذوقَ الجماليَّ ويجعلهُ لائقًا بالإنسانِ، ويحيطُ بالنظافةِ والطَّهارة في الحسِّ والخيالِ.

ونُلَخِّصُ مِن كلِّ مَا سبقَ أنَّ الموضَةَ والأناقةَ المصطَنَعَةَ هي عدوُّ الجمالِ.

[الأسرة ـ العدد ١٠٩].

كيف نواجه طوفان الموضة

١ ـ تذكَّري أيتها الفتاةُ أنَّ التَّقوى خيرُ لباسٍ. قالَ تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾. [الأعراف: ٢٦].

قال ابنُ كثير رحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ولباسُ التَّقْوَى﴾ هو الإيمانُ بالله وخشيتُهُ والعملُ الصالحُ والسمتُ الحسنُ. [تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠٧ باختصار].

٢ ـ تَزَيَّني التَّزيُّنَ المباح كالتَّحلِّي بالذَّهب والملابسِ الحسَنَةِ الجميلةِ والعنايةِ بالشَّعر وتصفيفِهِ وتزيينِهِ بما لا يشتَمِلُ علىٰ محظورٍ شَرعيّ.

٣ ـ اشغَلِي أوقاتَكِ بما يفيدُ وخاصَّةً بقراءةِ الكتبِ النَّافعةِ والاستماع للتَّسجيلات والأشرطةِ النَّافعة.

٤ ـ لا داعِ مطلقًا لتعدُّدِ الملابسِ والفساتين بتكرارِ المناسباتِ، وتذكَّري أنَّكِ ستُسْألينَ يومَ القيامةِ عن قيمةِ ذلكَ الفستان مِن أينَ أتيتِ بها؟ وفيمَ أنفقْتِها؟

وتذكَّرِي أنَّ هناكَ مِنَ المسلمينَ والمسلماتِ مَن لا يجدونَ ما يكسونَ بهِ أجسادَهُم، فَتَصَدَّقي لعلَّ اللهَ أن يكسوكِ مِن حريرِ الجَنَّةِ، وتذكَّري وأنتِ تشاهدينَ أزياءَ الموضة أنَّ النَّاسَ سيخرجونَ مِنَ الدُّنيا بزيٍّ مُوَحَّدٍ واحِدٍ وهو الكفنُ.

٥ ـ العلاجُ المبكِّرُ لما يسمُّونَهُ بالعصريةِ والانطلاقِ والتَّمردِ للفتياتِ في سنِّ المراهقَةِ، وذلك عن طريقِ الصَّداقَاتِ مَع ذاتِ الأخلاقِ والدِّينِ والأمانةِ، وتعيشُ الفتاةُ مَع صديقاتِها حياةً تَتَّسِمُ بالطاعةِ، وفي الوقتِ نفسهِ حياةً كُلّها انطلاق ومرح مباحٌ، وصدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ حيثُ قَالَ: «المرءُ عَلىٰ دينِ خَليلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحدُكُم مَن يُخَالِل» [رواه أبو داود].

٦ ـ أن تعيش الفتاةُ مَعْنىٰ الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون﴾.

فالموضوعُ ليسَ مشكلة ملابس عَلىٰ الموضةِ، الموضوعُ أعمَقُ مِن هذا، فَعَلىٰ الأمّ أنْ تَتَفَهَّم طبيعَةَ المرحلةِ التي تَمُرُّ بها الفتَاةُ، وبأسلوبِ الأمِّ الحنونِ تُفْهِمُ ابنَتَها أنَّنا نعيشُ حياتَنَا لغرضٍ وهدفٍ وغايةٍ ألا وهي عبادةُ اللهِ في الأرض، وكلّ ما يصبّ في هذا الهدفِ مما شَرَعَهُ اللهُ هُو طاعةٌ، فالمأكلُ الحلالُ طاعةٌ، والملبسُ الجميلُ المتناسقُ في ألوانِهِ وشكلِهِ طاعةٌ، وغير ذلك من الأمور المباحَةِ حين تَنْوي الفتاةُ فيها طاعةَ اللهِ تصبحُ طاعةً للهِ تعالىٰ نسألهُ تعالىٰ أن يحفظَ علينا وعلىٰ ذُرِّياتِنا دينَنَا وعقولَنا، وأن يرضىٰ عنَّا في الدُّنيا والآخرة آمين..

❖ ❖ ❖

فتنة الأزياء والموضة

تَتعَاقَبُ الأجيالُ تِلْوَ الأجيالِ، وكلُّ جيلٍ يَنْمُو في أطوارٍ تَتبَايَنُ مع مَن قَبْله، فَتُشكِّل تِلْكَ المَراحِلُ جيلاً يَنْفرِدُ بِمزَايا لَم يَتميَّز بِها غيرُه، كمَا يَنْشأ فيهِ أحدَاثٌ تُفتِّتُهُ، وَقَلاقِلٌ تُضعِفُهُ، وَمن ثمَّ يُورِّثُ ذَلكَ مَن بَعْدَهُ، ففي كلِّ جيلٍ نَرى أنَّ خَطَّ الفِتَنِ يَسيرُ، وتَزْدَادُ الفِتَنُ، مِصْدَاقاً لِقَولِ الرَّسُولِ ﷺ: «فإنَّهُ مَن يَعِشْ منكُم فَسيَرى اختِلافاً كَثِيراً». [صحيح، رواه أبو داود].

وكلُّ فِتْنَةٍ عِنْدَ ظُهورها تَبْدأ كبيرةً، يَتعَاظَمُها أهلُها حَتَّىٰ يَأتِي مَا بَعْدها مِن فِتَنٍ أعْظَم مِنْها فَتُرَقِّقُها، وعَلىٰ هذا تَسيرُ الأُمَمُ بالعَدِّ التَّنَازُليِّ مِن نَاحيَةِ القُوَّةِ العَقيديَّة، وَالأخْلاقِ وَالسُّلوكِ مِن بَعْدِ سَلَفِ الأمَّةِ، إلىٰ نِهايَةِ شِرَارٍ مَن تَقُوم عَليهِم السَّاعَةُ.

وحِينَمَا أودُّ الكِتابَةَ عَنِ الفِتَنِ فَأنَا أحكُمُ عَلىٰ وَرقِي بِالنَّفَادِ، وَعَلىٰ قَلَمِي بِالسّهادِ، فَالفِتَن عمَّت، وَطَمَّت، وَمن أسْبَابِ قُوَّةِ شَوكَتِها في الأمَّةِ، مُسَايرتها لَها، بِحُجَّةِ مُسَايَرَةِ الوَاقع، ومُوَاكَبَةِ العَصْرِ، وَهَذا بِحَدِّ ذَاتِهِ فِتْنَةٌ عظيمَةٌ، انْقَسَمَت فيها الأمَّةُ إلىٰ:

١ - مَعْرِضٍ عَنِ المُحدَثَاتِ، حَذَراً مِن المُسْتَجِدَّات.

٢ - وَقِسْمٍ مُقْبِلٍ عَلىٰ الصَّادِرَاتِ، مُنْفَتِحٍ لكلِّ رَائِج.

ولقَد تمَّ تَرويضُ النَّاسِ عَلىٰ ذلكَ رَدْحاً مِنَ الزَّمَن، ممَّا جَعَلَهُ متمكِّناً مِنَ القُلُوبِ، بَل شَرِبَتْهُ النُّفُوسُ حَتَّىٰ أَلِفَتْهُ وَأحبَّتْهُ.

ومن أعْظَم مَا حَصَل مِن هَذِهِ الفِتَنِ في العَصْرِ الحَاضِر: مُسَايَرَةُ النِّسَاءِ المُسْلِمَات في لبَاسِهنَّ للفَاسِقَاتِ وَالكَافِرَاتِ، وَتَقْلِيدهُنَّ لعَادَاتِ الغَرْبِ الكَافِر، فيهِ وفي الأزْيَاءِ، وَصَرْعَاتِ المُوضَاتِ، وَأدَوَاتِ التَّجميلِ، حَتَّىٰ أصْبَحَت هَذِهِ الفِتَنُ مَألوفَة

لَم يَنْجُ مِنْها إلاَّ أقلَّ القَلِيلِ مِمَّن رَحِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ المُتَربِّيَاتِ في مَنَابِت صَالِحَة تَجْعَل رِضَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فوقَ رِضَىٰ المَخْلُوق، حَتَّىٰ صِرْنَا نَرَى أكْثَرَ نِسَاءِ المسلمينَ عَلَىٰ هَيئَةٍ في اللِّبَاسِ وَالمُوضَاتِ ينكِرُها الشَّرْعُ والعَقْلُ، وَتنكِرُها المُرُوءةُ والغَيرَةُ، وكَأنَّ الأمْرَ تَحوَّلَ والعياذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ إلىٰ شِبْه عُبُودِيَّةٍ لِبُيُوتِ الأزيَاءِ، يَصْعُبُ الانفكاكُ عَنْها.

فَهَذِهِ العَادَاتُ والتَّقَالِيدُ الَّتي تُكَلِّفُ النَّاسَ العَنَتَ الشَّدِيدَ في حَيَاتِهِم، ثُمَّ لا يَجِدُونَ لأنْفُسِهِم مِنْها مَفرّاً.. هَذِهِ الأزْيَاءُ والمَرَاسِم الَّتي تَفرِضُ نَفْسَها عَلَىٰ النَّاسِ فَرْضاً، وتكلِّفُهُم أحياناً مَا لايطيقُونَ مِنَ النَّفَقَةِ، وتَأكُلُ حَيَاتَهُم وَاهْتِمَامَاتِهِم، ثُمَّ تُفْسِدُ أخْلاقَهُم وحَيَاتَهُم، وَمَع ذَلِكَ لا يَمْلِكُونَ إلاَّ الخُضُوعَ لَها.. أزياءُ الصَّباح، وأزياءُ بَعْد الظُّهر، وأزياءُ المساءِ، الأزْيَاءُ القصيرَةُ، والأزياءُ الضَّيِّقَةُ، والأزياءُ المُضْحِكَةُ! وَأنْواعُ الزِّينَةِ وَالتَّجْميل، وَالتَّصْفيف إلىٰ آخِرِ هَذا الاستِرْقَاق المُذِلِّ.. مَن الَّذي يَصْنَعُهُ؟ ومَن الَّذي يَقِفُ وَرَاءَهُ؟.

تَقِفُ وراءه بُيوتُ الأزياءِ، وَتَقِفُ وراءهُ شَرِكَاتُ الإنتاجِ! ويقِفُ وراءهُ المُرَابُونَ في بيوتِ المالِ وَالبنُوكِ مِنَ الَّذين يُعْطُونَ أموالَهُم للصِّنَاعَاتِ لِيَأخُذُوا هُم حَصِيلَةَ كَدِّها! ويَقِفُ وراءه اليَهُودُ الَّذينَ يَعْمَلُونَ لِتَدْميرِ البَشَرِيَّةِ كُلِّها لِيَحْكُمُوها!.

بدايةُ فتنة الأزياء

ارْتَبَطَ تَاريخُ البَدْءِ بِارتِدَاءِ المسلمينَ للأزياءِ الغَرْبِيَّةِ بِانْتِهاءِ الدَّوْلَةِ العثمانِيَّةِ، حيثُ لَم يَشْهَد التَّاريخُ الإسلاميُّ قَبْلَ هَذِهِ الفترةِ أيَّ نوع مِن أنواع الاختلافَاتِ في الرَّأي بينَ المسلمينَ عَلَىٰ الزِّيِّ الإسلاميِّ في قَوَاعِدِهِ العَامَّة، المُسْتَمَدَّة مِنَ القُرآنِ الكَريم والسُّنَّةِ النَّبويَّة الشَّريفة، والَّتي يَخْتَلِفُ تَطْبيقُها مِن بَلَدٍ إلىٰ آخَرَ تِبْعاً للبيئَةِ والمناخ وما شابهه من الأمور.

وقد كانَ مِن آثَارِ شِدَّةِ تَعَلُّق المسلمينَ بزِيِّهم، أنْ كانَ لهذَا الزِّيِّ دورٌ فعَّالٌ في اندلاع الفِتْنَةِ الَّتي أدَّت إلىٰ نِهايَةِ العَهْدِ العُثْمَاني، إذْ قَامَ أحدُ الأشخاصِ بَعْدَ أنْ زَوَّرَ خَتْم السُّلطانِ عَبْدِ الحميدِ الثَّاني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ، بالادِّعَاءِ أنَّه يَحْمِلُ مَرْسُوماً مِن السُّلطانِ، ذَيَّلَهُ بِفَتْوَى مُزَوَّرَةٍ لِشَيخ الإسْلام، يَفْرِضُ فيهِ نَزْعَ القُلُنسوةِ الإسلامِيَّةِ وَتَبْديلها بالقُبَّعَةِ الغَرْبيَّةِ، مِمَّا أثارَ حفيظةَ المسلمينَ آنَذَاك، ورَفَضُوا التَّخلِّي عَن زِيِّهم الإسْلاميِّ.

إلاَّ أنَّ هَذا الأمْرَ مَا لبِثَ أنْ تَبَدَّلَ بَعْدَ أنْ فَرَضَ «أتَاتُورك» زيَّ وقُبَّعَةَ الغَرْبيينَ فَرْضاً وَبِالقوَّةِ، الأمْر الَّذي كانَ أحدُ نتائجِهِ زَحْفُ الأزياءِ الغَرْبيَّةِ وَمَا يُعْرَف «بالمُوضَةِ» إلىٰ عُقُولِ وقُلُوبِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ علىٰ حَدٍّ سَوَاء.

مَن وَراء الفتنَة

لقَد وَضَعَ الإسْلامُ للمَرْأةِ سِيَاجاً قَوياً مَانِعاً مِنَ الضَّياع، وذَلكَ السِّياجُ هو الحِشْمَةُ والعَفَافُ، ولكِنَّ اليَهُودَ لم يُعْجِبْهُم ذَلِكَ مِنذُ قَدِيم الزَّمَانِ، حَيثُ تَآمَرُوا علىٰ نَزْع حِجَابِ المَرْأةِ المسلمةِ، وكشْفِ سَوْءتِها في سُوقِ بَني قَينُقَاع، أيام رَسُول اللهِ ﷺ ومَازَالَت حَرْبُهم مَشبوبَةً مُشْتَعِلَةً، لا يَزيدُها الزَّمَنُ إلاَّ اشتِعَالاً واضْطِراماً، لأنَّهم يدركونَ جَيِّداً أنَّ إفْسَادَها إفسادٌ للمجتمَع برُمَّتِه.

فَمُعْظَم الَّذينَ يَتحكَّمُونَ اليومَ في بُيُوتِ الأزيَاءِ، وَيُشعِلُونَ أجيجَ هَذهِ الفِتْنَةِ هُم اليهودُ، وأهدَافُهُم لَيسَت تِجَاريَّةً بَحْتَةً، ولكن تَمْتَدُّ إلىٰ ما هُو أسْوأ مِن ذَلِكَ، وَهُوَ هَدْمُ البُنْيَةِ التَّحتِيَّةِ للأُسْرَةِ المسلمَةِ، عَن طريقِ إفْسَادِ المَرْأةِ، لكَوْنِها القَاعِدَةَ الَّتي يرتكِزُ عَلَيها بنيانُ الأسرةِ، بَل المجتمَعُ بأسرِهِ.

فيمَا يَتعَلَّقُ بأزيائِها، وجَمَالِها، وشكْلِها، ومُواكَبتِها للعَصْرِ، وحَدَاثتها في كلِّ شيءٍ.

والَّذين يُسَيطِرُونَ علىٰ بيوتِ الأزياءِ، هُم أنْفُسُهُم الَّذينَ يجلسونَ علىٰ عَرْشِ الإعْلام العالميِّ، ومِن خِلالِهِ يَنْفُذُونَ إلىٰ بيوتِ المسلمينَ بِلا استِئْذَانٍ، وَيَعْرِضُونَ أفكَارَهُمُ المسمومَةَ عَن طريقِ قنوَاتِهِ المَرْئيَّةِ، وَالمَسْمُوعَةِ، وَالمَقْرُوءةِ، بُغْيَتُهُم مِن ذَلِكَ تَلْويثُ الدِّمَاغِ، وتأسِيس قَواعِدَ ثَابِتَةً لَيسَ فقَط في أراضِيهِم بَل حتَّىٰ في قُلُوبِهم إلاَّ مَن رَحِمَ رَبِّي.

مِن خلالِ هَذِهِ الوَسَائِل الهائِلَةِ الَّتي يمتَلِكُها اليهودُ، والَّتي تُشْبِهُ البِحَارَ العَاتِيَةَ، العَالِيَةَ الأمواجِ، يَلْعَبُونَ بِمُعْظَمِ النِّسَاءِ كَمَا يَشَاؤُونَ، يَرْفَعُونَهُنَّ مَع المَوْجِ، وَيُخفِضُونَهُنَّ، وَيَتَحكَّمُونَ في رَغَبَاتِهِنَّ، لأنَّهم هُمُ الَّذين يَصْنَعُونَ تِلْكَ الرَّغَبَاتِ، وَيَصْنَعُونَ عِنْدَهُنَّ إحساساً بأنَّهُنَّ نَاقِصَاتٌ، مُتَخَلِّفَاتٌ، وَقَبيحَاتٌ، إذا لَم يُسَايِرْنَ آخِرَ الصَّيحَاتِ والصَّرعاتِ.

وممَّا يَنْدَى لهُ الجبينُ، أنْ نَرَى انْصِيَاعَ الدُّولِ العَرَبيَّة، وَالإسلامِيَّة لِهَذَا الزَّحْفِ الانْفِتَاحِيِّ المُوغِلِ، فَتُقَلِّدُها فيهِ تَقْليدَ الأعْمَىٰ، فإنَّنا نَجِدُ أنَّ مُعْظَمَ مَجَلاتِ المرأةِ العَربيَّةِ تَتَبارَى في تَقْدِيمِ آخِرِ صَيحَاتِ المُوضَةِ، علىٰ أجْمَلِ الوَرَقِ وَأفْخَرِهِ، وَبأبْهَىٰ الألوانِ، وَتُقدِّم عارِضَات الأزياءِ علىٰ أنَّهُنَّ المِثَال الأرقَىٰ في الأنَاقَةِ، والرَّشَاقَةِ، والقُدْوَةِ المُثْلَىٰ في طريقَةِ المَشْي بِمَا فيها مِنْ تَخلُّع، وَمُيُوعَةٍ، وَهَزٍّ لِمَواضِعِ الأنُوثَةِ في المكَانِ العَام، وإبراز لِمَوَاطِنِ الفِتْنَةِ بَينَ الرِّجَالِ.

وَللأَسَفِ لقَد انقَادَت الكثيراتُ مِنَ النِّسَاءِ وَانْصَعْنَ لهؤلاءِ، فَأَصبَحَ أكبَرُ هَمٍّ المَرْأةِ المسلِمَةِ في كثيرٍ مِن بِلادِ المسلمينَ لبَاساً عَارِياً تَلْبَسُهُ، وتَنْزِلُ إلىٰ الميدَانِ بِأَقْذَرِ أسْلِحَتِها، أسْلِحَةِ الإغْرَاءِ، معَ تَعلُّمِها لِتِلْكَ الفُنُون عبْرَ الأفْلام العَارِيَةِ، والقِصص المَاجِنَةِ، والصُّورِ الفَاتِنَةِ.

خططُ العدوِّ وأهدافهُم

دَخَلَت «المُوضَةُ» إلىٰ البلادِ الإسلاميةِ بِدُخُول الاستِعْمَار الغَرْبيِّ إليها، حيثُ كانَت مِن بَينِ المُفْسِدَاتِ الَّتي اخْتَرَعَها الغَرْبُ، مِن ضِمْن خِطَّةٍ مُوَجَّهَةٍ لِتَدْمِيرِ الشُّعُوبِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وَالشُّعُوب الإسلاميَّة بشكْلٍ خَاصٍّ، وَقَد كَانَ مِن أَبْرَزِ بُنُودِ هَذِهِ الخطَّةِ:

١ - إبعادُ المسلمينَ عَن الهَدَفِ الأَسَاسِيِّ لِوُجُودِهِم، والَّذِي أَوْضَحَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ بِقَولِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. فَاخْتَرعُوا مِن أجلِ ذَلِكَ الوَسَائِلَ المُتَعَدِّدَةَ الَّتي تَضْمَنُ لَهُم هذا الإبْعَادَ، وكَانَت المُوضَةُ إحْدَى الوَسَائِل الَّتِي شَغَلَت النَّاسَ عَن التَّفكِيرِ في القَضَايَا المَصِيرِيَّةِ الكُبْرَى، وحَوَّلَتْهُم مِن عُبودِيَّةِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ عُبُودِيَّةِ المَادَّةِ، وقَد حَذَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن هَذا الأَمْرِ حِينَ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَم والقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعطِيَ رَضِيَ وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَم يَرْضَ». [رواه البخاري]. و«القَطِيفَةُ»: الثَّوبُ الَّذي لَهُ خَمَلٌ.

٢ - إحكَامُ السَّيطَرَةِ علىٰ الشُّعُوبِ بِشكْلٍ عَامٍّ، وَعَلىٰ الشُّعُوبِ الإسْلامِيَّةِ بِشكْلٍ خاصٍّ، إذْ أَنَّ في اتِّبَاعِ المُسْلِمينَ لأزياءِ غَيرِهِم دَليلُ تَخَلٍّ وانْهِزَام..

فَالأُمَّةُ إذا تَخلَّت عَن طَابَعِها الخَاصِّ طُبِعَت بِطَابع الأُمَّةِ الَّتي قَلَّدَتْها وأَخَذَت بِزِيِّها، وهَذَا الأمْرُ أكَّدَ عَلَيه ابنُ خلدونَ بِقَولِهِ: «إنَّ المَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ بِالغَالِبِ في مَلْبَسِهِ، وَمَرْكَبِهِ، وَسِلاحِهِ في اتِّخَاذِها وَأَشْكَالِها بَل وفي سَائِرِ أَحْوَالِه».

٣ - اسْتِنْزَافُ أَموَالِ النَّاسِ.. فَالثَّوبُ يَتبَعُهُ الحِذَاءُ، وَتَتبَعُهُ المُجَوهَرَاتُ، كَمَا تَتْبَعُهُ زِينَةُ الشَّعْرِ، وَالعُطُور، وَالرَّوائح، وَلَيتَ الأَمْرَ يَقْتَصِرُ علىٰ هَذا، بَل إنَّ هُنَاكَ مُؤَسَّسَاتٌ كبيرةٌ تَعْتَمِدُ علىٰ المُوضَةِ في عَمَلِها، كالمُؤَسَّسَاتِ الإعلامِيَّةِ الَّتي تُغَطِّي الحَدَثَ، وَتَنْقُل للعَالَم أحْدَثَ أَنْبَاءِ المُوضَةِ، كَمَا تَتَلَقَّىٰ الأَمْوَالَ الهائِلَةَ نَتِيجَةَ

الإعلاناتِ وَالدِّعَايَاتِ.

- فَرض السِّيَادَةِ بِالتَّبعِيَّةِ المَحْضَةِ مِنَ الشُّعُوبِ.. وإنْ لَم تكُن سِيَادَةً عَسْكَرِيَّةً فَإذا كَانَ لِبَاسُكَ يَختَارُهُ غيرُكَ بَل يفرِضُهُ عَلَيكَ فَلَيسَ لِهَذِهِ الصُّورَةِ مَعْنَىٰ إلاَّ أَنَّكَ عَبْدهُ وَهُو سَيِّدُكَ.

صُور الأزياء ومفاسِد نشرها وفعلها

لا نَقُولُ: إنَّهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، ولكِنَّهُنَّ عَارِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، وَقَلَّ أنْ نَجِدَ الآنَ دُوراً أو مَجلاَّتٍ تَعرِضُهُنَّ بِزيٍّ مُحتَشِمٍ، فَمُوضَةُ اللِّبَاسِ في هَذَا الجِيلِ: العُريُ والتَّفَسُّخُ، فَلَم يَعُدْ عَرْضاً لِلِّبَاسِ وَلَكِنَّهُ عَرْضٌ للأَجْسَادِ، وَاللُّحُوم الرَّخِيصَةِ.

ولَم يَقْتَصِرِ الأمرُ علىٰ ذَلِكَ بَل تَفَاقَمَ حَتَّىٰ إنَّ أجْسَادَهُنَّ تُعرَضُ بِطُرُقٍ دَنِيئَةٍ، وَحَرَكَاتٍ مُهيِّجَةٍ، وأشْكَالٍ مَمْقُوتَةٍ، تَأبَاهَا الفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ، وَيَرْفُضُهَا العَقْلُ المُتَّزِنُ، وَيَنْفُرُ مِنْهَا الضَّميرُ اليَقِظُ. وإنَّ لِنَشْرِ مِثْلِ هَذِهِ الصُّوَرِ عبْرَ وَسَائِلِ الإعْلامِ المُخْتَلِفَةِ مَفَاسِدَ عَظِيمَةً.. نَذْكُرُ مِن أهَمِّهَا:

١ - المُسَاعَدَةُ عَلىٰ نَشْرِ العُرْيِ وَالتَّبَرُّجِ، وَهُوَ مِن مَظَاهِرِ نَشْرِ الزِّنَا وَالفَاحِشَةِ، واللهُ تَعَالىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

٢ - نَاشِرُ مِثْلِ هَذِهِ الصُّورِ يُعْتَبَرُ نَاشِراً لِلرَّذِيلَةِ، وَمُعِيناً للفَسَادِ، وَعَلَيهِ وِزْرُ كُلِّ مَن فَصَّلَ مِثْلَ لِبَاسِهِنَّ، فَلِبَاسُهُنَّ مُخِلٌّ بِلِبَاسِ المَرْأةِ المُسْلِمَةِ، وَيَتَعَدَّىٰ حُدُودَ العَوْرَةِ المُحَدَّدَةِ، وَيُنَاقِضُ أمْرَ اللهِ تَعَالىٰ بِالتَّسَتُّرِ وَالاحْتِشَامِ، وَبِذَلِكَ يُحتَضَرُ الحياءُ، وَمَن لا حياءَ لَهُ فَلا إِيمَانَ لَهُ، وكَمَا قَالَ ﷺ: «إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولىٰ، إذَا لَم تَسْتَحِ فَاصْنَع مَا شِئْتَ». [أخرجه البخاري].

كذلكَ يُعَدُّ هَذا الأَمْرُ مِن نَشْرِ الضَّلالَةِ، وقَد قالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا إلىٰ ضَلالَـةٍ كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإثْمِ مِثْل آثَامِ مَن تَبِعَهُ، لا ينْقصُ ذَلِكَ مِنْ أوْزَارِهِم شَيئاً» [أخرجه مسلم].

٣ - نَشْر مِثْل هَذِهِ الصُّور تُضْعِفُ عَقِيدَةَ الوَلاءِ وَالبَرَاءِ، لإعْجَابِ المُتَفَـرِّج والمُتَفَرِّجَةِ، والرَّغْبَةِ في الاقْتِدَاءِ بصَنِيعِهِم وَصَنِيعِـهِنَّ في اللِّبَاسِ، والتَّشَبُّه بِهِنَّ وَقَد قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُو مِنْهُم» [أخرجه أحمد وأبو داود].

٤ - نَشْرُ مِثْل هَذِهِ الصُّور فيهِ دَعْمٌ للغَزْو الفِكْريِّ الصِّهيونيِّ، وإخفَاءٌ لِمَعَالِم المُجْتَمَع المُسْلِم، وَتَهْمِيشٌ لِدَعَائِم الأُسُسِ الدِّينِيَّةِ.

٥ - نَشْرُ مِثْل هَذِهِ الصُّوَر يُؤَدِّي إلىٰ ذَوَبَانِ القِيَم، والمَبَادِئ الإسْلامِيَّة، أَمَامَ قِيَمِ الغَرْبِ الإلحَادِيَّةِ بِقَبُولِنَا لَها بِهَذِهِ البسَاطَةِ.

٦ - قَلَّمَا نَرَى مِنَ المَعَاصِي المُنْتَشِرَةِ إلاَّ، وَنَجِد نَشْرَ هَذِهِ الأزْيَـاء وَتَقْلِيدها أحَد أسْبَابِ نَمَائِها.. فَظَاهِرَةُ الزِّنَا.. وظَاهِرَةُ الإعْجَـابِ.. وَظَـاهِرَةُ السِّـحَاقِ.. وَظَـاهِرَةُ ضَعْفِ الإيمَانِ.. وَالتَّجَرُّؤ عَلَىٰ المَعْصِيَةِ.. وَمَـوتُ الحيَـاءِ.. وَالتَّـهاون في الحِجَـابِ.. والإسرافُ في اللِّبَاسِ وَحُبُّ لِبَاسِ الشُّهْرَةِ.. وكَثيرٌ مِنَ المَظَاهِرِ كَانَت مِن أهَمِّ عَوامِـل نَمَائِها وانْتِشَارِها هذِهِ الأزْيَاء.

٧ - انْهِزَام الشَّخْصِيَّةِ المُسْلِمَةِ: لَقَد تَلاعَبَ دُعَاةُ الموضَـةِ بِالمَرْأَةِ بَل وَبِبَعْـضِ الشَّبَابِ تَلاعُباً عَجِيباً، وَرَأينا في السَّنَواتِ القَلِيلَةِ المَاضِيَةِ ظُهُورُ أنْواع عَدِيدَةٍ مِنَ المَلابِسِ الفَاضِحَةِ، الَّتي تَحْمِلُ أسْمَاءً مُخْتَلِفَةً منها: «الميني، أي: القَصير إلىٰ الحد الأدنىٰ» و«الميكـرو، أي: المجـهري» و«الهوتبـانتس، أي: السِّـرْوال السَّـاخِن». و«التوبلس، أي: الصـدر العـاري» و«السِّـيرو، أي: الشَّـفَّاف، أو انظـر إلىٰ مـا تَحْتَـه»! وكثيرٌ مِنَ المُوضَاتِ يُخَالِف ذَوْقَ الإنسانِ وَشَخْصِيَّتَهُ، ولا يَتَنَاسَبُ مَـع وَقَارِهِ وَاتِّزَانِهِ، ولكِنَّها مُوضَةُ العَصْرِ!.

إنَّ العَقْلَ الَّذي تُسَيِّرُهُ الموضَةُ كيفَمَا تُريدُ، هُوَ عَقْلٌ فَاقِدٌ للوَعْي وَالإِرادَةِ، سَرِيعُ الانقِيَادِ للمَهالِكِ، يَسْهُلُ التَّحكُّمُ فيهِ لإِبْعَادِهِ عَن القِيَم وَالمَبادِئ الأَخْلاقِيَّةِ النَّبيلَةِ، كمَا يَسْهُلُ سَلْخهُ عَن دِينهِ، وَتَحْويلهُ إلىٰ الوِجْهَةِ الَّتي يُريدُها لَهُ أعداؤُهُ وَأعداءُ دِينِهِ وَأمَّتِهِ، ولا يكُونُ هكَذا عَقْلُ المُسْلِم.

٨ - الاحتفاظُ بِمَجلاَّتِ الأزياءِ الَّتي تَحْمِلُ صُوَراً فَاضِحَةً تمْنَعُ دُخُولَ المَلائكَةِ للبيتِ، فَالمَلائكَةُ لا تَدْخُلُ بَيتاً فيهِ كَلْبٌ أو صُورَةٌ، وتكُونُ المرأةُ الَّتي تَقْتَنِي مِثْلَ هذِهِ الصُّوَرِ وَالمَجلاَّتِ قَد حَرَمَت بَيتَها مِن دُخُولِ البَرَرَةِ المكرَّمِينَ، لأَجْلِ فَسَقَةٍ مَلْعُونِينَ.

٩ - هناكَ نَاحِيَةٌ أُخْرَى يَجْنِي بِها تُجَّارُ الموضَةِ وَالأزيَاءِ علىٰ مُعْظَم النِّسَاءِ، وخَاصَّةً المُرَاهِقَات والشَّابَّات، وَهي جَعْلُ (المِثَال الجَميل) لِجِسْم المَرْأةِ هُوَ (جِسْمُ عَارِضَةِ الأَزْيَاءِ) وَهُوَ جِسْمٌ نَحِيفٌ مُخِيفٌ في نَحافَتِهِ.

إنَّ هنَاكَ مُراهِقَاتٍ وَشَابَّاتٍ في أنْحَاءِ العَالَم يُعَذِّبْنَ أنفُسَهُنَّ أشدَّ العَذَابِ، لكَي تَصِلَ الواحِدَةُ مِنهُنَّ إلىٰ ذَلِكَ الجِسْم النَّحيفِ المُخِيفِ في نَحافَتِهِ، مُعْتَقِدَةً أنَّهُ القُدْوَةُ المُثْلَىٰ وَالمَثَلُ الأَعْلَىٰ في الجَمَالِ، وَهُوَ في الوَاقِع نَمُوذَجُ القُبحِ والهزَالِ وَالضَّعْفِ وَمَسْخِ الأُنوثَةِ، وَتَدْمِيرِ الصِّحَّةِ، وَسَلْبِ المَنَاعَةِ.

نِسَاءٌ في أنحاءِ الدُّنْيَا، وَخَاصَّةً المُرَاهِقَات، يَتَّبِعْنَ رِيجيماً مخيفاً خَطِيراً بَل مُهلِكاً، لكي يُفْسِدْنَ أجْسَامَهُنَّ، والوَاحِدَةُ مِنهُنَّ تَحْسَبُ أنَّها صنَعَت أمراً حَسَناً، ومَا دَرَت أنَّها تَقْتُلُ جمَالَها وَتُهْلِكُ صِحَّتَها، وَتُفْسِدُ نَضارَتَها، وَتُمْحِقُ أنوثَتَها، وَتُعَذِّبُ نَفْسَها وَأهْلَها، وتُحيلُ جَمَالَها إلىٰ قُبْح بِنَفْسِها وَهِي لا تَشْعُر، فَإذَا كَانُوا هُم أنْفُسُهُم جَنوا ثِمَار الهَلاكِ مِن تَدَنِّي الأحوالِ الصِّحِّيَّةِ، ثمَّ حَرَّضُوا علىٰ عَدَم النَّشْرِ للعَارِضَةِ النَّحيلَةِ، وَهَذِهِ إحْدَى مَجلاتِهِم تَنْشُرُ هَذا التَّقْرِيرِ:

« قَد تُقَرِّرُ مَجلاتُ المُوضَةِ النِّسَائِيَّةِ التَّوقُّف عَن التَّرويج للعَارِضَاتِ النَّحيلاتِ

المُصَابَاتِ بِفُقْدَان الشَّهيَّة بِسَبَبِ هَذِهِ الصُّورَةِ المُدَمِّرَة الَّتي تُحَاولُ النِّسَاءُ الأُخْرَيَاتُ تَقْليدَها.. وَخِلالَ قِمَّةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ عُقِدَت في لَنْدَن اتَّفَقَ رُؤسَاءُ تَحْرِيرِ أَكْثَر مَجَلاَّتِ المُوضَةِ انْتِشَاراً عَلىٰ مُذكرَةِ سُلُوكٍ تَطوعِيَّةٍ تَرْمِي إلىٰ تَقْدِيم صُورَةٍ مُغَايِرَةٍ للمَرْأَةِ إلىٰ القَارِئَاتِ.. وعُقِدَ الاجتِمَاعُ بِرِعَايَةِ الحكُومَةِ البريطَانيَّةِ، بِسَبَبِ العَدَدِ المُتَزَايدِ للنِّسَاءِ اللَّواتِي يُوَاجِهْنَ مَشَاكِلَ صِحِّيَةً نَتيجَةَ اعْتِمَادِ حميَاتٍ غِذَائِيَّةٍ صَارمَةٍ.

وقَد قَرَّرت مُذكرَةُ السُّلُوكِ إلغَاءَ صُورِ العَارضَاتِ النَّحيلاتِ، المَنْشُورَاتِ القَامَةِ مِن المَجَلاَّتِ النِّسَائيَّةِ، وكَذلكَ مَنْع أيِّ إعلانَاتٍ للتَّرويج للمَرْأةِ الهزيلَةِ..

وَسَيَتَوَلَّىٰ مَجْلِسٌ للتَّنْظِيم الذَّاتِيِّ، يَضُمُّ رُؤسَاءَ تَحْرِيرِ أشْهَر مَجَلاَّت المُوضَةِ، وَمُصَوِّرِينَ وَمُصَمِّمي أزيَاء، مُرَاقَبَةَ المَعَاييرِ الجَديدَةِ للمُوضَةِ.

وتَعْتَبِر (لِيز جُونْز) رئيسةُ تَحْرِيرِ مَجَلَّة «مَاري كْلير»:

أنَّ عَالم الموضَةِ وَالأزيَاءِ خَيَّاليٌّ، وأنَّهُ ابْتَعَدَ كثيراً عَن الوَاقع..

❖ ❖ ❖

حجبتِ الجمال

د.عبد المعطي الدالاتي

أتدريـــنَ أنـــكِ بشـــرى لنـــا ... وأنـــكِ خـــيرٌ يفيـــضُ هنـــا
أتدريـــنَ أنـــكِ نبـــعُ الحيـــاةِ ... يجـــوبُ الزمـــانَ ويـــروي الدُّنـــا
أتدريـــن أنـــك أمُّ الجمـــالِ ... وبنـــتُ الـــدلالِ وأخـــتُ السّـــنا
وأنـــكِ حـــين ارتديـــتِ الحجـــابَ ... سمـــوتِ، علـــوْتِ علـــىٰ المنحنـــىٰ
حجبـــتِ الجمـــالَ فحُـــزتِ الجـــلالَ ... وحُســـنكِ للطّهـــر قـــد أعلنـــا
صنعـــتِ الرجولـــةَ، أمَّ الرجـــالِ ... بنيـــتِ.. فـــأعليتِ مَـــنْ قـــد بَنـــىٰ
حضنـــتِ الطفـــولةَ في مـــهدها ... وكنـــتِ الخميـــلةَ والمَسكنـــا
فقلبـــكِ ينشـــرُ دفءَ الحنـــانِ ... وكفّـــكِ تمســـحُ عنّـــا الضنـــا
إذا مـــا رضيـــتِ سترضـــىٰ الحيـــاةُ ... وتضحـــكُ إذ تضحكيـــنَ لنـــا
لأجلـــكِ غنّـــىٰ وطـــارَ النشـــيدُ ... يرفـــرفُ حولـــكِ حتـــىٰ دَنـــا
إليـــك تهـــاجر كـــلُّ الحـــروفِ ... وتهـــوي عليـــك كـــرامُ المُـــنىٰ
تحـــومُ عليـــكِ.. وتـــأوي إليـــكِ ... وتبغـــي لديـــكِ هُنـــا موْطنـــا
تعـــالي لِنبـــنيَ بيـــتَ القصيـــدِ ... بشطريـــنِ: منـــكِ.. ومنّـــي أنـــا
تعـــالي نصلّـــي لـــربِّ الوجـــودِ ... ليغمُـــرَ بالدِّيـــن أعمارَنـــا
لأنـــكِ أنـــتِ.. لأنّـــي أنـــا ... تسيـــرُ الحيـــاةُ رُخـــاءً بِنـــا
ظلمنـــاكِ دهـــراً فـــهل تغفريـــنَ ... ومِثلُـــكِ يصفـــحُ عمَّـــنْ جَنـــا

الاختلاط سببه التبرج

لقد كَثُرَت الأمراضُ والعللُ والآفاتُ التي تعتري المجتمعاتِ في هذا العصرِ، عللٌ تتراكمُ وتتَّخِذُ شكلَ أخطبوط مُتَعَدِّد الأذرع، يلتَفُّ حولَ الإنسانِ حتَّىٰ ليكاد يخنُقُهُ، وفي أحسنِ أحوالهِ، فهو يَتَنَفَّسُ في جوٍّ موبوءٍ وفضَاءٍ مُلَوَّث تسبحُ فيه الجراثيمُ التي تهاجِمُ جسمَهُ وروحَهُ وتكادُ تُجْهِزُ عليهِ وتذره قاعاً صفصفاً، أو كالأعجازِ الخاويةِ.

من تلكَ الآفاتِ القاتلةِ، آفةُ الاختلاطِ التي عمَّ بها البلاءُ وطمَّ وأصبحَت سِمَةً وعلامةً، أو هي بمثابةِ السُّمِّ النَّاقع الَّذي يسري في أوصالِ المجتمع ويَتَغَلْغَل في شراييِنهِ وعروقِهِ، فيعطِّل قدراً كبيراً مِن طاقتِهِ وكمّاً هائلاً مِن عزمِهِ.

كانَ المجتمعُ المسلمُ في منأى عن هذهِ الآفةِ حينما كانَ يعيشُ في ظلِّ إسلامِهِ، مستلهماً قيمَ العفَّةِ والطُّهرِ والنَّقاءِ، مسترشداً بأخلاقِ الفطرةِ التي تَضَعُ الأمورَ في نصَابِها وتأنفُ مِنَ التَّمردِ علىٰ سننِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في النَّفسِ وفي الاجتماع والعمرانِ البشريِّ.

ولكن أتىٰ عليهِ حينٌ مِنَ الدَّهرِ بدأ ينسلخُ فيهِ عن طبيعتِهِ ويخرجُ عن صِبْغَتِهِ، وذلك بِفِعْلِ احتكاكِهِ بالغربِ إبَّانَ مَرحَلَةِ ما يُسَمَّىٰ بالاستعمَار، وقد كانَ الغربُ يحملُ في جعبَتِهِ مخططاتٍ جهنَّميَّة تستهدفُ تغريبَ المجتمعاتِ المسلمةِ وإخراجها من أصالَتِها وطمسِ مَعَالم هويتها.

وإذا كانت مداخلُ الشَّرِّ ومعاولُهُ قد تَعَدَّدت وتَنَوَّعَت، فإنَّ تزيينَ فكرةِ ومسلكِ الاختلاطِ بينَ الرِّجالِ والنِّساء علىٰ كلِّ المستوياتِ، مثَّل المدخلَ الأشدَّ

خطورةً وفتكاً بأخلاقِ المجتمعاتِ الإسلاميةِ وعقيدَتِها. وقَد قَدَّمَهُ الأوربيونَ إلينا علىٰ أنهُ وجهٌ من وجوهِ المدَنِيَّةِ والتَّقَدُّم والعصرَنَةِ، فَصَدَّقَ المسلمونَ في غَفْلَـةٍ مِن العقلِ وانفلاتٍ مِن نورِ الوحيِ ومنهجِـهِ القويـم، هَـذهِ الفِرْيَـةَ وهـذا البـهتانَ العظيمَ، وخاضُوا تجربَةَ العُرِيِّ والاختلاطِ، وبلَغُوا فيها آماداً سحيقةً، وسجَّلُوا صوراً مذهلَةً من التَّحلل والارتكاسِ تفوَّقُوا فيها - أحياناً - حتَّىٰ علىٰ من أدْخَلُوهُم إلىٰ هذَا المستَنْقَع البغيض.

إنَّهُ علىٰ الرَّغم مِنَ العواقبِ الوخيمَةِ الَّتي حَاقَت بالمجتمعاتِ الغَربيةِ، وبمن سارُوا في ركَابِها واقتَفُوا آثارَها، بَل وبالرَّغم من استنكَافِ عُقَلاءِ الغربيينَ مِن المخازي والويلاتِ الَّتي قادَ إليها الاختلاطُ، يُصِرُّ بعضُ أبناءِ بلدَتِنَا علىٰ المضيِّ قُدُماً في هذا الطريق الخاطئ والإمعانِ في إغراقِ مجتمعاتِنَا في حمأةِ الاختلاطِ، وما يُسَبِّبُهُ مِن فسادٍ وامتصاصٍ لمكارمِ الأخلاقِ، وشُعَبِ الإيمانِ التي من أعظَمِها الحياءُ.

إنَّهُ لا أحد يجادلُ في أنَّ الواقعَ الذي أفرزَهُ مجتمعُ الاختلاطِ، واقعٌ فاسدٌ موبوءٌ غابت من جرَّائِهِ صورةُ المجتمع المسلم الطَّاهر المشرقِ الَّذي تَينَعُ فيه خصالُ الفطرةِ التي عاشَ عليها أجدادُنا كالعِفَّةِ والغيرةِ، وغيرها، وحلَّت محلَّها صورةٌ كالحةٌ منتنةٌ تَتَمَثَّل في الصفَاقَةِ والدَّياثَةِ، الَّتي هي موتٌ لمفهوم العِرْضِ، واندثارٌ لمفهوم الكرامةِ الإنسانيةِ - إلاَّ من رحمَ ربيِّ -.

إنَّ المؤسسات التَّعليمية التي هي بـهذهِ المثابـةِ، لا يمكـنُ أنْ تحقِّـقَ أهدَافـها ومقاصِدَهـا التربويـة والاجتماعيـةَ والحضاريـةَ، إلاَّ في ظـلِّ شـروطٍ معيَّنـةٍ ومواصفاتٍ محدَّدةٍ تجعل منها فضاءً خلاَّقاً للأخذِ والعطاءِ، تَتَفَتَّق فيهِ المواهبُ

وتجدُ فسحتَها ومجالَها الرَّحيب، ولا ريبَ أنَّ علىٰ رأسِ تلك الشروطِ، جعل المحيطِ المدرسيّ محيطاً يَتَّسمُ بالنقاءِ والبُعد عن المثيراتِ والمشوّشاتِ التي تطمسُ الفِكْرَ وتعوقُ عمليةَ الإبداعِ عَن أن تسير في مجالها الصَّحيح.

وأسوقُ إليكم هنا نتائج دِراسة غربيَّة نُشِرَت في (٨ يوليو ٢٠٠٢) قامَت بها هيئةٌ حكوميةٌ بريطانيةٌ تدعىٰ «المؤسسة الوطنية للبحثِ التعليمي» والتي أجريت علىٰ (٢٩٥٤) مدرسة ثانوية في انجلترا لدراسةِ مَدَى تأثير حجم المدرسَةِ ونوعها (مختلطة أو غير مختلطة) علىٰ أدائِها التَّعليمي.

أوضحت هذه الدراسةُ نتائجَ مدهشة أبرزُها أنَّ أداءَ الطلبةِ الذكور والإناث كان أفضل دراسياً في المدارسِ غير المختَلَطَةِ، الفتيات كنَّ أكثر استفادَةً مِنَ الفَصْلِ بينَ الجنسين في تنميةِ أدائِهِنَّ.

كذلك وُجِدَ مِن تحليل نتائج الامتحاناتِ البريطانيةِ العامَّةِ أنَّ المدارسَ غير المختلطةِ تحقِّق أفضلَ النَّتائج وأعلاها بشكلٍ روتيني. ففي سنة (٢٠٠١م) كان العشرونَ الأوائل في الامتحاناتِ البريطانية مِن طلابِ المدارسِ غير المختلطةِ، وأغلب الخمسين الأوائل من الدَّارسين في تلك المدارسِ.

يضافُ إلىٰ ذلكَ أنَّ تجاربَ علمية تمَّ القيامُ بها في بعض المدارسِ أكَّدَت أنَّ التعليمَ غيرَ المختلَطِ أفْضَل بكثيرٍ من التَّعليم المختلطِ، فَقَد تمَّ تحويلُ مدارس مختلطة إلىٰ مدارس غَير مختَلطة يُفْصَلُ فيها بينَ الجنسينِ، لكن مَع بقاءِ نفس الطلابِ ونَفْسِ المدرسين ونَفْسِ المنهج ونفس الإمكانيات.

لقد كانَت مجتمعاتُنا الإسلاميةُ في منأى عن كثيرٍ من الفواجع والويلاتِ لو أنَّها اتَّبعت كتابَ رَبِّها سبحانَهُ وتَعالىٰ وسنَّةَ نَبِيِّهِ الكريم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

ولكنَّها أَبَت إلاَّ أنْ تَدْخُلَ جُحْرَ الضَّبِّ، وأنْ تَنْغَمِسَ بوعي أو بغيرِ وَعْي في تجارب نكِدَة وأنظمَة ومناهج شاردة، فكانَ ما كانَ مِن هذا التِّيه والشُّرُود، يقول اللهُ سبحانَهُ وتعَالىٰ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيتاً فَأَحْيَيناهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيسَ بِخَارِجٍ مِنْها..﴾ [الأنعام:١٢٢].

ومن غيرِ الدُّخُول في جدالٍ عقيم نقولُ للمعجبينَ بالغَرْبِ المنبهرينَ بِبَهارِجِهِ، لماذا تَلْتَقِطُونَ أوساخَهُ وتتركونَ حِكْمَتَهُ، وهي كامِنَةٌ في أصولِ دينِكُم في صيغَةٍ أبهَىٰ وأجْمَل؟

إنَّ المنطقَ العقليَّ البسيطَ في حدِّ ذاتهِ يأنفُ من هذا التَّناقُض الشَّائِه.. فهل أنتم مُنْتَهُون.

❖ ❖ ❖

أنوثتي التي فقدتها

(أريد أن أرجع إليها)

قالت « غنيمة الفهد » - رئيسة تحرير مجلة أسرتي الكويتية - في مقالٍ بعنوان (وحي الكلمات) نُشِرَ في مجلَّةِ المجلة، بَعْدَ رحلَتِها الطويلةِ في عالم « تحرير المرأة » المزعوم:

كَبُرنا وكَبُرَت آمالُنا وتَطَلُّعاتُنا.. نِلْنَا كلَّ شيء.. نَهَلْنَا مِنَ العِلْم والمعرفةِ ما يفوقُ الوصفَ.. أصبحْنَا كالرَّجُل تمامًا: نَسُوقُ السَّيارة، نسافرُ للخارج لِوَحْدِنَا، نَلبسُ البنطلونَ، أصبحَ لنَا رصيدٌ في البنكِ، ووصلنَا إلىٰ المناصبِ القياديَّةِ، واختَلطنا بالرِّجالِ ورأينَا الرَّجُلَ الَّذي أخافَنَا في طفولَتِنَا. ثمَّ.. الرَّجُلُ كمَا هُو، والمرأةُ غدَت رجلاً: تُشْرِفُ علىٰ مَنْزِلها، وتُرَبِّي أطفَالَها، وتأمرُ خدَمَها..

وبعدَ أنْ نِلْنَا كلَّ شيء.. وأَثْلَجَت صُدُورَنَا انتصاراتُنَا النِّسائية علىٰ الرِّجال في الكويتِ، أقولُ لكم وبصراحتي المعهودَةِ:

ما أجملَ الأنوثة، وما أجملَ المرأةَ، المرأة الَّتي تحتَمِي بالرَّجُل، ويُشْعِرُها الرَّجُلُ بِقُوَّتِهِ، ويَحْرِمُها مِنَ السَّفَرِ لِوَحْدِها، ويطلبُ منها أنْ تجلسَ في بيتِها.

ما أجملَ ذلكَ.. تُرَبِّي أطفَالَها وتُشْرِفُ علىٰ مملَكَتِها، وهو السَّيِّدُ القويُّ.

نعم.. أقولُها بَعْدَ تَجْرُبَةٍ:

أريد أن أرجع إلىٰ أنوثتي التي فقدتها أثناءَ اندفَاعِي في مجالِ الحياةِ والعَمَل.

إنْ شِئْتِ فامْضِ كَمِثْلِ خَدِيجَة..
كَمِثْلِ نِسَاءِ الكِرَامِ الصَّحابَة..
بَيتُك وَالطُّهْرِ أَقْوَى وَشِيجة..

وَيَعْلُـو جَبِينَـكِ نُـورُ النَّجَابَـةِ..
وَإِنْ شِئْـتِ سَـيراً وَرَاءَ الدُّمَـىٰ..
بِقَـدْرٍ رَخِيـصٍ أَخَـسَّ الهِمَـمِ..
يَرَاهَـا الرِّجَـالُ كَصَيْـدٍ كَمَـا..
يَرَاهَـا الذِّئَـابُ كَلَحْـمِ الغَنَـمِ!..
وَإِنْ شِـئتِ كُونِـي حَلِيلَـةَ حُـرٍّ..
قَـوِيِّ العَزِيمَـةِ عَـالِي الجَبِـينِ..
غَيُـورٌ شُـجاعٌ بِكَـرٍّ وَفَـرٍّ..
كَرِيـمُ الخِصَـالِ بِمَجـدٍ وَدِيـنِ..
وَإِنْ شِـئْتِ لَهْـثاً بِجَهْـلٍ وَطَيْـشٍ..
وَرَاءَ كَـلامِ الهَـوَىٰ وَالغَـزَلِ..
وَعُمْـرٍ يَضِيـعُ بِـأَسْوَءِ عَيْـشٍ..
سَـرَابِ الأَمَـانِي وَزَيْـفِ الأَمَـلِ..
وَإِنْ شِـئْتِ كُونِـي كَـأُمِّ الأُسُـودِ..
وَتَغْـرِسُ فِيـهِمْ مَعَانِـي الرُّجُولَـةِ..
بِعَـزْمِ الجِّـهادِ وَفَـلِّ القُيُـودِ..
وَتَصْنَـعُ جِيـلاً عَظِيـمَ البُطُولَـةِ..
وَإِنْ شِـئْتِ سَـعْياً لِنَيـلِ الْوَظِيفَـةِ..
مِـنَ الْصُّبْـحِ كَدْحـاً وَحَتَّـىٰ الظَّـهِيرَةِ..

فَتَذْبُــلُ طَلْعَــةُ وَجْــهٍ لَطِيفَــة..
وَيَفْسُــدُ مِنْــكِ صَفَــاءُ السـرِيرَة..
وَإِنْ شِـئْتِ زِيـدِي جمَــالَ العُيُــون..
وَسِـحْرَ الرّمُـوُشِ وَحَسْــنَ القَــوَام..
بِسِــتْرِ الخَمــَارِ لِكَــفّ العُيــون..
وَحُــبّ الصّيــامِ وَطُــولَ القِّيــام..
وَإِنْ شِـئْتِ بَـذْلاً لِهـذا الجَمــال..
وَرِقّــةَ غُنْــجٍ، ضَيــاءَ الخُــدُود..
لِكــلِّ وَضِيــعٍ خَبِيــثِ الخِصــال..
وَعَبْــدِ الفَوَاحِــشِ مِثْــلَ القــرُوُد..
وَإِنْ شِـئْتِ حِفْظــاً لِعِــرْضٍ رَفِيــع..
كَرِيــمٍ نَسِيــبٍ بِقَــدْرٍ عَــلا..
حَيَــاؤُكِ دِرْعٌ كَحِصْــنٍ مَنِيــع..
وَإِنْ مَــالَت الأَبْصَــارُ.. كَــلاً ولا..

[كلمات: فضيلة الشيخ حامد بن عبد الله العلي].

❖ ❖ ❖

الحجاب والتبرج في الميزان

الحجابُ.. إيمانٌ.. وطهارةٌ.. وتَقْوَىٰ.. وحياءٌ.. وعفّةٌ

والتبرُّجُ.. وقاحةٌ.. وفسادٌ.. ورذيلةٌ.. وتَخَلُّفٌ وَانْحِطَاطٌ

لقد لقيت المرأة المسلمةُ من التَّشريع الإسلامي عنايةً فائقةً كفيلةً بأنْ تصونَ عِفّتَها، وتجعلَها عزيزةَ الجانبِ، ساميةَ المكانِ، وإنَّ الشُّروطَ التي فُرِضَت عليها في ملبَسِها وزينَتِها لم تكُن إلاَّ لِسَدِّ ذريعةِ الفسادِ الَّذي يَنْتُجُ عَن التَّبَرُّج بالزِّينة، وهذا ليسَ تقييداً لحرِّيتِها بَل هو وقاية لها أنْ تَسْقُطَ في دَرَكِ المهانةِ، وَوَحْلِ الابتذالِ، أو تكونَ مسرحاً لأعينِ الناظرينَ. فما هي فضائلُ الحجابِ؟

١ـ الحجابُ طاعةٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وطاعةٌ للرَّسول ﷺ:

قالَ تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال الرسولُ ﷺ: «المرأةُ عورةٌ» [رواه الترمذي] يعني يجبُ سترها.

٢ـ الحجابُ عِفَّةٌ:

لقد جعلَ اللهُ تعالىٰ التزام الحجابِ عنوانَ العِفَّة، فقالَ تَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

لتسترهنَ بأنهنَّ عفائِف مصونات ﴿فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ فلا يتعرض لهنَّ الفُسَّاقُ بالأذى، وفي قوله سبحانه ﴿فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ إشارةٌ إلىٰ أنَّ معرفةِ محاسنِ المرأة إيذاءٌ لها ولِذَويها بالفتنَةِ والشَّرِّ.

٣- الحجاب طهارةٌ:

قال سبحانَهُ وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فوصفَ الحجابَ بأنَّهُ طهارةٌ لقلوبِ المؤمنينَ والمؤمناتِ لأنَّ العينَ إذا لم ترَ لم يَشْتَهِ القَلْبُ، ومن هنَا كانَ القلبُ عندَ عدم الرؤيةِ أطْهَر، وعَدَم الفتنةِ حينئذ أظهَر لأنَّ الحجابَ يقطعُ أطماعَ مَرْضَىٰ القلوبِ، قالَ تَعَالىٰ: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٤- الحجاب ستر:

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ حَيِيٌ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحيَاءَ وَالسِّتْرَ» [رواه أبو داود].

وقال ﷺ: «أيُّمَا امرأةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَها فِي غَيرِ بيتِها، خَرَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنْها سِتْرَهُ». [رواه أحمد] والجزاءُ مِن جنسِ العَمَلِ.

٥- الحجابُ تقوىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]

٦- الحجاب إيمانٌ:

اللهُ سبحانَهُ وتَعَالىٰ لم يخاطِب بالحجابِ إلاَّ المؤمناتِ فقَد قَالَ سبحانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولما دخَلَ نسوةٌ من بني تميم علىٰ أم المؤمنين عائشةَ وعليهنَّ ثيابٌ رقَاق قالت: «إنْ كُنْتُنَّ مؤمنات فَلَيسَ هذا بلباسِ المؤمنَات، وإن كُنْتُنَّ غيرَ مؤمناتٍ فَتمَتَّعنَ بِهِ».

٧- الحجاب حياء:

إنَّ لكلِّ دِينٍ خُلُقاً، وإنَّ خُلُقَ الإسلام الحياءُ

والحجابَ حياءٌ وسِتْرٌ، واللهُ حييٌّ يحبُّ الحياءَ، سِتِّيرٌ يحبُّ السِّتر. قَالَ ﷺ في الحياءِ: «الحياءُ من الإيمان». [متفق عليه]. وقال ﷺ: «الحياءُ من الإيمان، والإيمان في الجنةِ» [الترمذي، وابن ماجه]. وقال ﷺ: «الحياءُ خيرٌ كلُّهُ» [رواه مسلم].

٨- الحجاب غَيرةٌ:

يتناسبُ الحجابُ أيضاً مع الغيرَةِ التي جُبِلَ عليها الرَّجُلُ السَّويُّ الَّذي يأنَفُ أنْ تَمْتَدَّ النظراتُ الخائنةُ إلىٰ زوجَتِهِ وبنَاتِهِ، وكم مِن حربٍ نَشَبَت في الجاهليةِ والإسلام غَيرَةً علىٰ النِّساءِ وحَمِيَّةً لحرمَتِهِنَّ، قالَ عليٌّ رضي الله عنه: «بلغَني أنَّ نساءكُم يزاحِمْنَ العُلُوجَ - أي الرجالَ الكفَّارَ مِنَ العجم - في الأسواقِ ألا تغارُون؟ إنَّه لا خيرَ فيمَن لا يَغارُ».

قبائحُ التَّبرج

١- التبرج معصية لله ولرسوله ﷺ:

مَن يَعْصِ اللهَ ورسولَهُ فإنَّهُ لا يَضُرُّ إلاَّ نفسَهُ، ولن يَضُرَّ اللهَ شيئاً، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَىٰ» قالوا: يا رسول الله ومن يأبىٰ؟ قال: «مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن عَصَانِي فَقَد أبَىٰ». [رواه البخاري].

٢- التبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله:

قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَىٰ السُّرُوجِ، كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَىٰ أبْوَابِ المَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَىٰ

رُؤوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ العِجَافِ، العَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءكُمْ أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءهُمْ، كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ». [رواه أحمد].

٣ - التبرج من صفات أهل النار:

روى مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤُوسُهُنّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ولاَ يَجِدْنَ رِيحَها، وإِنَّ رِيحَها لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وكَذَا».

ورُوِي عَن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَثَلُ الرَّافِلَةِ في الزِّينَةِ في غيرِ أهْلِها، كَمَثَلِ ظُلْمَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، لا نُورَ لَها». [رواه الترمذي]

يريدُ ﷺ أنَّ المتمايلَةَ في مشيتِها وهي تجرُّ ثيابَها تأتي يومَ القيامَةِ سوداءَ مُظلمَة كأنها مُتَسجدة في ظلمةٍ، وذلكَ لأنَّ اللَّذة في المعصيةِ عذابٌ، والطيبُ نَتَنٌ، والنورُ ظلمَةٌ، بعكسِ الطاعَاتِ فإنَّ خلُوفَ فَم الصَّائم، وَدَمُ الشَّهيدِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المسكِ.

٤ - التبرج نفاق:

روى البيهقي عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «خيرُ نِسائِكُمُ الوَلُودُ الوَدُودُ، المُوَاسِيَةُ المُوَاتِيَةُ إِذَا اتَّقَينَ اللهَ، وشَرُّ نِسَائِكُمُ المُتَبرِّجَاتُ المُتخيِّلاتُ، وهُنَّ المُنَافِقَاتُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إلاَّ مِثْلُ الغُرَابِ الأعصَمِ». [صحيح].

و(الغراب الأعصم): هو أحْمَرُ المنقارِ والرِّجلين، وهو كنايةٌ عَن قِلَّةِ مَن يدخلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّساءِ لأنَّ هذا الوصفَ في الغِربانِ قليلٌ.

٥- التبرج تهتك وفضيحة:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أيُّما امْرَأةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَها، فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِها، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَينَها وبَينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». [رواه أحمد، وهو حديث صحيح].

٦- التبرجُ فاحشة:

فإنَّ المرأةَ عَورَةٌ وكشفُ العورةِ فَاحِشَةٌ ومقتٌ قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيها آبَاءنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء﴾ [الأعراف:٢٨]

والشيطانُ هو الَّذي يأمرُ بهذهِ الفاحشَةِ قالَ تَعَالىٰ: ﴿الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾ [البقرة: ٢٦٨].

٧- التبرجُ سُنَّةٌ إبليسية:

إن قصةَ آدمَ مَع إبليسَ تكشِفُ لنا مَدَى حِرْص عدوّ اللهِ إبليس كَشْف السوءاتِ، وهتك الأستَارِ، وأنَّ التَّبَرُّجَ هدفٌ أساسيٌّ له، قالَ تَعَالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءاتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٧]

فإذن إبليسُ هو صاحبُ دعوةِ التَّبَرُّج والتكَشُّف، وهو زَعيمُ زعماءِ مَا يسمي بتحريرِ المرأةِ.

٨- التبرجُ طريقةٌ يهودية:

لا شكَّ أنَّ لليهودِ باعٌ كبيرٌ في مجالِ تحطيم الأمم عَن طريقِ فتْنَةِ المرأةِ، كما مرَّ معنا منذُ قليلٍ فَهُم أصحابُ خبرةٍ قديمةٍ في هَذا المجالِ، حيثُ قَالَ النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، لِيَنْظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». [مسلم].

٩- التبرجُ جاهليةٌ منتنةٌ:

قـالَ تَعـالىٰ: ﴿وَقَـرْنَ فِـي بُيُوتِكُـنَّ وَلا تَـبَرَّجْنَ تَـبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّـةِ الأُولَـىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]

وقَد وصَفَ النبيُّ ﷺ دعوَى الجاهليةِ بأنّـها مُنْتِنَةٌ أي خبيثَة فَدَعْوى الجاهليةِ شقيقةُ تَبَرُّج الجاهليةِ، وقَد قالَ النبيُّ ﷺ: «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْـرِ الْجَاهِلِيَّـةِ تَحْـتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ..» [رواه مسلم]سواء في ذلك تبرجّ الجاهليةِ، ودَعْوى الجاهليةِ، وحَمِيَّة الجاهليةِ.

١٠- التبرجُ تخلُّفٌ وانحطاطٌ:

إنَّ التكَشُّفَ والتَّعري فطرةٌ حيوانيةٌ بهيميةٌ، لا يميلُ إليها الإنسانُ إلاَّ وهو يَنْحَدِرُ ويرتكِسُ إلىٰ مرتبةٍ أدنىٰ مِن مَرتبة الإنسانِ الَّذي كرَّمَهُ اللهُ، ومِن هنا كانَ التبرجُ علامَةً علىٰ فسادِ الفِطْرَةِ وانعدام الغَيرَةِ وتَبَلّدِ الإحساسِ وموتِ الشُّعور:

لحـدِّ الركبتيـنِ تُشَمِّرينَا ... بِربِّـكِ أيُّ نَهْرٍ تَعْبُرِينَ
كأنَّ الثوبَ ظِلٌّ في صَبَاح ... يَزيدُ تقلصاً حِيناً فحينَا
تَظُنِّينَ الرِّجَالَ بِلا شُعُور ... لأنَّكِ رُبَّمَا لا تَشْعُرِينَا

١١- التبرجُ بابُ شرٍّ مُستطير:

وذلكَ لأنَّ مَن يتأمل نُصُوصَ الشَّرع وعِبَرَ التَّاريخ يَتَيَقَّن مَفَاسِدَ التَّبرج وأضراره علىٰ الدِّين والدُّنيا، لا سيما إذا انضَمَّ إليهِ الاختلاطُ المستَهْتر.

فمن هذهِ العواقبِ الوخيمةِ:

(أ)- تسابقُ المتبرجات في مجالِ الزِّينة المحرَّمة، لأجلِ لفتِ الأنظارِ إليهن.. مما يُتْلِفُ الأخلاقَ والأموالَ ويجعل المرأةَ كالسِّلعةِ المهينةِ.

(ب)- فسادُ أخلاقِ الرِّجال خاصَّةً الشَّباب ودفعهم إلىٰ الفواحشِ المحرمةِ.

(ج)- المتاجرةُ بالمرأةِ كوسيلةٍ للدِّعايةِ أو التَّرفيهِ في مجالاتِ التِّجارة وغيرها.

(ح)- الإساءةُ إلىٰ المرأةِ نَفْسِها باعتبارِ التَّبرج قرينة تشيرُ إلىٰ سوءِ نِيَّتِها وخُبْثِ طَوِيَّتِها مما يُعَرِّضها لأذيَّةِ الأشرار والسُّفَهاء.

(خ)- انتشارُ الأمراضِ (كالإيدز) لقوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ، خِصَالٌ خَمْسٌ إذا ابْتُلِيتُم بِهِنَّ، وَأعُوذُ بِاللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ: لَم تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِها، إلاَّ فَشَا فِيهِم الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ الَّتِي لَم تَكُن مَضَتْ في أسْلافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا..» الحديث [رواه ابن ماجه وهو صحيح].

(د)- تسهيلُ معصيةِ الزِّنا بالعينِ: قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: «لِكُلِّ بَنِي آدَمَ حَظٌّ مِن الزِّنَىٰ، فَالْعَينَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا البَطْشُ، وَالرِّجْلانِ يَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا المَشْيُ، وَالْفَمُ يَزْنِي، وَزِنَاهُ القُبَلُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّىٰ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أو يُكَذِّبُهُ». [رواه مسلم] وتعسير طاعة غضٍّ البصرِ التي هي قطعاً أخطَر مِنَ القنابل الذّرية والهزاتِ الأرضية. قَالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦] وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوا المُنْكَرَ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابِهِ».

فيا أختي المسلمة:

هلا تَدَبَّرتِ قولَ الرَّسُول ﷺ في تنحيةِ الأذى عَن طريقِ المسلمين، فإذا كانت إماطةُ الأذى عن الطريقِ مِن شعبِ الإيمانِ فأيهما أشدّ شوكةً.. حجرٌ في الطَّريق، أم فتنةٌ تُفْسِدُ القلوبَ وتعصفُ بالعقولِ، وتشيع الفاحِشَةَ في الَّذينَ آمنُوا؟

رحلتي حول العالم

«رِحلَةٌ مُثيرةٌ قَضيَتُها بينَ حَسْنَاواتِ المشرقِ والمغربِ»

كتبَ أحدُهُم يقول:

الإخوةُ الكرامُ والأخواتُ الكريماتُ.. وكلّ القرّاءِ والقارئات.. وخاصّةً النِّساء والفتيات سلامٌ عليكُم جميعاً من ربِّ البرياتِ:

هل علمتُم عن نبأ رحلتي حولَ العالم ومغامرَتي التي تجوَّلتُ فيها بين رُبُوع وأصنافِ الفتياتِ الحسناواتِ والفَاتِنَات في كلِّ مكانٍ؟! سأنقلُكُم في المكانِ والزَّمان لتعيشوا معي قصةَ رحلةٍ ومغامرةٍ من أغربِ وأعجبِ وأجرأ الرّحلاتِ والمغامرات فهلموا بنا.. لا أدري مِن أين تريدونَنِي أنْ أبدأ؟ أمِنَ الشَّرقِ أم مِنَ الغربِ؟ لا بأس تعالوا بنا نبدأ من الغربِ إلى الشَّرق ولنبدأ من طاغوتِ العصر وفاسقةِ الكونِ وقائدتهِ أمريكا؟

ولنبدأ رحلتنا من «أمريكا» حضرت مشهداً لصلاةِ العيدِ يحضُرُهُ المسلمونَ والمسلماتُ مِن كلِّ مكانٍ في تلكَ الولايةِ ورأيتُ صِنفين من نساءِ المسلمين في صلاةِ العيدِ تلك، صِنْفٌ من نساءٍ محجباتٍ حجاباً كاملاً لا يُرَى شيءٌ مِن وجوههن.. محتشمات مُؤدَّبات خَلُوقَات..

والصنفُ الآخر نساءٌ مسلماتٌ سافراتٌ متزيناتٌ متبرجاتٌ متعطراتٌ..

سألتُ رِفَاقي... من هؤلاءِ؟ قالوا لي: أمَّا الصِّنفُ الأولُ فَهُم نساءٌ أمريكايات وغربيات مِن أبوين كافرين وبلادٍ كافرةٍ ونَشأةٍ كافرةٍ، أسلَمْنَ حديثاً وحَسُنَ إسلامُهُنَّ فكانَ أوَّل ما فَعَلْنَ أن اعتَقَدْنَ واقتَنَعْنَ بأنَّ الحجابَ الكامِلَ

والعفافَ والغِطاءَ واجبٌ وضرورةٌ ملحةٌ وإنْ لم يكن كذلكَ فماذا إذن..

فَبَدَت صورتُهُنَّ الخالية مِن أيِّ سفور أو تَبرُّج أو تَعطُّر أو خُضُوع؟!

وأمَّا الصِّنفُ الآخرُ فَقَد كنَّ نساء عربيات مسلمات منذُ نعومةِ الأظفار مِن أبوين مسلمين ونشأةٍ مسلمةٍ محافظَةٍ ولكنَّهنَّ انْسَلَخْنَ وتمرَّدن علىٰ أهمِّ مبادئ دينهنّ وعقيدتهنّ فَألقينَ الحجابَ بحجَّةِ الحضارةِ والتَّطور وواكبنَ النِّساء الكافرات ونافسهنّ علىٰ أنواع الزينة والسفور والتَّحرر والاختلاطِ ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ باللهِ.

ومضينا بمركبنَا وحطَّت رحالُنا في بلادِ الرُّوم - أوروبا - ونسائِها الحمراواتِ وفيها شاهدت صِنفينِ مِن نساءِ أهل الرُّوم الكافراتِ صنفٌ يرتَدِي قبعات تُغَطِّي الرأس والشَّعر ويتدلىٰ منها شيء من غطاءٍ شفَّاف يغطي ثُلُثَيِّ الوجهِ، قُمْصَانُهُنَّ الطوال حتىٰ الأكف، وأُزُرُهُن صفيقةً واسعةً فضفاضةً إلىٰ أخمص القدمين..

قلتُ: يا إلهي.. حتىٰ بعض كافراتِ الرُّوم يعرفنَ الحجابَ والعفافَ والسِّتر واللِّباس الطويلَ السَّاتر؟ حتىٰ الكافرات يُغطين وجوهَهُنَّ ويلبسن الفَضْفَاضَ والصَّفيق والطويلَ.

وبينما أنا علىٰ تَعَجُّبي وإعجابي ذاك.. مشت بي عقاربُ السَّاعةِ سريعاً للأمام.. لتنقل لي عهداً جديداً يمرُّ علىٰ أوروبا فشاهدت صنفاً آخرَ مِن نساءِ الرُّوم وهو صنفٌ قد حقَّ عليه قولُهُ تَعَالىٰ محذِّراً بني آدم مِن فِعْلِ ابليسَ خَزَاهُ اللهُ حيثُ يقول تعالىٰ في سورة الأعراف آيـ ٢٧ ـة:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يؤمنون﴾.

وقد تمكَّن فِعلاً خزاهُ اللهُ مِن نزع لباسِ ذلكَ الصِّنفِ وَجرَّدَهُنَّ مِـن كلِّ شـيء ولو حتَّىٰ غطاء مِن ورقِ شَجَرٍ يُوارينَ به أعظَمَ السوءآتِ.

سألتُ الرِّفـاقَ.. مَن هـؤلاءِ بربِّ جبريل؟ قَالُوا لي.. أمَّا الصنفُ الأوَّلُ فـهنَّ نساءٌ غربياتٌ أوروبيات كـافرات أبّاً عَن جدٍّ ولكنـهن محافظـات محتشـمات لم يرتضينَ الرَّذيلَةَ والسّفور وهـنَّ اللواتـي عِشْنَ قرونَ مَا قبـل ثـورةِ تحريرِ المرأةِ في أوروبا، خَلَّدت ذكراهَمُ كتُبُهُم وقِصَصُهُم وصورُهُم وأفلامُهُم فَشَـهِدَ شاهِدٌ مِن أهلهنَّ وظهر عليهنَّ تـأثرهن بـالفطرةِ السَّويةِ وربما بآثارِ الإسلام في تلكَ البلاد أثناءَ حكم الأندلُس، إلىٰ أن جاءت ثورةُ فرنسا لتحريرِ المرأةِ فأتت علىٰ الأخضرِ واليابِسِ ولم تُبْقِي عوداً أو قماشاً أو غطاءً أو لحافاً.. نَزَعَت كلَّ شيء وأُلقي كـلُّ شيء فجاءَ وظـهر وبرزَ الصِّنفُ الآخَرُ وهـو صنفُ الأجسادِ والعُرِيِّ والتَّفَسُّخ وقمَّة معـاني الانحلالِ والإباحيـةِ.. صنفٌ هـو حَطَـبُ جَهَنَّم وسيقَانها ووقودُهـا عياذاً باللهِ إلاَّ لمن آمنَ وتابَ وعَمِلَ عملاً صالحاً، صنفٌ عاشَ التَّجرُّدَ والانحلالَ والحيوانيةَ والشهوةَ التي أرادَها لهم أبوهُم وجَدُّهُم إبليس بكلِّ معانيها فأصبَحُوا أضَلَّ مِنَ الأنعام وأخوة وأبناء الخَنَازير.. لا سِتْرَ لا عفَافَ لا دِينَ لا قُيُودَ.. إنْ هُـم إلاَّ كالأنعام بَل هُم أضَلّ.. وإنَّ من الحيـوانِ مَن يَتَسَتَّر بوبـرهِ وريشِـهِ ولحمِـهِ.. أمَّا هؤلاء فقد عَادُوا إلىٰ عصرِ الغابِ.. وارتَضَينَ التَّجرُّد التَّام عَن الحجابِ..

قاطعني رفاقِي.. ولكن أما عَلِمْـتَ أنَّ كثيراً مِن بناتِ دينِكَ وأمتِّكَ سائرات علىٰ نَفْسِ النَّهج والطريقِ فأصبحَ منهنّ من رَضِيتَ بإبليسَ والغَرْبِ الكـافِرِ سُنَّةً ومنهجاً، بَـل إنَّ منهنَّ مَـن اتَّبعَـت وانقـادَت وعاشَـت حياةً كحياتِـهم علاقَـات.. محرَّمات.. تَفَسُّخ.. سفُور.. إباحيَّة.. انحلال.. إلاَّ مَن رَحِمَ اللهُ.

قاطعتُهُم وأسكَتهُم وقلتُ لَهُم: كفىٰ ولن أرضَىٰ باتِّهام بنات دِينِي وأمَّتِي بِشيء من هذا.. قالوا إذن.. تعالَ لنكمِل بكَ الرِّحلة وتَرى بأمِّ عينِكَ العَجَبَ العجابَ ولكن وقَبْلَ أن نمضي مِن هذهِ الدِّيار الحمراء أبىٰ اللهُ إلاَّ أن يُرِيَنا نموذجاً فريداً جميلاً غَسل بهِ كلَّ مَا رأيناه مِن أصنافِ بلادِ الرُّوم فكانَت فتاة عَارضَة أزياء جَميلة فاتِنَة كم أغرَت وفَتَنَت وأغوتَ بجسَدِها المكشوفِ وبوجهها البرَّاق اللماعَ الفتَّان، كانت قد أسلمت حينَ رَأت ذاتَ يَوم جارةً لها أتَت مِن بلدٍ مُسلم متغطيةً غطاءً كاملاً - مُتَنَقِّبةً كما يحلوا للبعضِ التَّسميةِ - شَاهَدَتْها وتَابَعَتْها.. وراَقَبَتْها..ثمَّ تَحدَّثت مَعَها.. وَما هِي إلاَّ أيامٌ ودَخَلَت في الإسلام لأنَّ بريقَ الغطاءِ وجاذبيةَ السِّتر والعفافِ سَلَبتها لبَّها وقالت الكافرةُ للمسلمةِ: «دينُكُم علَّمكُم كيفَ تحافظونَ علىٰ أغلَىٰ شيء في المرأةِ وهو غطاؤها وسترُها، أمَّا نحنُ فَلَم نَزَل نبيع ونَبِيع ونَتَنازَل بسببِ كشفِ وَنَزْع الغِطَاءِ».

ثمَّ حانت لحظاتُ اللقاءِ العزيزةِ وحطَّت رحالُنَا في بلادِ غاليةٍ عزيزةٍ جميلةٍ.. أبيةٍ.. في كلِّ شيء.. طعمها.. رائحتُها.. دمُها.. لونُها.. حيثُ بلاد العربِ مِن المغربِ إلىٰ المشرقِ، في الدُّول العربيةِ المذكورة تحديداً مررت بعهدينِ وثلاثة أصنَاف من نساءِ هذه البلاد الفَاضلات.

الصنف الأول: صنفٌ يرتدي جلباباً أسوداً فضفاضاً بقطعتين إزار ورداء كأنهن الغَرابيبُ السُّودُ لا يُرَى مِنْهُنَّ شبراً أو وجهاً أو يداً وكأنهنَّ الخيام السَّوداء تمشي علىٰ الأرض.. فقلتُ: من هؤلاء يا إخوتي بربِّ جبريلَ؟

قَالُوا: إنَّهنَّ أمهاتُنَا وجدَّاتُنا من أهلِ تلكَ البلادِ الغاليةِ ومن الَّذين صَدَّقنَ علماءهنَّ وساقتهنَّ فطرتُهنَّ السَّويةُ إلىٰ ضرورةِ العفافِ الكاملِ وَعَدَم تَصديق

أكذوبةِ الكشفِ والسّفور والتّساهل فيهِ فاْتبعنَ الفطرةَ السَّويةَ وعففنَ أنفسَهُنَّ فسَلِمْنَ وَسَلّمن ومضينَ إلىٰ بارئهن علىٰ خيرٍ وسلام ورضىٰ مِنَ الرَّحمن ويعدَ ذلكَ العهدِ رأينا صنفاً تأثّر بالاستعمارِ وموروثاتِهِ فَنزَعَت تلكَ الخيام واستبدَلَت بإشاربات (أغطية رأس) مَع بوالط تَصلُ إلىٰ الركبتين فقط.. وشَرابات تُغطِّي السَّاقين.. وكُشفَتِ الوجوهُ.. وحُسِرَ عَن السِّيقانِ.. وخالطت المرأةُ الشُّبَّانَ.. في ميادينِ العملِ وفي الشَّارع والباصِ والسُّوق وفي كلِّ مكان..

ثمَّ تلىٰ ذلك صنفٌ مِنَ الكاسياتِ العارياتِ بلغن أقصىٰ درجاتِ العُرِيِّ في بناتِ المسلمين.. وكأنَّهُنَّ اليهود والنَّصارى وزبانية الشَّيطان.. يرتدينَ المايوهات والشُّورتات والضَّيق والقَصِير والمفتُوح والزَّاهي مِنَ المكياج والألوان.. جيلُ الأفلام والمسلسلاتِ.. وتَلىٰ ذلكَ الدّش والقنوات.. ثمَّ كانت قاصِمَةُ ظهرِ البعيرِ بالإنترنت ومطلق الإباحياتِ..

ذُهلْتُ.. دُهشْتُ.. سألت.. ما الخطبُ يا إخوان ؟ أجابوني بأنهنَّ السائرات علىٰ دَرْبِ الكافرات.. ولهنَّ مُقلِّدات.. وبالحجابِ من النَّاكرات.. وللحَرام من الدَّاعيات.. وللمجتمع مِنَ المغوياتِ.. هناك مَن أفتاهنّ وأكَّدَ لهنّ من علماءِ الاستعمارِ ـ لحاجةٍ في نفسِ يعقوب ـ بالكشفِ والسّفور والخروج والمسَاواة والمشاركةِ والمخالطةِ في الجامِعَةِ والمدرسةِ والشَّوارع والأنديةِ و.. إلخ!! تَرَحَّمتُ كثيراً علىٰ (الغرابيبِ أهل الخيام) رحمكنَّ اللهُ يا أمَّهاتِنَا وجداتِنَا وتذكرت قوله تعالىٰ في مَن قادَ هؤلاءِ النِّساء الطاهراتِ العفيفاتِ إلىٰ ما وَصلْنَ إليهِ مِن مُدَّعي العلم والفَتْوى في قولهِ تعالىٰ في سورة النحل آيـ٢٥ ـة : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

واسمحوا لي أن أوردَ لكم صورةً أوردها العضوُ النَّاشر في عالم بلا مشكلات تُبيِّن تَطوُّرات الوضع في هذه الرِّحلةِ:

وكلّ هذا الحالِ في بناتِ المسلمينَ في البلادِ العربيةِ كلِّها إنَّما كانَ غيضٌ مِن فيض - إلاَّ من رحم ربي - وإلاَّ فالخافي أدهَىٰ وأمر.. حيثُ ناهيك عَن العلاقاتِ المحرَّمةِ والزِّنا والسّحاق والشُّذوذ والغناء والطَّرب والتَّمثيل والرَّقص وأشياء كثيرة انتشرَت كثيراً وبِنِسَبٍ لم يسبق لها مثيلٌ..

أمَّا عن خروجِها وتَوظيفِها.. فَقَد ضَحِكَ عليها أربابُ المالِ أيما ضحكة بوظائِفَ تَافِهة يتقاضَينَ عليها ملاليم أو فِلْسات أو قُلْ دَراهِمَ مَعدودات مُقَابل الأموالِ الطائلة والكنُوز والأرصِدَة ومُدَّخرات.. يَجْنيها أصحابُ الأموال والأعمالِ مِن جرَّاء المتاجَرَةِ بِعرضٍ وسفُور وعطورِ بناتِ المسلمات.. وظَّفُوها في الرِّيسبشن.. عفواً أقصدُ الاستقبالَ.. لِتُرَحِّبَ وتُهَلِّل وتَسْتَقْبِل وتَفْتَح شَهِيَّةَ الرِّجال للحضُورِ.. ودَعُوها للتَّزين والتَّجملِ وأفهموها بأنَّها الوردة الأخّاذةُ التي يجبُ أن تكونَ مُلْكاً مشَاعاً وللكلِّ فيه نصيبُ الاستنشاقِ والاستِمْتَاع.. وصَفُوها بالتَّخَلُّفِ والرَّجعيةِ إنْ هي خَدَمَت وراعَت زَوْجَها ولكن في مقابِلِ ذلكَ لا بَأسَ أنْ تكونَ سكرتيرة تَخْدِمُ سَعَادَةَ المديرِ بكلِّ مَا تستطيع مِن إمكانات وطاقَاتٍ ومؤهلاتٍ وتوفير حياةٍ جميلةٍ مستقرةٍ منظمةٍ مرتبةٍ مرفهةٍ له ومَعَهُ.. وَوَصَفُوها بالتَّخلف والرَّجعية إن هي قامَت علىٰ شؤونِ ورعَايَة وَخِدْمَةِ بيتِها وأبنائِها ولكن لا بأسَ أنْ تخدُمَ في المطاعِمِ والطائِرَات والمستشفياتِ كعامِلَةٍ أو نَادِلَةٍ أو مُضيفَة أو أو..

خَدَعُوها بحكايةِ الجمالِ والأزياءِ والعُرُوض ومَلِكَاتِ الجمالِ وَوَفَّرُوا لها المجلات والأفلام والأغنيات ومَا تَدْري المسكينةُ أنَّها شاةٌ (غنمة أو عنزة) سمنُّوها

لكي يأتي العيدُ فَيَلْتَهِمُها الذِّئابُ.. ويلعبُ علىٰ أجسادِها الأوغادُ.. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم..

وحيثُ أنَّنا في رحلةٍ تُسَجِّلُ أحداثَ ووقائع نِسَائِيَّة هامَّة فلَعَلَّنا نختمُ جولَتَنا في الخليج بمشهدٍ عظيم قامَت بهِ امرأةٌ أمريكيةٌ أيضاً، عندما وَجَّهُوا لها دعوةً لتقديم محاضرةٍ عَن قِصَّةِ إسلامِها وتُلقيها في مسرح في مدينةٍ سعوديةٍ أمامَ فتياتٍ ونِسَاء البلدةِ.. دَخَلَت المرأةُ الأمريكيةُ مُنَقَّبةً نقاباً كاملاً ولم تكْشِف إلاَّ بعدَ أن تأكَّدت أنَّ القاعةَ خالية تماماً مِنَ التَّصوير ومِنَ الرِّجالِ فَتكشَّفَت وقالت لهم باختِصَار شديدٍ: «كانَ مفترضاً أن ألقِيَ عليكنَّ محاضرةً طويلةً إلاَّ أنني آثرتُ أنْ أختَصرَها في كلماتٍ معدوداتٍ وهي يُؤسِفُني أنْ أقولَ لَكُنَّ يا بَنَات المسلمينَ أنَّ البصقَةَ الَّتي بصقَها الغربُ لَعَقْتُمُوها أنتُم بكلِّ سَعَادَةٍ وَفَخْرٍ»

وختاماً - أختي - ابنَتي.. أرجُو أنْ تكونَ الرِّحلَةُ أعجبَتْكِ... وأن لا نكونَ قَد أثقلنَا عليكِ.. ولكن هَل رأيتِ كَم هي رحلة مثيرةٌ وغريبةٌ ولكنَّها مهمة جداً..

❖ ❖ ❖

حوارٌ بين مُتحَجِّبة وسافرة

محمَّد الخالد علوان:

شهدتُ ذات مرَّة حواراً جميلاً بينَ فتاةٍ مُتحَجِّبة مُتَّزنة ومتبرِّجـةٍ سَافِرَةٍ كـانت في غايةِ السّفور والجمالِ والفِتْنَةِ.. واستَمَعْتُ إلىٰ هذا الحوار بينهما:

(المتحجبة): لمـاذا تُسفرينَ عَن وجهكِ الجميلِ ولم لا تَصونينَ هـذا الحُسنَ والبهاءَ عَن نظرات العيونِ وغمزاتِ الجفونِ؟

(السـافرة): لأنَّ الحجابَ يحجبُ عَن محياي النُّورَ والضِّياء ولا يـأذنُ لي أن أمَتِّعَ نَاظري بما أبدَعَ اللهُ سبحانَهُ مِنَ المحاسِنِ والجمالِ وإنَّ العينَ تَـودُّ رُؤيَـةَ هَـذا الكونِ الفسيح علىٰ صورتِهِ الخلاَّبةِ المضيئةِ لا مِن وراءِ حِجَابٍ.

(المتحجبة): أمَا عَلِمْتِ بأنَّ السّفور والتَّبرج وإظهار المحاسِن للغَـير يجعـلُ العيونَ تَخْتَلِسُ بعضَ النظراتِ منها البريئةُ والسَّاذجةُ ومنها الماكرةُ والفاجرةُ وأنَّ النَّظَرَ سهمٌ مِن سهام إبليسَ وأنَّ كلَّ الحوادثِ مَبدأها مِنَ النَّظر.

(السافرة): ولِمَ لا يَغُضُّ الرِّجالُ أبصـارَهُم عَن رؤيتِنَا والنَّظر إلىٰ محاسِنِنَا، ألم يُؤمَرُوا بِغَضِّ الطَّرفِ عنَّا في محكم التَّنزيل؟

(المتحجبة): نعم لقـد أُمِروا بغضِّ البصرِ عَن رؤيتنا كمـا أُمِرنا نحنُ مَعْشَرَ النساءِ بغضِّ الطَّرْفِ عَن الرِّجالِ إذا خِفْنَا علىٰ أنْفُسِنَا منهم الفِتْنَةَ.

(السافرة): إذاً لماذا لا يَتحَجَّبُونَ عنَّا كما نَتحَجَّبُ عنهم؟

(المتحجبة): لأنَّ الشريعةَ لم تأمرهُم بالحجابِ.

(السافرةُ): أليسَ هناك مِن تعليل لذلكَ أو حكمَةٍ؟

(المحجبة): نعم، لأنَّ هناك فَرْقاً دقيقاً بينَ نظَرِ النِّساء إلىٰ الرِّجال ونَظَرِ الرِّجال إلىٰ النِّساء مِن حيثُ الخصائِص النَّفسية للصِّنفين وذلكَ لأنَّ في طبيعة الرَّجُل الإقدام فهو إذا أحبَّ شيئاً يَسْعَىٰ إلىٰ إحرازِهِ والوصولِ إليهِ ولكن في طبيعَةِ المرأةِ التَّمنُّع والفِرار لحيائها..

ولأنَّ الرَّجُلَ هو المعوَّل عليهِ بالدَّرجَةِ الأولىٰ في خوضِ غِمَارِ الحياةِ، وهو المكلَّف الأوَّل في كسبِ الرِّزقِ.. أمَّا المرأةُ فَتبْقَىٰ في خِدْرِها مصونةً مكرَّمَةً وحَسْبُها تربيةَ أطفَالِها وتَنْشِئَتَهُم النَّشأَةَ الفاضلةَ إلاَّ إذا اضطرت إلىٰ العملِ في مجالٍ يَتَنَاسَبُ مَع فِطْرَتها وأنوثَتِها ولا تَخْتَلِطُ في عَمَلِها.

وكذلك فإنَّ المرأةَ بطبيعَتِها الفطرية تَتَّصِفُ بالأنوثةِ والفِتْنَةِ والرِّقَّةِ واللَّطافةِ ومحاسنِ الأعضاءِ وتناسقِها وهي ما لم يحظ بها الجنسُ الآخرُ، وهذهِ المحاسنُ وغيرُها قد جعَلَت الجنسَ الآخرَ يميلُ إلىٰ رؤيتِنَا. لذا أمَرَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنْ نَحْتَجِبَ عَن الرِّجالِ الأجانبِ حتَّىٰ نحفظَ أنْفُسَنَا عَن أبصارِهِم وتَتَوارَىٰ مَحَاسِنُنَا عَن عُيُونِهِم وقَد أحلّ لنا إبراز بَعْضِ محاسِنِنَا لمحارِمِنَا أمَّا جميع هذه المحاسِنِ والمفاتِن فهي لأزواجِنَا وأزواجنا فَقَط.

(السافرة): إنَّكِ تَتَحَدَّثِين عَن محاسنِ النِّساءِ كأنَّ جميعَ بناتِ حَوَّاء ملكات للجمالِ أو هنَّ كأحْسَنِ مَا خَلَقَ اللهُ وأبْدَعَ، فالحسنُ مُقَسَّمٌ بدرجاتٍ متفاوتةٍ بين النساءِ، وإنَّ كثيراً مِنْهنَّ لا يَلْفِتْنَ النَّظَرَ ولا يأبىٰ لهنَّ أحدٌ.

(المتحجبة): ألم تَسْمَعِي قولَ اللهِ تَعالىٰ وهو يصفُ مكْرَ النِّساءِ وكَيدَهُنَّ قَالَ تعالىٰ: ﴿إنَّ كيدكُنَّ عظيمٌ﴾ فالمرأةُ تحبُّ أنْ تَلْفِتَ النَّظَرَ إليها بكلِّ وسيلةٍ - إلاَّ مَن رَحِمَ اللهُ - فهذه تُبْدِي ذِرَاعَها العارِيَةَ ثمَّ تُسْدِل عليها العباءَةَ أو الرِّداءَ وتِلْكَ

تبرقُ بوجهِها ثمَّ تَسْتُرُهُ في مكرٍ وخِداعٍ، وأخرَى تَتَعطَّر بما يثيرُ مِن أذكَىٰ الرَّوائح وأعبَقِها، وغيرُها تَرْتَدِي الألبسةَ الشَّفَّافَةَ وأمَّا «المكياج» فإنَّه يزيدُ مِن محاسنِ الحسناءِ كما أنَّهُ يسترُ بعضَ مَعايبِ الشَّوهاءِ.

(السافرة): إذاً المكرُ في النِّساءِ أو في بَعْضِهِنَّ فما ذَنْبُ الشَّبابِ إذا نَظَرُوا للنساءِ العابراتِ؟ لماذا لا تَظُنِّينَ فيهم بعضَ البراءةِ وسَلامَةَ القَصْدِ ولا تَعْتَقِدينَ فيهم إلاَّ الظنَّ السُّوءَ؟

(المتحجبة): في الحقيقةِ إنَّ المكرَ مشتَرَكٌ بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ وربما كانَ في الرِّجالِ أقوى وأظهَر. ألم تَسْمَعِي بتجارةِ الرَّقيقِ الأبيض - أي النِّساء - فهناك بعضُ الرِّجال الَّذين يُزَيِّنونَ لمعظم الشباب محاسِنَ النِّسَاءِ ومفاتِنهنَّ فهؤلاءِ الرِّجَال الَّذين لعبت الغِوايَةُ بعقولِهم يعرفونَ كيفَ يعبثونَ بعقولِنا وأفئِدَتِنا وكيفَ يخدَعُونَنَا بالأصفرِ الرَّنانِ ليستَغلُّوا جَمَالَنا ومفَاتِنَنَا وسذَاجَتَنَا وغُرُورَنَا باسم الفَنِّ تارةً وباسم التَّمثيل أو الغِنَاءِ والتَّقَدُّم تارةً أخرى.

(السافرة): وما نصيبُ هذه الكلماتِ مِن الصِّحةِ؟

(المتحجبة): أما تُصَدِّقِين؟ فكِّري ملياً وانظري: لماذا مُسَابَقات مَلِكَاتِ الجمالِ؟! ولماذا عارضَات الأزياءِ والمجلات الفَاجِرَة، والأفلام الدَّاعِرَة، والأغاني الماجِنَة، والنوادي المستهترة؟! كم هناكَ مِن السَّاقطات المائلاتِ المميلاتِ الكاسيات العارياتِ سُلِّطَت عليهنَّ الأضواءُ فَدَخَلْنَ الشّهرةَ مِن أوسع الأبوابِ ونُعِتْنَ زُوراً وبهتاناً بالفَنَّاناتِ أو الكَواكِبِ والنُّجوم وهنَّ قد خَلَعْنَ رداءَ الحياءِ ولَبِسنَ ثوبَ الغوايةِ والانحرافِ.

(السافرة): ثمَّ ماذا بعدَ التَّهجُّم علىٰ الفنانات والفنونِ والكواكِبِ والنُّجُوم؟

(المتحجبة): إنَّ تِلْكَ المحاسن والمفَاتِن لهؤلاءِ وغيرهنّ يتوَارَى بريقُها يوماً بعدَ يوم والعُمْرُ يَتَنَاقَصُ حتىٰ يَنْتَهِي إلىٰ حفرةِ القَبْرِ، فكم ضَمَّت هذهِ الأرضُ مِن وجهٍ جميل وعُنْقٍ أغيد، وخَدٍّ أسيل. وكم تَحْتَ التُّرابِ مِن قُدُودٍ وخُدُودٍ، وكم غيَّبَ الثَّرَى من شعورٍ وثُغُور.

أينَ هي الآن؟ لَقَد فتَّتَها البِلىٰ وأهلَكَها الفناءُ وأكلَتْها الدِّيدانُ وأصبَحَت في عالم النِّسيان وهي تَنْتَظِرُ الحسابَ مِنَ اللهِ الواحِدِ الدَّيَّان. أينَ ليلىٰ وبُثَينَة وعزَّة وولادة؟ بَل أينَ مَا خرَّجت (هوليود) وكانَ أمثال «مارلين مونرو» وغيرها مِن بناتِ الهوى، لَقَد أصبَحْنَ جميعاً في خبرِ كَانَ.

(السافرة): ألهذا الفناءِ المخيفِ تؤُولُ إليهِ أجسادُنَا الغضَّة الطَّرية وهذا مصيرُ حُسْنِنَا وجمَالِنَا الفتَّان؟! أحسُ قلبي يَرْتَجِفُ لتلك الكلماتِ المؤثِّرةِ وأنَّ فرائِصِي لَتَرْتَعِدُ خوفاً مِن هَذا المصير و.. و..

(المتحجبة): أرى عبراتكَ تَسِيلُ علىٰ خَدَّيكِ والمحُ لِسَانَكَ وقَد تَلَعْثَمَ عَن تَتِمَّةِ الكلماتِ مَاذا.. مَاذا.

(السافرة): اللَّهمَّ إني أتوبُ إليكَ عن تقصيرٍ قَد بدا مِنِّي وإنِّي سَأسْتُرُ مَا وَهَبَنِي اللهُ مِن حُسْنٍ وجمالٍ لأنِّي كنتُ أعاني بعضَ الشيءِ مِن مشاكسَةِ بعضِ الشَّبابِ العابِثِ وأضيقُ بهم ذرعاً وإنِّي لا أحبُّ أن أضيقَ بهم ذرعاً في الدُّنيا وألقىٰ الحسابَ العسيرَ في الآخرةِ. وجزاكِ اللهُ عَن نصيحتي خيرَ الجزاءِ وأرجو أنْ نَذْهَبَ غداً سوياً لشراءِ ما يَسْتُرُ وَجْهِي إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ.

(المتحجبة): الحمدُ للهِ.. الحمدُ للهِ الَّذي نَصرَ الحقَّ وَخَذَلَ الشَّيطانَ.

بدت خجلى

بَـدَت خَجْلَـىٰ يُوشِّـيها الخمـارُ ... كلؤلـؤةٍ يُـظَلِّلُها المحـارُ
بَدَت والسَّمتُ يَقْطُرُ مِن خُطاها ... وقـد حلَّـىٰ شَـمَائِلَها الوقـارُ
عبيرُ الطُّهرِ يعبقُ مِن شَـذَاها ... ويـبرُقُ فـوقَ مَطلَعِـها الفخـارُ
ريـاحُ الخيرِ تعصـفُ في سَـمَاها ... فَتَسْـقي أرضَـها الدّيـم الغـزارُ
حَصَـانٌ نـوَّر الدِّيـن سُـرَاها ... فلـم يَعْـرف لمسـراها العِثـارُ
مَضَت في الخيرِ لم تكبُو خُطاها ... ومـا أَلْـوَت بـها الفِتَـنُ الكبـارُ
قَـد انْتَهَجَـت كتـابَ اللهِ هَدْيـاً ... فَنِعْـمَ الهـديُ فيـهِ والمنـارُ
ريـاضُ العِلْـم تُثْمِـرُ فـي رُباهـا ... ألا طابَـت بِمَرْبَعِـها الثمـارُ
أقضَّت مَضْجَع الأوغادِ حتَّىٰ تقا ... ذفَ مِـن عيونِهـم الشّـرارُ
رأوها والخمارُ يسيلُ طُهراً فحا ... كُـوا المكـرَ كـي يُرْمَـىٰ الخمـارُ
وجاؤوا يبسمونَ بنابٍ شرٍّ وخَلْـ ... ـفَ ظُهُورِهِـم فتـنٌ تُـدارُ
وقـد حـاكُوا المكـائدَ في عُلاهـا ... عَسَـىٰ أن يسـتبدّ بهـا الصَّغـارُ
يصوغـونَ الضَّـلالَ بثـوبِ حـقٍّ ... ودَعْـوَى الرَّاحمـونَ لهـم شعـارُ
فكـم نَعَقُـو بتحريـرِ الصَّبايَـا ... لـتُرمىٰ بـينَ مَـن ضَلُّـوا وحـارُوا
وكـم زَرَعُـوا الخنَـىٰ في كـلِّ دربٍ ... لِتَهلِـك مـن بوارقـه الديـارُ
فكوني يَـا فتـاةَ الخيـرِ دِرْعـاً ... لأُمَّتِنَـا إذا حَـلَّ الدَّمـارُ
وكوني للـهدَى حِصْنـاً منيعـاً ... إذا مـا اشـتَدَّ في البلـوى السُعَـارُ
فإنَّـا إنْ تَمَسَّكنـا بِهَـدي ... فكيدُهُـمُ سَيَمْحَقُـهُ البـوارُ

حوار بين العباءة الحديثة والعباءة المحتشمة

(العباءة الحديثة): أيتها الباليةُ ويا بقية القُرون الخالية.. أما آنَ لكِ أنْ تَرْحَلِي عنَّا لم نَعُد نطيقُكِ فقد مَلَلْنَاكِ، جَرَفَتْكِ الموضَة إلىٰ بئرٍ عميقٍ ووادٍ سحيقٍ.. عَزَفَت عنكِ النِّساءُ فليس فيكِ إغراء.

(العباءة المحتشمة): تُسَمِّي نفسَكِ حديثةً وأنت دعيَّةً خبيثةً.. دَسَّتك بيننا أيدِ خبيثة جعلتكِ لشهواتِها مطيَّة.. أنزلُوكِ عن الرؤوسِ إلىٰ الأكتافِ ثمَّ جعلوكِ من قماشٍ شفَّاف وقالوا.. لا ضَيرَ ما دامَ في القَلْبِ عَفَاف.

(العباءة الحديثة): أمَّا أنتِ فلم نَعُد نراكِ إلاَّ علىٰ رؤوسِ العجائزِ أو ظهور الجنائزِ، هَجَرَكِ بناتُ هذا الزَّمان الرَّيان، ذواتِ العِقْدِ الفتَّان والحذاءِ الرَّنانِ لا مكانَ لكِ في عصرِ الحريةِ إنَّكِ رمزُ الرَّجعيةِ وعنوانُ الهمجيةِ.

(العباءة المحتشمة): يا خبيثَة نَقَشُوا منك الأكمام وزَيَّنُوكِ مِنَ الأمام، جَعَلُوكِ في أيديهم ألعوبَة وفي كلِّ يوم لكِ أعجُوبَة.. فلستِ ستراً لكلِّ حَصَان بل أنتِ فتنةُ هذا الزَّمانِ ورمزٌ للفسوقِ والعصيانِ. يا داعيَةَ السّفور وبريدَ الفجورِ يا لعنَةَ كلِّ العصورِ، حامَت حولكِ العيون وطَمِعَ فيكِ كلُّ مفتون.

(العباءة الحديثة): (تضحك) ها قَد طَرَقْتُ كلَّ بَابٍ ولَبِسَتْنِي كلُّ كعاب فَسَحرتُ الشَّبابَ وسَلَبْتُ الألبابَ ضَيَّقت عليكِ الخنَاق، فكَسَدتِ في الأسواق.

(العباءة المحتشمة): يا لعينة كَم هتكتِ للبيوتِ مِن سترة.. وجَرَرْتِ للخزي مِن حرَّة.. كم أهَجْتِ مِن عبرة، وغَرزتِ مِن إبرة.. وكسرتِ مِن جَرَّة.. زَرَعتِ فينا

الإسفافَ، وقَوَّضتِ أركانَ العفافِ يا فتنةً عَصِيَّة يا شرَّ بلية، تَزْعُمينَ أنَّكِ عصريَّة وتَرمزينَ للحرِّية ستعلمينَ غداً إذا نَزَعُوكِ بالكليةِ فليس في حُرِّيتِهم عباءة، إنما هي عريٌ ودناءة.

(العباءة الحديثة): يا باليةً غداً أراكَ تُقبرينَ وإلىٰ غيرِ رجعةٍ ترحلينَ فمصيركِ في هذا الزَّمانِ الفنَاء، فعبثاً تحاولينَ البقاءَ، يا لونَ الخنفُسَاء يا شكْلَ الخباء.

(العباءة المحتشمة): وأنتِ لا شكلَكِ المحبوكِ ولا ستركِ المهتوكِ يُرضي لهم أيَّ صُعلوك، وسيجرفكِ سَيلُ الحضارةِ ليجعلَ مكانَكِ نضارَة تَقِي شُعَاعَ الشمس وتصبحينَ حديثَ الأمسِ.. هذا حَالُكِ مع أصحابِك، أمَّا أصحابي فَلا يَرْضَونَ سواي بدلاً ولا يَرْضَونَ عنِّي حولاً.

(العباءة الحديثة): يا قديمة ليسَ فيكِ مِنَ الذَّوق لمسةٌ ولا مِنَ السِّحرِ هَمْسَة ألا ترينَ تَعَدُّدَ ألواني وأنواعي وإقبال البناتِ علىٰ إغرائي وإبداعِي؟!

(العباءة المحتشمة): أتُعيِّرنني بأني كاسِدَة وأنا حجابُ كلِّ عَابِدَة، صَمَّمَتكِ أفكارُ الشيطانِ فأبعدَتْكِ عَن هدي القرآن.. أنتِ بنتُ دورِ الأزياءِ وأنا وليدةُ عصرِ الطهرِ والنَّقاء.

(العباءة الحديثة): أرى أن لابستَكِ تَجُرُّكِ جَرّاً وتزيدينها مِنَ الحَرِّ حَرّاً وتُضِيفين إلىٰ عمرها من السِّنين عشراً.

(العباءة المحتشمة): تقولينَ إني أُجَرُّ جرّاً هل غابَ عنكِ الحديث «يرخينَ شبراً» وتشتكين الحرَّ واللهُ تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾.

(العباءة الحديثة): أرضيتُ كلَّ الأذواقِ وكَشَفْتُ جمالَ الأعناق.. أبْدَيتُ المليحَ وسَتَرْتُ القبيحَ فَلَو لبستني قِرْدَة أصبحَت كالوردَة.

(العباءة المحتشمة): أنت في شرعنا حرامٌ وليسَ لك بيننَا مقامٌ وإن تَسَابَقَت إليكِ الفتياتُ كما إلىٰ النَّار الفَراشات.

(العباءة الحديثة): لا تَعجبي غداً إنْ تركوكِ أو حتَّىٰ مَزَّقُوكِ لأنَّ بقاءك محالٌ ولا تَصلُحين علىٰ أية حَال فَارحلي بسلام أو انتَظِري الموتَ الزؤام.

(العباءة المحتشمة): إنَّك زيفٌ بَاطل لا محالة زَائل يا شكلَ الغرابِ يَا أحْقَر مِنَ الذُّباب.. يا فريسةً سهلةً للذئابِ لو كانَ الأمرُ بيدي أحرقتُكِ وفي النِّيران سَعَّرتُكِ فَاعرفي قَدْرَكِ أراني اللهُ عَن قريبٍ قَبْرَكِ.

❖ ❖ ❖

حجاب النفاق

إنَّ بعضَ النِّساءِ المسلماتِ مَن يَسْتَعْمِلنَ النفاقَ في الحجابِ فإذا كُنَّ في مُجْتَمع يلتزمُ الحجابَ احتَجَبْنَ، وإذا كنَّ في مجتمع لا يَلْتَزِمُ بالحجابِ لم يَحْتَجِبنَ.

ومنهنَّ مَن تَحْتَجِبُ إذا كانَت في مكانٍ عام وإذا دَخَلت محلاً تجارياً، أو مُسْتَشْفَىٰ، أو كانَت تكلِّم أحدَ صاغَةِ الحليِّ، أو أحدَ خياطي الملابِس النِّسائية كَشَفَت وَجْهَها وذراعيها كأنَّها عندَ زوجِها أو أحدٍ مِن محارِمِها.

فاتَّقِين اللهَ يَا مَن تَفعَلْنَ ذلك.

ولقد شاهدنا بعضَ النِّساء القادماتِ في الطائراتِ مِن الخارج إلىٰ بلادِ الاصطيافِ عندنَا بِدِمَشق، ينزَعْنَ الحجابَ بمجرَّدِ وصولهنَّ إلىٰ تلكَ البلاد، ولا يَحْتَجِبْنَ إلاَّ عند هبوطِ الطائرةِ عندَ عودتِهنَّ إلىٰ بلادِهنَّ، وكأنَّ الحجابَ صارَ مِنَ العاداتِ لا مِن المشروعاتِ الدِّينيةِ.

أيتها المسلمةُ: إنَّ الحجابَ يَصُونَكِ ويحفَظُكِ مِنَ النظراتِ المسمومَةِ الصَّادرةِ مِن مَرضىٰ القلوبِ وكلابِ البَشَرِ، ويَقْطَعُ عَنْكِ الأطماعَ المسعورةَ، فَالزميه، وتَمَسَّكي بهِ، ولا تَلْتَفِتي للدّعايات المغرضَةِ التي تحاربُ الحجابَ أو تُقلِّل مِن شَأنِهِ، فإنَّها تريدُ لكِ الشَّرَّ كما قالَ اللهُ تعَالىٰ في كتابهِ العزيز: ﴿.. وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيلاً عَظِيماً﴾ [النساء:٢٧].

❖ ❖ ❖

خروج المرأة إلى المسجد

إنَّ المرأةَ إذا خرَجَت إلى المسجدِ للصَّلاةِ فلا بُدَّ مِن مراعاةِ الآدابِ التالية:

١- أن تكونَ مُتَسَتِّرة بالثيابِ والحجابِ الكامِل: قَالَت عائشةُ رضي اللهُ عنها: «إنَّ نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ كُنَّ يُصَلِّينَ الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَرْجِعْنَ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، لا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ». [متفق عليه].

٢- أنْ تَخْرُجَ غيرَ مُتَطَيِّبة: لقولِهِ ﷺ: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلاَتٌ». [رواه احمد، وأبو داود]. ومعنىٰ «تفلات» أي غير مُتَطَيِّبات.

وعَن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرأَةٍ أَصَابَتْ بَخُوراً فَلا تَشْهَدْ مَعَنا العِشاءَ الآخِرَةَ». [رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي].

٣- ألا تخرج مُتَزَيِّنة بالثيابِ والحُلِيِّ: قَالَت عائشةَ رضي الله عنها: «لَوْ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قَالَ: فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْجِدَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. [متفق عليه].

٤- أن تمشي علىٰ حافاتِ الطريق، لا وسطهُ، روى أبو داود عَن أَبِي أُسَيدٍ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْصَقُ بِالْجِدَارِ حَتَّىٰ أَنَّ ثَوْبَها لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِها بِهِ.

٥- وإن كانَت المرأةُ واحدةً صَفَّت وَحْدَها خَلْفَ الرِّجال لحديثِ أَنس رضي الله عنه

حينَ صَلَّىٰ بهم رسولُ اللهِ ﷺ قالَ: إنَّ جدَّتَهُ دَعَت رسولَ اللهِ ﷺ لطعام، فأكلَ ثمَّ قَالَ: «قُومُوا فَلْنُصَلِّ بكم». قالَ أَنس: فَقُمْتُ إلىٰ حَصيرٍ لنا قد اسودَّ مِن طوال ما لُبِسَ فنضحتُهُ بماءٍ، فقَامَ عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ. قَال: فَصَفَفْتُ أنا واليتيم وراءه والعجوزُ وراءنا، فَصَلَّىٰ بِنَا ركعتينِ ثم انْصَرَفَ. [رواه مالك].

وإن كانَ الحضورُ مِنَ النِّساء أكثر مِن واحدةٍ فإنَّهُنَّ يَقُمْنَ صفاً أو صفوفاً خَلْفَ الرِّجال، لأنَّهُ ﷺ كانَ يجعَلُ الرِّجال قُدَّام الغِلْمَان، والغِلْمَان خَلْفَهُم، والنِّساء خَلْفَ الغِلْمَان [رواه أحمد]

ففي الحديثِ دليلٌ علىٰ أنَّ النِّساء يكنَّ صفوفاً خلفَ الرِّجال، ولا يُصَلِّين متفرقَات إذا صَلَّينَ خَلْفَ الرِّجالِ، سواء كانَت صلاة فريضةٍ أو صلاة تَراويح أو كسوف أو صلاة عِيدٍ أو صلاة جنازةٍ.

٦- إذا سها الإمامُ في الصَّلاة فإنَّ المرأةَ تُنَبِّه بالتَّصفيق ببطنِ كفِّها علىٰ الأخرَىٰ ولقولِهِ ﷺ: «إذَا نَابَكُمْ شَيءٌ في الصَّلاَةِ فَلْيُسَبِّح الرِّجَالُ وَلْيُصَفِّح النِّسَاء» [البخاري] وهذا إذنٌ إباحةٍ لهنَّ في التَّصفيق في الصَّلاة عند نائبةٍ تنوبُ ومنها سَهْوُ الإمام وذلكَ، لأنَّ صوتَ المرأةِ فيه فِتْنَةٌ للرِّجَالِ فَأُمِرَت بالتَّصفيق ولا تَتكَلَّم.

٧- إذا سَلَّمَ الإمامُ بَادَرت النساءُ بالخروج مِنَ المسجدِ، وبقيَ الرجالُ جالسين: لئلا يُدْرِكُوا مَن انصرَفَ منهنَّ لما روت أمُّ سَلَمَةَ قَالَت: «إنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِن المَكْتُوبَةِ قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّىٰ مِن الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ الرِّجَال» [رواه البخاري].

ومما سَبَقَ يُعْلَمُ تَحريمُ الاختلاطِ بينَ الرِّجالِ والنِّساء.

وإذا كانَ الاختلاطُ ممنوعاً في موضعِ العبادَةِ فغيرُهُ مِن بابِ أولىٰ والله أعلمُ.

جارتي في الطائرة

حينَمَا جَلَسْتُ في المقْعَدِ المُخصَّص لي في الدَّرجةِ الأولىٰ مِنَ الطائرةِ الَّتي تَنْوي الإقلاعَ إلىٰ عاصمةِ دولةٍ غربية، كـانَ المقعدُ المجاورُ لي من جهةِ اليمين ما يزالُ فارغاً، بل إنَّ وقتَ الإقلاع قَد اقتربَ والمقعدُ المذكورُ ما يزال فارغاً، قلتُ في نفسي: أرجو أنْ يَظَلَّ هذا المقعدُ فارغاً، أو أن يُيَسِّرَ اللهُ لي فيه جاراً طيِّباً يُعينُني علىٰ قَطْع الوقت بالنَّافع المُفيدِ، نَعَم إنَّ الرحلَةَ طويلة.. وسَوفَ تَسْتَغْرق سَاعات يمكِنُ أنْ تَمْضِي سريعاً حينَمَا يُجَاورُكَ مَن تَرْتَاحُ إليهِ نَفْسُكَ، ويُمكِنُ أن تَتَضَاعَف تِلْكَ السَّاعَات حينَمَا يكونُ الأمرُ علىٰ غير مَا تُريد!

وقُبيلَ الإقلاع جاءَ مَن شَغَلَ المَقْعَدَ الفَارغ.. فَتَاةٌ في مَيعَةِ الصِّبا، لَم تَسْتَطع العباءةُ الفضفاضَةُ السَّوداءُ ذات الأطرافِ المزيَّنة أنْ تُخْفِي ما تَميَّزَت بهِ تلكَ الفتاةُ مِنَ الرِّقةِ والجمَال.. وفوقَ ذلكَ كانَ عِطرُها فوَّاحاً جداً، بحيثُ إنَّ أعْيُنَ الرُّكَّابِ في الدَّرجةِ الأولىٰ قَد اتَّجهَت إلىٰ مَصْدَرِ الرَّائحةِ الزَّكيَّةِ، لقَد شَعَرْتُ حِينَها أنَّ مقعدي ومَقْعَد مُجَاورتي أصبَحَا كَصُورتَين يُحيطُ بِهِمَا إطارٌ منضُودٌ مِن نَظَرَاتِ الرُّكابِ..

وحينمَا وَجَّهْتُ نظري إلىٰ أحَدِهِم.. رأيتُه يُحَاصِرُ المكانَ بِعَينَيهِ، ووَجْهِهِ يكَادُ يقولُ لي: (لَيتَنِي في مَقْعَدِكَ..) كنتُ في لحظتِها أتَذَكَّرُ قولَ الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّهُ قال: «طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ». [رواه الترمذي].

ولا أدري كيفَ استطعتُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ أنْ أتَأمَّل مَعَانِي هَذا الحديثِ الشَّريف، لقد تساءلتُ حينَها (لماذا يكونُ طيبُ المرأة بهذهِ الصِّفَةِ؟) فكَانَ الجوابُ

واضحاً في ذِهْنِي مِن قَبْلُ، إنَّ المرأةَ لزَوْجِها، وليسَت لِغَيرِهِ مِنَ النَّاس، ومَا دامَت له فإنَّ طيبَها ورائِحَةَ عِطْرِها لا يَجُوزُ أن يَتَجاوَزَهُ إلىٰ غيره، كانَ هَذَا الجوابُ واضحاً، ولكن ما رأيتُه مِن نَظَرات رُكَّاب الطائرة التي حاصَرَت مقعَدِي ومقعد الفَتَاه، قَد زادَ الأمرَ وضوحاً في نَفْسِي وسألت نَفْسِي، يا تُرَى لَو لم يَفُحْ طِيبُ هذه الفتاة بهذِهِ الصُّورة التي أفعمت جَوَّ الدَّرجة الأولىٰ من الطائرةِ، أكانَت الأنظارُ اللاَّهثةُ سَتَتَّجِهُ إليهَا بهذِهِ الصُّورةِ؟

وما هي إلاَّ لحظات حتَّىٰ جاءت «خادمة الطائرة» بالعَصِير، فَأخَذَت الفتاةُ كأساً مِن عصيرِ البرتقال، وقدَّمته إليَّ.. فسارعتُ إلىٰ تَناولهِ شَاكِراً لها.. وقَد فَاجأني هذا الموقف، ثمَّ إنَّني شَربتُ العصيرَ وأنا ساكتٌ، ونظراتُ ذَلِكَ الشَّخص ما تَزالُ تُحَاصِرُني، وجَّهت إليهِ نَظَري ولم أصْرِفْهُ عنه حتىٰ صَرَفَ نَظَرَهُ حياءً - كما أظن - ثمَّ اكتَفَىٰ بعدَ ذلكَ باختلاس النَّظرات إلىٰ الفتاةِ المجاورة، ولما أصبح ذلك دَيدَنَه، كَتَبْتُ لهُ قُصاصَةً صغيرةً (ألَم تَتْعَب مِن الالتِفَاتِ؟) فلم يلتَفِت بعدها.

وعندما غاصت الطائرة في السَّحَاب الكثيفِ بَعْدَ الإقلاع بدقَائِق مَعْدُودات اتَّجهَ نظري إلىٰ ذلك المنظر البديع، سبحانَ اللهِ العظيم، قُلْتُها بصوتٍ مُرْتَفع وأنَا أتأمَّلُ تلكَ الجبال الشَّاهقَة مِنَ السُّحُب المُتراكِمَةِ الَّتي أصبَحْنَا نَنْظُرُ إليها مِن مكانٍ مُرتَفِع، فقَالَت الفتاةُ التي كانَت تَجلِسُ بِجوارِ النَّافِذَة: إي والله سبحانَ الله العظيم، ووجهتْ حديثها إليَّ قائلةً: إن هذا المنظر يثيرُ الشَّاعريَّةَ الفَذَّةَ، ومن حُسْنِ حَظِّي أَنَّنِي أجاورُ شاعراً يمكِنُ أن يَرْسُمَ لَوْحَةً شِعْرِيَّةً رائعةً لهذا المنظر..

لم تكن الفتاةُ وهي تقولُ لي هذا علىٰ حَالَتِها التي دخلَت بها إلىٰ الطائرة،

كلاَّ.. لقد لَمْلَمَت تلكَ العباءةَ الحريرية، وذلكَ الغِطَاء الرَّقيق الَّذي كانَ مُسْدَلاً علىٰ وَجْهِها ووضعتهما داخلَ حقيبتها اليَدَويَّـةَ الصَّغيرة، لقد بدا وجهُها ملوَّناً بألوانِ الطيف، أمَّا شَعْرُها فيبدُو أَنَّها قد صفَّفَتْهُ بطريقة خاصَّةٍ تُعْجِبُ النَّاظرين..

قلت لها: سبحانَ مَن علَّم الإنسانَ مَا لَم يَعْلَم، فلولا مَا أتاحَ اللهُ للبشَرِ مِن كُنُوز هذا الكون الفَسِيح لَمَا أتيحَت لنا رؤيَةُ هذهِ السُّحُب بهذهِ الصُّورة الرائعة..

قالت: إنَّها تَدُلُّ علىٰ قُدْرَة اللهِ تَعَالىٰ..

قُلْتُ: نَعَم تَدُلُّ علىٰ قُدْرَة مُبْدِع هَـذا الكونِ وخَالِقِهِ الَّذي أودعَ فيهِ أسْراراً عظيمةً، وشرعَ فيه للنَّاس مبادئَ تَحْفَظُ حياتهم وتُبَلِّغَهم رضىٰ ربِّهم، وتُنَجِّيهِم مِن عَذَابِهِ يَومَ يقومُ الأشهاد.

قالت: ألا يمكن أنْ نَسْمَعَ شيئاً مِنَ الشِّعر فإنِّي أحبُّ الشِّعْرَ وإنَّ هذه الرِّحلَةَ ستكونُ تاريخيةً بالنِّسبة إليَّ، ما كُنْتُ أحلُمُ أنْ أسمعَ مِنْكَ مُبَاشَرَةً..

لَقَد تمنَّيتُ من أعماق قَلْبي لو أنَّها لم تَعْرِف مَنْ أنا لَقَد كانَ في ذِهْني أشياءَ كثيرة أريد أن أقولها لها.

سكتُّ قليلاً.. وكنتُ أحاورُ نَفْسِي حِواراً داخلياً مُرْبكاً، ماذا أفعل، هَل أبدأ بنصيحةِ هَذِهِ الفتاة وبيان حَقِيقَةِ مَا وَقَعَت فيه من أخطاءٍ ظاهرة، أم أتركَ ذلك إلىٰ آخر المطاف؟

وبعْدَ تَرَدُّد قصيرٍ عزَمْتُ علىٰ النَّصيحَةِ المباشَرَةِ السَّريعة لتكونَ خاتِمَةَ الحديث معها. وقبلَ أنْ أتحدَّث أخرجَت من حقيبتها قُصاصَاتٍ ملوَّنة وقالت: هذه بعضُ أوراقٍ أكتبها، أنا أعلَمُ أنها ليسَت علىٰ المُسْتَوى الَّذي يُنَاسِبُ ذوقك، ولكِنَّها خواطر عَبَّرْتُ بها عَن نَفْسِي..

وَقرأتُ القُصَاصَات بعنايةٍ كبيرةٍ، إنِّي أبحثُ فيها عَن مِفْتَاح لِشَخْصِيَّةِ الفَتَاة.. إنَّها خواطر حَالِمَة، هي فتاةٌ رقيقَةُ المَشَاعِر جداً، أحلامُها تَطْغَىٰ علىٰ عَقْلِها بِشَكْلٍ واضح، لَفَتَ نَظَري أَنَّها تَسْتَشْهِدُ بأبياتٍ مِن شِعْري، قُلْتُ في نَفْسي: هذا شيء جميلٌ لَعَلَّ ذلكَ يكونُ سبباً في أن يَنْشَرِحَ صَدْرُها لَمَا أريدُ أنْ أقولَهُ لها..

وبَعْدَ أن قَرأتُ القصاصاتِ عَزَمْتُ علىٰ تأخير النَّصيحَةِ المباشرة وسَمَحْتُ لِنَفْسِي أنْ تَدْخُلَ في حِوَارٍ شامِلٍ مَع الفتاة..

قلتُ لها: عباراتُك جميلةٌ منتَقَاة، ولكنَّها لا تحمل معنًىٰ ولا فِكْرَةً كما يبدو لي، وبصراحةٍ لَم أفْهَم مِنْها شيئاً، فَمَاذا أَرَدْتِ أن تَقُولي..؟

بَعْدَ صَمْتٍ قالت: لا أدري ماذا أردتُ أن أقولَ، إنِّي أشْعُرُ بالضِّيق الشَّديدِ، خاصَّةً عندما يُخَيِّمُ عليَّ اللَّيلُ، أقرأُ المجلات النِّسَائية المختلفة، أتأمَّل فيها صُورَ الفنَّانات والفنَّانين، يُعجبني وَجْه فلانه، وقامَة فُلانة، وفستَان علاَّنة، بَل تُعْجِبُني أحياناً مَلامح أحَدِ الفنَّانين فأتمنَّىٰ لو أنَّ ملامحَ زوجي كملامِحِهِ، فإذا مَلَلْتُ مِن المجلات اتَّجهت إلىٰ الأفلام، أشاهِدُ منها ما أستطيع وأحسُّ بالرَّغبة في النَّوم، بل إني أغفو وأنا في مكَاني، فأتركُ كلَّ شيء وأتَّجِهُ إلىٰ فِرَاشِي.. وهنَاك يحدُثُ مَا لا أستطيع تَفْسِيرَهُ، هناكَ يَرْتَحِلُ النومُ، فلا أعرِفُ لهُ مكاناً.

عجباً، أين ذلك النَّومُ الذي كنتُ أشعُرُ به وأنا جَالِسَة، وتبدأ رحلتي مَع الأرق، وفي تلك اللحظات أكتب هذه الخواطر التي تسألني عنها..

فقلتُ في نفسي: (إنها مريضةٌ) نعم إنَّها مريضةٌ بداء العَصْر، القَلَقُ الخَطير، إنَّها بحاجة إلىٰ علاج.

فقلت لها: ولكنَّ خواطرك هذه لا تُعَبِّر عَن شيءٍ ممَّا قُلْتِ.. إنَّها عباراتٌ

برَّاقة، يبدُو أَنَّك تلتقطينها من بَعْضِ المقالات المتنَاثِرَة وتجمعينها في هذه الأوراق..

قَالت: عجباً لك، أنتَ الوحيدُ الذي تحدَّثت بهذه الحقيقة، كلُّ صديقاتي يَتحدَّثْنَ عَن روْعَةِ مَا أكتب، بل إنَّ بعض هذه الخواطر قد نُشِرَت في بَعْضِ صُحُفِنَا، وبعثَ إليَّ المحرِّر برسالَةِ شكرٍ علىٰ هذا الإبداع، أنَا مَعَك إنَّهُ ليس لها مَعْنَىٰ واضح، ولكنَّها جَمِيلَة.

وهنا سألتها مباشرةً، هَل لك هدفٌ في هذه الحياةِ؟!

بدا علىٰ وجهها الارتِبَاكُ، لم تكُن تَتوقَّع السُّؤال، وقبلَ أنْ تُجيب قُلْتُ لها: هل لك عَقْلٌ تفكِّرينَ به، وهَل لديكِ استِقْلالٌ في التَّفكِيرِ؟ أمْ أنَّكِ قَد وَضَعْتِ عَقْلَكِ بينَ أوراق المَجلاَّت النِّسَائية الَّتي أشَرْتِ إليها، وحَلَقَاتِ الأفْلام الَّتي ذكَرْتِ أنَّكِ تَهْرعينَ إليها عِنْدَمَا تَشْعُرينَ بالمَلَلِ.. هل أنتِ مسلمة؟!.

هنا تغيَّرَ كُلُّ شَيء، أسلُوبها في الحديثِ تَغيَّر، جلسَتُها علىٰ المقعد تَغيَّرت، قالتَ: هَل تَشُكُّ في أنَّنِي مُسْلِمَة؟! إنَّني ـ بحمد الله ـ مُسْلِمَةٌ ومن أسْرَة مُسْلِمَةٍ عريقَةٍ في الإسلام، لماذا تَسْألني هَذا السُّؤال؟ إنَّ عَقْلِي حرٌّ ليس أسيراً لأحَدٍ، إنِّي أرفُضُ أن تَتحدَّث معيَ بهذِهِ الصُّورة.. وانْصرَفَت إلىٰ النَّافِذَةِ تَنْظُرُ مِن خِلالها إلىٰ ملكُوتِ اللهِ العظيمِ..

لَم أعلِّق علىٰ كَلامِها بِشَيءٍ، بَل إنَّني أخَذْتُ الصَّحيفَةَ الَّتي كانَت أمامي وانهمكْتُ في قراءتِها، ورَحَلْتُ مَع مقالٍ في الصَّحيفة يَتحدَّثُ عَن الإسلام والإرهاب كان مقالاً طويلاً مليئاً بالمغالطاتِ والأباطيلِ الكاذبةِ، يَا وَيلَهم هؤلاء الَّذين يكْذِبُونَ علىٰ الله، ولا أكتمكم لَقَد انْصرَفْتُ عنها إلىٰ هذا الأمرِ كُلِّياً حتَّىٰ نَسِيتُ في لَحظَتِها مَا جرَىٰ من حِوار بيني وبينَ مُجَاورتي في المَقْعَد، ولم أكُن

أشْعُرُ بِنَظَراتها الَّتي كانَت تَختَلِسها إلىٰ الصَّحيفَةِ لِتَرى هَذا الأمْرَ الَّذي شَغَلَني عَن الحديثِ مَعَها ـ كما أخبرتني فيما بعد ـ ولم أفق مِن جَوْلَتي الذِّهْنِيَّةِ مَع مقال الصَّحيفة إلاَّ علىٰ صَوتِها وهي تسألني: أتشُكّ في إسلامي؟!

قلت لها: ما معنىٰ الإسلام؟! قالت: هَل أنا طفلة حتىٰ تَسألني هَذا السُّؤال!

قلتُ لها: معاذَ الله بَل أنت فَتاةٌ ناضجةٌ تَمَام النُّضج، تُلوِّن وَجْهَها بالأصباغ، وتصفِّفُ شَعْرَها بطريقَةٍ جيدةٍ، وتَلْبِسُ عباءتَها وحجَابَها في بِلادِها، فإذا رَحلَت خَلَعَتْها وكأنَّهما لا يعنيان لها شيئاً.. نَعَم إنَّك فتاةٌ كبيرةٌ تُحسِنُ اختيار العِطْرَ الَّذي ينشُرُ شَذَاهُ في كلِّ مكان.. فَمَن قالَ إنَّكِ طِفْلَةٌ..؟!

قالت: لماذا تَقْسُوَ عَلَيَّ بهذِهِ الصُّورة؟

قلت لها: أجيبيني أوَّلاً مَا الإسلام؟..

قالت: الدِّينُ الَّذي أرْسَلَ اللهُ به محمداً ﷺ.

قُلتُ لها: وهو كَمَا حفظنا ونَحْنُ صغَار (الاستسلام للهِ بالتَّوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشِّرك).

قالت: إي والله ذَكَّرتني، لقَد كُنتُ أحصَل في مادَّةِ التَّوحيد علىٰ الدَّرجة الكاملة!

قُلتُ لها: ما معنىٰ (الانقيَاد لَهُ بالطَّاعَةِ)؟

سكتت قليلاً ثمَّ قالت: أسألكُ باللهِ لَماذا تَتَسَلَّطُ عليَّ بهذهِ الصُّورَة، لماذا تُسِيءُ إليَّ وأنا لم أُسِئْ إليكَ؟

قلت لها: عجباً لك، لماذا تعدِّين حِوَاري معكِ إساءةً؟ أينَ مَوْطِنُ الإساءةِ

فيما أقول؟

قالت: أنا ذكيةٌ وأفهم ما تَعني، أنتَ تَنْتَقِدُني وتُؤَنِّبُني وتَتَّهِمُني، ولكِن بطريقةٍ غَير مُبَاشَرة..

قُلتُ لها: ألستِ مُسْلِمَة؟

قالت: لماذا تَسْألني هذا السُّؤَال؟ إنَّني مسلمةٌ مِن قَبْل أنْ أعْرِفَكَ، وأرجوكَ ألا تَتَحَدَّث مَعِيَ مَرَّةً أخرى.

قلتُ لها: أنَا مُتَأسِّفٌ جداً، وأعِدُكِ بألاَّ أتَحَدَّثَ إليك بَعْدَ هَذا..

ورجعتُ إلىٰ صفحاتِ الصَّحيفَةِ الَّتي أمامِي أكمِلُ قراءةَ ذلكَ المَقَال الَّذي يَتَجَنَّىٰ فيه صاحبُهُ علىٰ الإسلام، ويقول: إنَّهُ دينُ الإرهاب، وإنَّ أهلَهُ يَدْعُونَ إلىٰ الإرهاب، وقلت في نَفْسِي، سبحانَ الله، المسلمونَ يُذَبَّحُون في كلِّ مكانٍ كما تُذْبحُ الشِّياه، ويقالُ عنهم أهل الإرهاب..

وقَلَبْتُ صَفْحَةً أخرَى فرَأيت خبراً عَن المسلمين في كَشْمِير، وصُورة لامرأة مسلِمَةٍ تَحْمِلُ طفلاً، وعبارة تَحْتَ صُورتها تَقُول: إنهم يهتكُون أعراضَنَا يَنْزعُونَ الحجاب عنَّا بالقُوَّة وأنَّ الموتَ أهونُ عندَنَا مِن ذلكَ، ونسيتُ أيضاً أنَّ مُجَاورتي كانت تَخْتَلِسُ نَظَرَها إلىٰ الجريدة، وفوجِئْتُ بها تَقُول، مَاذا تَقْرَأ؟..

فلم أتَحَدَّثْ إليها، بَل أعطيتُها الجريدَةَ وأشَرْتُ بيدي إلىٰ صُورة المسلمة الكشميرية والعِبَارَة الَّتي نُقِلَت عَنْها..

سادَ الصَّمْتُ وقتاً ليس بِالقَصِير، ثمَّ جَاءت خادِمَةُ الطائِرَةِ بالطَّعَام.. واستَمَرَّ الصَّمْتُ..

وبعدَ أنْ تجوَّلتُ في الطائرة قليلاً رَجَعْتُ إلىٰ مقعَدِي، وما إن جَلَسْتُ حتَّىٰ

بادرتْني مُجَاورتي قائلةً: مَا كنت أتوَقَّع أن تُعَامِلَني بهذه القَسْوَة!..

قُلتُ لها: لا أدري ما معنىٰ القَسْوَة عندكِ، أنا لم أزد علىٰ أنْ وَجَّهْتُ إليك أسئلةً كنتُ أتَوَقَّعُ أنْ أسمَعَ مِنْكِ إجابةً عنها، ألم تَقُولي إنَّكِ وَاثِقَة بنَفْسِكِ ثقةً كبيرةً؟ فلماذا تزعجك أسئلتي؟

قالت: أشْعُرُ أنَّكَ تَحْتَقِرُني..

قلتُ لها: مِن أينَ جَاءكِ هَذا الشُّعُور؟

قالت: لا أدري.

قلت لها: ولكنَّنِي أدري.. لَقَد انطَلَقَ هَذا الشُّعُور من أعماقِ نَفْسِكِ، إنَّهُ الشُّعُور بالذَّنب والوقوع في الخَطأ، أنتِ تَعِيشِينَ ما يمكن أن أسمِّيهُ بالازدواجيَّةِ، أنت تعيشين التأرجُحَ بين حَالتين..

وقَاطعتني بحدَّةٍ قائلةً، هَل أنا مَريضَةٌ نفسياً؟ ما هَذا الذي تَقُولُهُ؟!

قلتُ لها: أرجُو ألاَّ تغضبي، دَعِيني أُكْمِلُ، أنتِ تُعَانِينَ مِن ازدواجيةٍ مُؤذية، أنتِ مهزومةٌ مِنَ الدَّاخِل، لا شَكَّ عندي في ذلك، وعندي أدلَّةٌ لا تستطيعين إنكارها.

قالت مذعورةً: مَا هي؟

قلتُ: تقولين إنَّكِ مُسلِمَة، والإسلامُ قولٌ وعملٌ، وقد ذكَرْتُ لكِ في أوَّل حوارنا أنَّ مِن أهمِّ أسُسِ الإسلام (الانقيادُ لله بالطاعة) فَهل أنتِ مُنْقَادَةٌ لله بالطاعة؟ وسكتُّ لحظةً لأتيحَ لها التَّعْلِيقَ عَلىٰ كَلامِي، ولكنَّها سكَتَتْ ولم تَنْطِق بِبِنْتِ شَفَةٍ.. وفهمتُ أنَّها تريدُ أنْ تَسْمَعَ، قُلتُ لها:

هذه العباءةُ، وهذا الحجابُ اللَّذان حُشِرَا - مظلومَين - في هذهِ الحَقِيبَةِ الصَّغيرة

دليلٌ علىٰ ما أقول..

فقَالَت بغضبٍ واضح: هَـذِهِ أشكالٌ وأنـتَ لا تَـهتَم إلاَّ بالشَّكْل، المـهم الجوهر.

قلتُ لها: أينَ الجوهرُ؟ ها أنتِ قَد اضطربتِ في مَعْرفَـةِ مَدْلُـولات كلمـة (الإسلام) الذي تؤمنينَ به، ثمَّ إنَّ للمظهر علاقَة قَويَّةً بالجوهَر، إنَّ أحدهمَا يدلُّ علىٰ الآخر، وإذا اضطربت العلاقةُ بين المظهر والجَوْهَر، اضطربت حياة الإنسان.

قالت: هَل يَعْنِي كلامُك هـذا أنَّ كلَّ مَن تَلْبِس عباءةً وتَضَعُ علىٰ وجهها حجاباً صالحة نقية الجوهَر؟

قلت لها: كلاَّ، لم أقْصِد هَذا أبداً، ولكن مَن تَلْبِس العباءةَ والحجاب تُحَقِّقُ مطلباً شرعياً، فإن انْسَجَمَ باطِنُها مَع ظاهِرِها، كانَت مُسْلِمَةً حقَّة، وإن حَصَلَ العكْسُ وقَعَ الاضطرابُ في شَخْصِيَّتِها، فكانَ نَزْعُ هَذا الحجاب - عندَمَا تَحِينُ لها الفرصةُ - هيِّناً ميسوراً، إنَّ الجوهرَ هُوَ المهم، وأُذَكِّركِ الآن بتلكَ العبارة التي نَقَلَتْها الصحيفةُ عَن تِلْكَ المرأةِ الكَشْميريَّةِ المُسْلِمَةِ، ألم تَقُل، إنَّ الموتَ أهوَنُ عَلَيها مِن نَزْع حجابِها؟ لماذا كانَ الموتُ أهونُ؟ لأنَّها آمَنت باللهِ إيماناً جَعَلَها تَنْقَادُ له بالطاعةِ فَتُحَقِّق مَعْنَىٰ الإسلام تحقيقاً ينسجمُ فيه جوهَرُها مَع مَظْهَرِها، وهذا الانسجامُ هو الَّذي يجعلُ المسلمَ يُحَقِّقُ معنىٰ قول الرَّسول ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكُم حتَّىٰ يكونَ هَوَاهُ تبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ». [رواه النووي في الأربعين].

إنَّ لبسَ العباءة والحجاب - عندك - لا يتجاوزُ حدودَ العادةِ والتَّقليدِ، ولهذا كانَ هيِّناً عليكِ أنْ تنزعيهمَا عنكِ دونَ تردُّد حينمَا ابتَعَدَت بكِ الطائرةُ عَن أجواءِ بلدك الَّذي استَقَيتِ منهُ العاداتِ والتَّقاليد، أمَّا لو كانَ لبسُكِ للحجابِ مُنْطَلِقاً

مِن إيمانِك باللهِ تعالىٰ، واعتقادك أنَّ هذا أمرٌ شرعيٌّ لا يفرِّق بين مجتمع ومجتمع، ولا بلَدٍ وبلَدٍ لما كان هيِّناً عليكِ إلىٰ هذه الدرجةِ.

الازدواجيةُ في الشَّخصيةِ ـ يا عزيزتي ـ هي المشكلةُ.. أتَدْرينَ ما سببُ هذه الازدواجية؟ فَظَنَنْتُ أنَّها ستجيبُ ولكنَّها كانَت صامتةً، وكأنَّها تَنْتَظِرُ أنْ أُجيبَ أنا عَن هذا السؤال.. فَقُلْتُ لها: إنَّ سَبَبَ هَذِهِ الازدواجِيَّة الاستِسْلامُ للعاداتِ والتَّقاليد، وعَدَم مُرَاعاة أوامِر الشَّرع ونَوَاهِيه، إنَّها تَعْني ضَعْفَ الرَّقَابة الدَّاخلية عندَ الإنسان، ولهذا فإنَّ مِن أسوأ نتائجِها الانهزاميةُ حيثُ ينهزمُ المسلمُ من الدَّاخل، فإذا انهزَمَ تَمكَّنَ منه هَوَى النَّفْس، وتلاعَبَ به الشَّيطانُ، وظلَّ كذلك حتَّىٰ تَنْقَلِب في ذِهْنِه الموازينُ..

لَم تَقُل شيئاً، بَل لاذَت بِصَمْتٍ عميقٍ، ثمَّ حَمَلَت حقيبَتَها واتَّجهَت إلىٰ مؤخِّرة الطَّائرة.. وسألتُ نَفسِي: تراها ضَاقَت ذرعاً بمـا قُلْتُ، هل تُرَاني وُفِّقتُ فيما عَرَضْتُ عَلَيها؟ لم أكن ـ في حقيقة الأمر ـ أعرفُ مدى التَّأثر بما قُلْتُ سلباً أو إيجاباً، ولكِنَّني كنتُ متأكداً من أنَّني قد كَتَمْتُ مشاعِرَ الغَضَب التي كنتُ أشعرُ بها حينمَا تُوَجِّهُ إليَّ بعض العباراتِ الجارحةِ، ودَعَوْتُ لها بالهدايةِ، ولنفسي بالمَغْفِرَة والثَّباتِ علىٰ الحقِّ.

وبعدَ لحظاتٍ.. عادَت إلىٰ مَقعدِها.. وكانَت المفاجأةُ، عادَت وعليها عباءتها وحجابها.. ولا تَسَل عَن فَرْحَتي بما رأيتُ!

فَقَالت: إنَّ رحمةَ اللهِ بي هي الَّتي هيَّأت لي الركوبَ في هذا المقعد، لَقَد صَدَقْتَ حينَما وصفتني بأنني أعانِي من الهزيمةِ الداخليةِ، إنَّ الازدواجيةَ التي أشَرْتَ إليها هي السِّمة الغالبة علىٰ كثيرٍ من بَناتِ المسلمين وأبنائِهم، يا ويلَنَا مِن

غَفْلَتِنَا! إنَّ مجتمعَاتِنَا النِّسَائيةَ قَد اسْتَسْلَمَتْ للأوهام، لا أكتُمُكَ أيُّها الأخُ الكريمُ، أنَّ أحاديثَنَا في مجالِسِنَا نحنُ النِّساء لا تكادُ تتجاوزُ الأزياءَ والمجوهراتِ والعُطُورات، والأفْلام والأغَاني والمَجَلاَّت النِّسَائية الهابِطَة، لماذا نَحْنُ هكذا؟ هَل نَحْنُ مُسلِمُون حقاً؟

هَل أنا مُسْلِمَةٌ؟ كانَ سؤالُكَ جارحاً، ولكِنِّي أعْذُرُكَ، لَقَد رأيتني علىٰ حقِيقَةِ أمري، ركِبْتُ الطائرةَ بحجابي، وعندمَا أقْلَعَت خَلَعْتُ عَنِّي الحجابَ، كنتُ مقتنِعَةً بما صَنَعْتُ، أو هكذا خُيِّل إليَّ أنِّي مُقْتَنِعَةً، بينما هَذا الَّذي صنعته يدلُّ حقاً علىٰ الانهزاميةِ والازدواجيةِ، إنِّي أشكُرُكَ بِالرَّغم مِن أنَّكَ قَد ضَايقتني كثيراً، ولكِنَّكَ أرشَدْتَني، إنِّي أتوبُ إلىٰ الله وأستغفرُهُ. ولكن أريدُ أن أسْتَشِيرَكَ.

قلتُ، وأنا في روضةٍ من السُّرُور بما أسمَعُ مِن حديثها: (نعم.. تَفَضَّلِي إنِّي مُصْغٍ إليك).. فَقَالَت: زوجي، أخافُ مِن زَوجي..

قلتُ: لماذا تَخَافِينَ مِنْهُ، وأين زَوْجُكِ؟

قالت: سوفَ يَسْتَقْبِلُني في المَطار، وسوفَ يَراني بِعَبَاءَتِي وحِجَابِي..

قلت لها: وهذا شيءٌ سَيُسْعِدُهُ..

قالت: كلاَّ، لقد كانَت آخِر وصيةٍ له في مكالمَتِه الهاتفيةِ بالأمس، إيَّاك أنْ تَنْزلي إلىٰ المطار بعباءتك لا تحرجيني أمامَ النَّاس.. إنَّهُ سيغضب بلا شكٍّ.

قلتُ لها: إذا أرضيتِ اللهَ فلا عليكِ أنْ يَغْضَبَ زوجُكِ، وبإمكانِك أنْ تُنَاقِشِيهِ بهدوءٍ وثقةٍ كبيرةٍ.. فَلَعَلَّه يستجيبُ لكِ، إنِّي أوصيكِ أنْ تَعْتَني بهِ عناية الَّذي يحبُّ له النجاةَ والسَّعادةَ في الدُّنيا والآخرة.. ثمَّ سكتُّ وسَادَ الصمتُ.. وشَرَدْتُ بذهني في صورةٍ خياليةٍ إلىٰ ذلك الزَّوج.. كيفَ يُوصي زوجتَهُ بخلع

حِجَابِها.. أهذا معقولٌ؟!

أيوجدُ رجلٌ مسلمٌ غيورٌ كريمٌ يفعلُ هذا؟! لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله، إنَّ مَدَنِيَّةَ هذا العَصْر تَخْتَلِسُ أبناءَ المسلمينَ واحداً تِلْوَ الآخر، ونحنُ عنهم غافلون، بَل نَحْنُ عَن أنفسنا غافِلُون.

ووصَلَت الطائرةُ إلىٰ ذلك المطار البعيدِ، وانتهَت مَرَاسِمُ هذهِ الرِّحْلَة الحافِلَةِ بالحِوَار السَّاخن بيني وبين جارةِ المقعَد، ولم أرها حين استَقْبَلَها زَوْجُها، بَل إنَّ صورتَها وصوتَها قد غاصَا بعد ذلك في عَالم النِّسيان، كما يغوصُ سِوَاها من آلاف الأشخاص والمواقف التي تَمُرُّ بنا كلَّ يوم..

وفي يومٍ من الأيَّامِ كنتُ جالساً علىٰ مكتبي أقرأ كتاباً بعنوان «المرأةُ العربية وذكورية الأصالة» لكاتبته المسمَّاة (منىٰ غصوب) وأعْجَبُ لهذا الخَلْطِ، والسَّفْسَطَةِ، والعبث الفكري واللُّغوي الَّذي يتضمَّنه هذا الكتاب الصغير، وأصابني ـ ساعتها ـ شعور عميق بالحزن والأسىٰ علىٰ واقِع هذه الأمةِ المؤلم، وفي تلك اللحظة الكالِحَةِ جاءني أحدُهُم برسالَةٍ وتسلَّمتها منهُ بشغف، لَعَلِّي كنت أودُّ ـ في تلكَ اللحظة ـ أن أهرُبَ مِنَ الألم الَّذي أشْعَلَهُ في قَلْبي ذلك الكتاب المشؤوم الذي تريدُ صاحِبَتُهُ أن تُجَرِّدَ المرأةَ مِن أنوثتها تماماً، وعندما فتحت الرِّسالة نظرتُ إلىٰ اسم المُرْسِل. فقرأت (المرسلة أختك في الله أمّ محمَّد الدَّاعية لك بالخير).

أمُّ مُحَمَّدٍ؟ من تكُون هذه؟! وقرأتُ الرِّسالةَ، وكانت المفاجأةُ بالنسبة إليَّ، إنَّها تلكَ الفتاةُ التي دَار الحوارُ بيني وبينَها في الطَّائرة، والتي غاصَت قِصَّتُها في عَالم النِّسيان! إنَّ أهمَّ عبارة قرأتها في الرِّسَالة هي قولها: (لعلَّك تذكرُ تلكَ

الفتاةَ التي جاورَتْك في مَقْعَدِ الطائرةِ ذاتَ يَوْم، إني أبشِّرك، لَقَد عَرَفْتُ طريقي إلىٰ الخير، وأبَشِّرُكَ أنَّ زوجي قد تأثَّر بموقفي فهداهُ اللهُ، وتابَ مِن كثير من المعَاصي الَّتي كان يقع فيها، وأقولُ لكَ، ما أروعَ الالتزامَ الوَاعي القَائِم علىٰ الفَهْم الصَّحيح لِدِينِنَا العظيم.. ولَقَد قَرأتُ قصيدَتَكَ: ضِدَّان يا أختاه.. وفهمت ما تريد! والسلامُ..).

بعد أن قرأت هذه الرسالة لا أستطيعُ أن أصَوِّرَ لكم مَدَى الفرحَةَ الَّتي حَمَلَتْنِي علىٰ جناحَيها الخَافقين حينَمَا قرأتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ.. ما أعظمَها مِن بُشْرَى.. حينها ألقيتُ بذلكَ الكتاب المُتهافِتَ الذي كنتُ أقرؤه «المرأةُ العربيةُ وذكورية الأصالَةِ» ألقيتُ به وأنا أردِّدُ قول الله تعَالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ثمَّ أمسكتُ بالقَلَم.. وكتَبْتُ رسالةً إلىٰ (أمِّ مُحمَّدٍ) عبَّرْتُ فيها عن فَرْحَتِي برسَالَتِها، وبما حَمَلَتْهُ من البُشْرَى، وضَمَّنتها أبياتاً من القَصيدةِ التي أشارَت إليها في رسالَتِها، منها:

ضِدَّان يا أختَاهُ مَا اجتمَعَا ... دينُ الهُدَى والفِسْقُ والصَّدُّ
واللهِ ما أزرى بِأُمَّتِنَا ... إلاَّ ازدِوَاج مَا لَه حَدُّ

وعندما هممتُ بإرسال رسَالَتِي، تَبَيَّن لي أنَّها لم تكْتُب عُنْوَانَها البريديَّ، فَطَوَيتُها بَينَ أوراقِي لَعلَّها تَصِلُ إليها ذَاتَ يَوم.

[المصدر: كتاب لا تغضب.. مناقشات هادئة للدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي].

وإليكَ الآن القَصيدَةَ كاملةً:

القصيدة

هـذي العيـونُ، وذلـك القَـدُّ … والشـيحُ والريحـان والنَّـدُّ
هـذي المفـاتنُ في تناسُـقها … ذكـرى تَلُـوحُ، وعِـبْرَةٌ تَبْـدُو
سبحانَ من أعطَىٰ، أرى جسـداً … إغـراؤه للنَّفْـس يَحْتَـدُّ
عَيْنَـانِ مَـا رَنَتـا إلىٰ رَجُـلٍ … إلاَّ رأيـتَ قُـوَاه تَنْـهَدُّ
مِـنْ أيـنَ أنـتِ، أأنجبتْـك رُبـا … خُضـر، فـأنتِ الزَّهـر والـوردُ؟
مِـنْ أيـنَ أنـتِ، فـإنَّ بـي شـغفاً … وإليـكِ نَفْسِـي ـ لَهفَـة ـ تَعْـدُو
قـالتْ، وفي أجفَانِـها كَحَـلٌ … يُغْـري، وفي كلماتـها جِـدُّ
عربيـةٌ، حرِّيَّـتي جعلـتْ … منِّـي فتـاةً مـا لهـا نِـدُّ
أغشىٰ بقاعَ الأرض مـا سَنَحَتْ … لي فرصـةٌ، بـالنفس أعتـدُّ
عربيَّـةٌ، فسـألتُ: مسـلمةٌ … قـالتْ: نعـم، ولخـالِقِي الحمـدُ
فسـألْتُها، والنَّفـسُ حـائرةٌ … والنَّـارُ في قَلْبِـي لهـا وَقْـدُ
من أينَ هـذا الـزِّيُّ؟ مـا عرفـتْ … أرضُ الحجـاز، ولا رأتْ نَجْـدُ
هـذا التبـذُّلُ، يـا محدِّثـتي … سَـهْمٌ مـن الإلحـادِ مرتـدُّ
فتنمَّـرتْ ثـمَّ انثَنَـتْ صَلَفـاً … ولسـانُها لِسِـبَابِها عَبْـدُ
قَـالت، أنَـا بـالنَّفسِ واثِقَـةٌ … حُرِّيـتي دُونَ الهـوَى سَـدُّ
فَأجَبْتُـها والحـزنُ يَعْصِـفُ بِـي … أخْشَـىٰ بـأنْ يَتَنَـاثرَ العِقْـدُ
ضِـدَّان يَـا أختَـاهُ مَـا اجتمَعَـا … دِيْـنُ الهُـدَى والفِسْـقُ والصَّـدُّ
واللهِ مـا أزرَى بِـأُمَّتِنَـا … إلاَّ ازدِوَاجٌ مَـا لَـهُ حَـدُّ

مرضٌ يصيبُ المرأةَ المتبرجةَ

روى مسلم في صحيحه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ونِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِياتٌ مَائِلاتٌ مميلاتٌ رؤُوسهن كأسنمةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَها».

وقال رسولُ الله ﷺ أيضاً: «لا تُقْبَلُ صَلاةُ حَائِضٍ إلاَّ بِخِمَارٍ». أي صلاة مكلَّفة بالغةٍ، وإلاَّ فالصَّلاة في أيَّام الحيض غير جائزة. [رواه الإمام أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه].

لَقَد أثْبَتَتِ البحوثُ العلميَّةُ الحديثةُ أنَّ تبرجَ المرأةِ وعُريَّها يُعَدُّ وَبالاً عَلَيها حيثُ أشارَت الإحصائياتُ الحاليةُ إلىٰ انتشارِ مَرَضِ السَّرطانِ الخبيثِ في الأجزاءِ العاريةِ مِن أجسادِ النِّسَاءِ وَلا سيَّمَا الفتياتِ اللاّتي يلبسنَ الملابسَ القصيرةَ، فلَقَد نُشِرَ في المجلَةِ الطِّبيةِ البريطانيةِ: أنَّ السرطانَ الخبيثَ «الميلانومَا» الخبيثَة، والَّذي كانَ مِن أنْدَرِ أنْوَاعِ السَّرطانِ أصبحَ الآنَ في تَزَايدٍ، وأنَّ عددَ الإصاباتِ في الفتياتِ في مُقْتَبَلِ العُمُرِ يَتَضَاعَفُ حالياً، حيث يُصَبْنَ بِه في أرجلِهنَّ، وأنَّ السَّبَبَ الرَّئيسي لِشيُوعِ هذا السَّرطانِ الخَبيثِ هُوَ انتِشَارُ الأزياءِ القصيرةِ الَّتي تُعَرِّضُ جَسَدَ النِّسَاء لأشِعَّةِ الشَّمْسِ فَتَرَاتٍ طويلَةً علىٰ مَرِّ السَّنَةِ ولا تفيدُ الجواربُ الشفَّافَةُ أو النايلون في الوقَايَةِ مِنْها..

وقد نَاشَدَت المجلةُ أطباءَ الأوبئَةِ أنْ يُشَارِكُوا في جَمْعِ المَعْلُوماتِ عَن هَذا المَرَضِ وكأنَّهُ يَقْتَرِبُ مِن كَوْنِهِ وَبَاء.. وإنَّ ذلك يذكِّرُنَا بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢].

ولَقَد حلَّ العذابُ الأليمُ أو جزءٌ منه في صُورَةِ السَّرطان الخَبيثِ الَّذي هو أخبَثُ أنْوَاع السَّرَطان، وهذا المرضُ يَنْتُج عَن تعَرُّض الجِسْم لأشِعَّةِ الشَّمْسِ وَالأشِعَّة فوق البَنَفْسَجِّية فترات طَويلة وَهُو مَا تُوَفِّرُهُ الملابِسُ القصيرةُ أو مَلابِس البَحرِ علىٰ الشواطئ.. وَيُلاحَظُ أنَّهُ يُصيبُ كافَّةَ الأجْسَادِ وَبِنِسَبٍ مُتفاوتةٍ.. وَيَظْهَر أولاً كَبُقْعَةٍ صغيرةٍ سوداء، وقد تكُون مُتَنَاهِيَةً في الصِّغَر، وغالباً في القَدَم أو السَّاقِ.. وأحياناً بِالعينِ، ثمَّ يَبْدأ بالانْتِشَار في كلِّ مكَانٍ واتِّجَاه مَع أنَّه يزيدُ ويَنْمُو في مكانِ ظهورِهِ الأوَّل، فيُهاجِم العُقَد الليمفَاويَّة بأعلَىٰ الفَخِذ وَيَغْزُو الدَّمَ وَيَسْتَقِر في الكَبِدِ وَيُدَمِّرُها..

وقَد يَسْتَقِر في كافَّة الأعضَاءِ وَمنها العِظَام والأحشَاء بمَا فيها الكِلْيَتَان ولربَّمَا يَعْقِب غَزْو الكليتين البول الأسْوَد نتيجةً لِتَهَتُّك الكلىٰ بالسَّرطان الخبيثِ الغَازي..

وقد يَنْتَقِل للجنينِ في بطنِ أمِّهِ ولا يُمْهِل هَذا المرضُ صاحِبَتهُ طويلاً.. كمَا لا يُمَثِّل العِلاجُ بالجِرَاحَةِ فُرْصَة للنَّجاةِ كبَاقِي أنواع السَّرطانِ، حيثُ لايستَجِيبُ هذا النوعُ مِن السَّرطانِ للعلاج بِجلَسَات الأشِعَّةِ..

من هنَا تَظهَرُ حِكْمَةُ التَّشْريع الإسلامي في ارتدَاءِ المرأةِ للزِّي المُحْتَشِم الَّذي يَسْتُر جَسَدَها جميعَهُ بملابِس واسِعَةٍ غير ضَيِّقَة ولا شَفَّافة مَع السَّمَاح لها بكَشْفِ الوَجْهِ واليَدَينِ عندَ عدم الفتنةِ.. فلَقد صَارَ واضحاً أنَّ ثيابَ العِفَّة والاحتِشَام هي خيرُ وقَايَةٍ مِن عَذَابِ الدُّنْيا المُتمَثِّل في هذا المَرض، فَضْلاً عَن عَذَابِ الآخرة، ثمَّ هَل بعدَ تأييدِ نَظرِيَّاتِ العِلْم الحَديث لِمَا سَبَق أن قَرَّرَهُ الشَّرعُ الحكيمُ مِن حُجَج يُحتَجُّ بِها لِسفُور المَرْأةِ وَتَبرُّجِها؟.

❖ ❖ ❖

صرخةُ فتاة

صالح علي العَمْري ـ الظهران

هذهِ القصيدةُ مِن واقع قِصَّةٍ لإحدَى بناتِ مجتمَعِنا والتي ذَهَبَت فَريسةَ الإهمالِ الأسريّ والتَّرف الغير مُنْضَبِط والإعلام المتمَرِّد علىٰ أخلاقياتِ الدِّين ومبادئ مجتمَعِنا المسلم، والَّذي كان ضَحِيَّتُهُ عقولُ الشَّباب وأروقة العِفّة والحياء.. والقصيدة علىٰ لسان الفتاة..

دعني أكسِّر أغلالي وأوضَاري! ... فَالهَمُّ أَعْلَنَ بينَ النَّاس أسْرَاري
دَعْنِي أسحُّ دموعاً أشربتْ بدمٍ ... وأرسمُ الحزنَ في قِرْطاسِ أشعَاري
أصحُو وأغفُو ولكن بَينَ أجْنِحَتِي ... قَلْباً تُقلِّبُهُ الشَّكوى علىٰ نَار
أصبُو إلىٰ روضةٍ بالحبِّ وارفةٍ ... كَبُلْبُلٍ مُوجعٍ يَهفُو إلىٰ دار
غَيري تربَّت علىٰ القرآنِ باسقةً ... فأثمَرَت وازدَهَت في طاعةِ البارِي
كأنَّها وردةٌ شمَّاء زاهيةٌ ... في دَوْحَةِ الطُّهرِ أو في رَوْضِ أزهار
في قلبِ راضيةٍ في ثوبِ زاكيةٍ ... في طهرِ غاديةٍ في حسنِ أقْمَار
أمَّا أنَا فَأدلهمّ الخطبُ في كَبِدِي ... وسَوَّدت سَيئاتي لوحَ تذكَارِي
أمِّي لها في بحورِ الفنِّ ملحمةٌ ... قد اعتلتْ في المآسي كلَّ تيار
الزَّيفُ أتعبَها، والسُّوق غيَّبَها ... يا ليتَ لي عطف أمٍّ ذات أطمَار!
ولي أبٌ لم أذُق في ظلِّ مُهْجَتِهِ ... معنىٰ الأبوةِ مِن عطفٍ وإيثار
أحلامُهُ في رؤى الصفقَات لاهثةٌ ... في بؤس سَمْسَرَةٍ أو طيشِ أسفَار
علىٰ لساني سؤالٌ عنهُ محترقٌ ... قَد بَاعَ حبِّي وتحنَانِي بدينَار

ضاعَ الرَّقيبُ فهانَ العِرضُ في زَمَني ... حتَّىٰ استوى فيهِ إقبالي وإدْباري
تَسْطُو الذِّئابُ علىٰ شاةٍ مُغفَّلةٍ ... فاستَسْلَمَت بينَ أنيابٍ وأظفَار
الدارُ مِن روعةِ الآلاءِ مُتْرَعَةٌ ... وللهدى في رُباها نوحُ إقْفَار
قَد فتَّحُوا للبلايَا ألفَ نافذةٍ ... ودونَ صَوتِ التُّقىٰ أسوار وأسوار
جاؤوا بِدُشٍّ علىٰ فَحْواه مهلكَتِي ... يُودِي بِدِيني وأخْلاقِي وأفكَارِي
ويَلِي علىٰ أخْوَتي إذْ هدَّ وازعهم ... لِيَزْرَعَ السُّمَ مِن دارٍ إلىٰ دار
و استَأسَرُوني بأفلامٍ مُهَدَّمةٍ ... عَن سجدةٍ في الدُّجَىٰ أو أُنس أذكَار
أو دَعْوةٍ في ظلام اللَّيل صادقةٍ ... إذا تَنزَّلَ مولانَا بأسحَار
ثَغْرُ الزِّنا مِن حديثِ الفِلْم مُبتسمٌ ... والشَّرُّ يَشْدُو علىٰ أنغام أوتَار
يا وَيحَنا مَن لجيلِ الحقِّ إنْ تُركت ... نُهىٰ الشَّباب لكفَّارٍ وفُجَّار
نابَ المسلسلُ عَن أمِّي وعَطْفِ أبي ... فَاستَحْكَمَتْ غُرْبَتي واحْمَرَّ إعصارِي
الزَّيفُ أرَّقَني، والخوفُ أقْلَقَني ... مِن صَولَةِ الزَّيغ، أو مِن وَصْمَةِ العَار
جاؤوا بحريةٍ مزعومةٍ بَئِستْ ... فَاسْتُعْبِدَت بالرَّدَى أعناقُ أحْرَار
أودُوا حيَائي وجَدُّوا في مُحَارَبَتي ... وأخفَتُوا بِسُفُور الغربِ أنْوَارِي
(ولا تَبرَّجن) أمرُ اللهِ.. نَبعُ تُقىٰ ... فمَا لنا نَسْتَقِي مِن خبثِ أوكَار
لا غَيرةٌ جَلَّلتني مِن ذوي رَحِمي ... وما رفعْتُ بتَاج الدِّين مِقْدَاري
أبكِي علىٰ زَهْرَةِ التَّقوى وقَد ذَبُلَت ... في القَلْبِ مَا بينَ آثامِي وأوزَاري
يا بؤسَ قَلْبِي مِنَ الدُّنيا وزُخرفها ... إنِّي أعيش عَلىٰ جرفٍ لها هارِي
لاتُتعِبِ النَّفسَ في الدُّنيا وبَهْجَتِها ... فمَا السَّعادَةُ إلاَّ في رضَا البَارِي

يـا ربِّ هَـبْ لي متابـاً أستنيرُ بـهِ ... يجلُـو فـؤادي ويَمْحُـو كـلّ آثـارِي

يا من أنـارَ علـىٰ المختـارِ غُربَتَـهُ ... في رِحْلَةِ العُمْـرِ أو في ظُلْمَـةِ الغَـار

جَعَلْـتَ يـثربَ في لُقْيَـاه بَاسِـمَةً ... تَشْـدُو، وأيَّدتَـهُ فيـها بأنْصَـارِ

أَيِّد فُـؤادي بِفَضْـلٍ مِنْـكَ مُنْـهَمرٍ ... وصحبَـةٍ في مجـالِ الخَـيرِ أخيَـار

بَرئـتُ للهِ رَبِّـي مِـن غنـىٰ بطـرٍ ... يُطغي فـؤادِي ويَهْوي بِي إلىٰ النَّار

ربَّـاهُ تَـاقَت إلىٰ رُحْمَـاكَ نَـاصِيَتِي ... وأنـتَ تَعْلَـمُ إقْـلالي وإكثَـارِي

إنْ لَم تُجِرْنـي بنورٍ مِنْكَ يَغْمُرُني ... يحيا بِهِ القَلْبُ أو يسري بهِ السّاري

فالقلبُ ذاوٍ ولكن إنْ ذَوى جَسَدِي ... فكتّموا يـا نُعَـاتي بَعْـض أخْبَـارِي

وانسُوا فتاةً رَوَت للكونِ قِصَّتَـها ... وامتَدَّ حبرُ الأسىٰ مِن دَمْعِها الجاري

❖ ❖ ❖

أيُّها الباكونَ على المرأة..

أيُّها الباكُونَ.. أمَّا أنْتُم أيُّـها الرَّاثـونَ البَاكونَ علىٰ المرأةِ وحقوقِـها، فإنَّكُم لا تَرْثُونَ لها بَل تَرْثُونَ لأنفُسِكُم، وتبكُونَ علىٰ مَا يُحالُ بينكُم وَبَينَهُ مِن شَهَواتِكُم، هذِّبوا رِجَالكُم قَبْـلَ أنْ تُـهَذِّبُوا نِسَـاءكُم، فَإنْ عَجزْتُم عَن الرِّجَالِ، فَأَنْتُم عَن النِّسَاءِ أعْجَز.

لَقَد عاشَتِ المرأةُ المسلمةُ حقبةً مِن دَهْرها هادِئَةً مُطْمَئِنَّةً في بَيتِها، راضِيَةً عَن نَفْسِها وَعَن عَيشِها، تَرَى السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ في وَاجِبٍ تُؤَدِّيه لِنَفْسِها، أو وقْفَةٍ تَقِفُها بينَ يَدَي رَبِّها، أو عَطْفَةٍ تَعْطِفُـها علىٰ وَلَدِها، أو جلْسَـةٍ تَجلِسُـها إلىٰ جَارتِها، تَبُثُّها ذَات نَفْسها وَتَسْتَبثها سَرِيرَة قَلْبِها، وتَرَى الشَّرَفَ كُلَّ الشَّرَف في خُضُوعِها لأبِيها، وائْتِمَارِها بِأَمْرِ زَوْجِها، وَنُزُولها عنـدَ رِضَاهمَا، وكانَت تَفْهَم مَعْنَىٰ الحبِّ، وتَجْهَل مَعْنَىٰ الغَرَام، فَتُحِب زَوْجَها، لأَنَّهُ زَوْجُها كَمَا تُحِـب وَلَدَها لأَنَّهُ وَلَدُها، فإنْ رَأى غيرَها مِنَ النِّسَـاء أنَّ الحبَّ أساسُ الزَّواج رَأت هِي أنَّ الزَّواجَ أسَاسُ الحبِّ..

فَقُلْتُم لَها: «إنَّ هَؤلاءِ الَّذينَ يَسْتَبِدُّونَ بِأمْرِك مِن أهْلِك لَيسُوا بِأَوْفَرَ مِنْكِ عَقْلاً ولا أفْضَل رأياً ولا أقْدَرَ علىٰ النَّظَر لكِ مِنَ النَّظَرِ لِنفسِك، فَلا حَقَّ لهُم في هَذَا السُّلْطَان الَّـذي يَزْعُمُونَـهُ لأنْفُسِهِم عَلَيكِ». فَازْدَرَت أبَاها، وتَمَرَّدت عَلىٰ زَوْجِها، وأصْبَحَ البيتُ الَّذي كانَ بالأمسِ عُرْساً مِنَ الأعْراسِ الضَّاحِكَةِ، مَناحَةً قائمةً لا تَهْدَأ نارُها، ولا يَخْبُو أوارُها.

قُلْتُم لَها: «لا بُدَّ لكِ أنْ تَختَاري زَوْجَكِ بِنَفْسِك، حتَّىٰ لا يَخْدَعُكِ أهلُكِ عن سعَادَةِ مُسْتَقْبَلك» فاخْتَارَت لِنَفْسِها أسوأ مِمَّا اخْتَارَ لها أهلُها، فَلَم يَزِد عُمْر سعَادَتِها عَن يَوْم وليلَةٍ، ثمَّ الشَّقاءُ الطويلُ بَعْدَ ذَلِكَ والعَذَاب الأليمُ..

قُلْتُم لها: «إنَّ الحبَّ أساسُ الزَّواج» فما زَالت تُقلِّبُ عينَيها في وُجُوهِ الرِّجَال مُصعدَةً مُصَوِّبَةً حتَّىٰ شغَلَها الحبُّ عَن الزَّواج فَغَنِيَت بِهِ عَنْهُ..

قُلْتُم لَها: «إنَّ سَعَادَةَ المرأةِ في حَيَاتِها أنْ يكُونَ زَوْجُها عَشِيقَها» ومَا كَانَت تَعْرفُ إلاَّ أنَّ الزَّوجَ غَير العَشِيق، فَأَصْبَحَت تَبْغِي كلَّ يوم زَوْجاً جَدِيداً يُحْيي مِن لَوْعَةِ الحبِّ مَا أَمَاتَ الزَّوجُ القديمُ، فلا قَدِيماً اسْتَبْقَت، ولا جَدِيداً أَفادَت..

قُلْتُم لَها: «لا بدَّ أنْ تَتَعَلَّمِي لِتُحْسني تَرْبيةَ وَلَدك، والقِيَام علىٰ شُؤونِ بَيتِك، فَتعَلَّمَت كلَّ شَيء إلاَّ تَرْبيَةَ وَلَدِها وَالقِيَام عَلىٰ شُؤُون بيتِها».

قُلْتُم لَها: «نَحنُ لا نَتزَوَّج مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَن نُحِبُّها ونَرْضَاها وَيُلائم ذَوْقُها ذَوْقَنَا وَشُعُورُها شعُورَنَا» فرَأت أنَّه لا بدَّ لها أنْ تَعْرفَ مَواقِعَ أَهْوائِكُم وَمَبَاهِجَ أَنْظَارِكُم لِتَتَجَمَّلَ لكُم بِمَا تُحِبُّونَ، فَرَاجَعَت فَهْرَسَ حَيَاتِكُم صَفْحَةً صَفْحَةً فَلَم تَرَ فيهِ غَيرَ أسماءِ الخَلِيعَاتِ المُسْتَهْتِرَات وَالضَّاحِكَات اللاَّعباتِ، والإعجاب بِهِنَّ والثَّناء عَلَيهِنَّ، فَتخَلَّعت وَاسْتَهْتَرَت لِتكْسَبَ رضَاكُم وَتَنْزِلَ عِنْدَ مَحَبَّتِكُم، فَأَعْرَضْتُم عنْها وَنَبَوْتُم، فَرَجَعَت أَدْرَاجَها خَائِبَةً منْكَسِرَةً وقَد أَبَاها الرَّفيعُ وترَفَّعَ عنها المُحْتَشِمُ.

فَهَل تَوَدُّونَ أنْ تَتَحوَّل المرأةُ المسلِمَةُ إلىٰ هَذِهِ الصُّورَة السَّاقِطَةِ بَعْدَ تِلْكَ الحَيَاةِ العَفِيفَةِ المُطْمَئِنَّةِ الكريمة؟!. نَسأَلُ اللهَ تَعالىٰ أنْ يُصْلِحَ أحوَالَنَا، وأنْ يَستُرَ عُيوبَنَا.

خدعوها

أحمد شوقي:

خدَعُوهـــا بِقَـولِـــهِم حَسْـــناءُ والغَوانِـــي يَغُـــرُهُنَّ الثَّنَـــاءُ
أَتُـــراها تَنَاسَـــت اسمِـــي لَمَّـــا كَـــثُرَت في غَـرامِـــها الأسْـــماءُ
إنْ رَأَتْنِي تميـــلُ عَنِّـــي، كَـأن لم تَـــكُ بَـــينِي وبَيْنَهَـــا أشْيـــاءُ
نَظْـــرةٌ، فابتِسَامَـــةٌ، فـــسلامٌ فكـــلامٌ، فَمَوعِـــدٌ، فَلـــقَاءُ
يـومَ كنَّـا ولا تَسَـل كيـفَ كنَّـا نَـــتَهَادى مِـــنَ الهَـــوى مَـــا نَشَـاءُ
وَعَلينَـــا مِـــنَ العَفَـــافِ رَقِـــيبُ تَعِبَـــت في مَـــرَاسِهِ الأهْـــواءُ
جَـاذَبَتْني ثَوبِـي العَصِـيّ وقَـالتْ أنتُـــم النَّـــاس أَيُّـــها الشُّعَـــرَاء
فَـاتَّقوا اللهَ في قُلـوبِ الْـعذَارَى فالعـــذَارَى قُلوبُهـــن هَـــواءُ

❖ ❖ ❖

الفتاة المسلمةُ في عيون أمريكي مُتحرِّر

مِـن أجمـلِ مَـا قـرأت.. مِـن أمريكـي غايَـةً في التَّحـرر يُبـدي إعجابَـهُ بِتَستُّر الفتاةِ المسلمةِ رَغْمَ اختلافِ الدِّيانات والتَّوجهات.. فيقول :

البرقع مقابل البكّيني فسوق المرأة الأمريكية

« البرقُع مقابِل البكيني فسُوق المرأةِ الأمريكية » عنوان لمقال سطره د. « هـنري ماكوو » يبدي من خلالهِ تقديرَهُ للحياءِ كصفةٍ ملازمةٍ للفتاةِ المسلمةِ كما لا يُخْفي احتِرامَهُ للمـرأةِ المسلمةِ التي تكرّس حياتَها لأسرتِها وإعـدادِ النَّشئ وتربيتِـهم. وعلىٰ الوجهِ الآخرِ يبوحُ بما يُضْمِرُهُ مِن استياءٍ نتيجـةَ اللانحطاطِ القيمي والهياج الجنسيّ الّذي تعيشُهُ الفتاةُ الأمريكيةُ.

د. هنري ماكوو - أستاذٌ جامعيّ ومخترع لعبة (scruples) الشهيرة ومؤلـف وباحث، مُتَخَصِّص في الشّؤون النّسوية والحركاتِ التّحررية.

وهذا المقالُ يعكسُ مَدَى إعجاب بعض المنصِفينَ مِن دُعَاةِ التَّحريـر في الغـربِ بقيمِنَا الإسـلاميةِ رَغْـم اختـلاف الإيدلوجيات والتّوجـهات. وقَـد أثـار مقـال د. « هنري » ردودَ أفعال في الشارع الأمريكي بينَ مُؤيِّد ومعارض.

صورتان مُتناقضتان

يقـول د. « هـنري » في مقالِهِ : (علىٰ حائطِ مكتَبي صورتَـان، الأولىٰ صـورةُ امرأةٍ مسلمةٍ تَلْبِسُ الـبرقُعَ - النِّقـاب أو الغِطـاء أوالحجَـاب - وبجانِبِـها صُـورَةُ مُتَسَابِقَةِ جمالٍ أمريكيّة لا تَلْبِسُ شَيئاً سِوى البكّـيني، المرأةُ الأولىٰ تَغطَّت تماماً عَن العَامَّةِ والأخرى مكشُوفة تماماً) هكَذا كانَت مُقدِّمة المقالة والَّتي تُعْتَبَرُ مَدْخـلاً لعرضِ نموذجين مُخْتَلِفَين في التَّوجُّهات والسُّلُوكيات.

حربٌ مُتَعَدِّدة الأهداف

يشيرُ الكاتبُ إلىٰ الدَّوافع الخفيَّةِ لحربِ الغربِ علىٰ الأمَّـةِ العَربيـةِ والإسلاميَّةِ موضحاً أنَّها حَرْبٌ ذات أبعادٍ سِيَّاسيَّةٍ وثقافيَّةٍ وأخلاقيَّةٍ، إذْ أنَّها تستهدفُ ثَروات ومدَّخراتِ الأمَّةِ، إضافةً إلىٰ سلبها مِن أثمن ما تَمْلِـك: دينهَا، وكنوزهَا الثَّقافية والأخلاقِيَّة.

وعلىٰ صعيدِ المرأةِ فاستِبْدَالُ البُرقع وما يحمِلُهُ مِن قِيَم بالبكِّيني كناية عَن التَّعري والتَّفسُّخ. يقولُ الكاتب: (دورُ المرأةِ في صَميم أيِّ ثقافَةٍ، فإلىٰ جانِبِ سرقَةِ نِفْطِ العربِ فإنَّ الحربَ في الشَّرق الأوسطِ إنَّما هي لتَجْريدِ العربِ مِن دينِهِم وثَقَافَتِهم واستِبْدَالِ البُرقع بالبكِّيني)!

دفاعاً عن القيم

يمتدح د. «هنري» القِيَمَ الأخلاقيةَ للحجابِ أو البُرْقُع، أو مَا يَسْتُر المـرأةَ المسلمةَ فَيَقُول: (لستُ خَبيراً في شؤونِ النِّساءِ المسلماتِ وأحبُّ الجمالَ النِّسَائِيَّ كثيراً مما لا يَدْعُوني للدِّفاع عَن البُرْقُع هنَا، لكنِّي أُدَافعُ عَن بَعْضٍ مِنَ القِيَم الَّتي يُمَثِّلُهَا البرقعُ لي) ويضيفُ قائلاً:

(بالنِّسبةِ لي البرقُع (التَّستُّر) يُمَثِّلُ تكريسَ المرأةِ نَفْسَهَا لِزَوجِهَا وعَائِلَتِـهَا، هُـم فَقَط يَرَوْنَها وذلكَ تأكيداً لخصُوصِيَّتِها).

وكأنَّ د. «هنري» يَتَّفِقُ هنَا مَع ما ذَهَبَت إليـهِ السَّيدةُ عائِشَـةُ ﷺ لما سُئِلَت: أيُّ النِّساءِ أفْضَلُ؟ فقالَت:

(الَّتي لا تَعْرِفُ عيبَ المقـالِ ولا تَـهْتَدِي لمكرِ الرِّجَالِ، فارغِـةَ القَلْـبِ إلاَّ مِنَ الزِّينَةِ لِزَوْجِهَا، والإبقَاء علىٰ رِعَايَةِ أولادِهَا) أو كمَا قَالَت رضي اللهُ عنها.

المسلمةُ مربِّيةُ أجيالٍ

ويُشيدُ الكاتبُ بمهمَّةِ ورسالَةِ المسلمةِ والمتمثِّل في حِرصِهَا علىٰ بَيْتِهَا واهتِمَامِهَا بإعدادِ النَّشئِ الصَّالح فيقول: (تركيزُ المرأةِ المسلمَةِ مُنْصَبٌّ علىٰ بيْتِهَا العشّ، حيثُ يُولَدُ أطفَالُها وتَتِمُّ تربيتُهُم، فَهِي الصَّانِعَةُ المحلِّيةُ، هي الجذْرُ الّذي يُبقي علىٰ الحياةِ والرُّوح للعَائِلَةِ المسلمةِ. تُرَبِّي وتُدَرِّبُ أطفَالَها.. تَمُدُّ يَدَ العونِ لِزَوْجِهَا وتكون مَلْجأً لَهُ).

وماذا عَن المرأةِ الأمريكيَّة؟

بعدَ الانتهاءِ مِن شرح الصُّورةِ الأولىٰ الَّتي علىٰ مكتَبِهِ وهي صورَةُ المرأةِ المسلمةِ يَنْتَقِل د. «هنري» إلىٰ الصّورة الثّانية فيقولُ: (علىٰ النَّقيضِ، ملكة الجمال الأمريكية وهي تَرتَدِي البكّيني فهي تختالُ عاريةً تقريباً أمامَ الملايين علىٰ شاشَاتِ التَّلفزةِ - وهي مِلْكٌ للعَامَّةِ.. تَسُوقُ جِسْمَهَا إلىٰ الْمُزَايدِ الأعلَىٰ سِعْراً - هي تبيعُ نَفْسَها بالمزادِ العَلَنِيِّ كلَّ يوم)

ويضيفُ قائلاً: (في أمريكا المقياسُ الثَّقافيُّ لقيمَةِ المرأةِ هُو جَاذِبيَّتُها، وبهذِهِ المعاييرِ تَنْخَفِضُ قيمتُها بسرعةٍ.. هي تَشْغَل نَفْسَهَا وتُهْلِك أعصَابَها للظُّهُور)

الجنسُ والعواطفُ الفارغةُ

يَنْتَقِد د. «هنري» فترةَ المراهَقَةِ الشَّاذَّة التي تعيشُهَا الفتاةُ الأمريكيةُ حيثُ التَّعري والجنس والرَّذيلة فيقول: (كمراهِقَةٍ قُدوتُها هي «بريتني سبيرز» المطربةُ التي تُشْبِهُ العرايَا، مِن شَخصيّة «بريتني» تَتعَلَّم أنَّها ستكون محبوبَةً فَقَط إذا مارَسَت الجنسَ.. هكذا تَتعَلَّم التَّعلُّق بالعواطفِ الفارغةِ بدلاً من الخطوبةِ والحبِّ الحقيقيّ والصَّبر).

الفتاةُ المسترجِلَةُ

ثمَّ يُعَرِّجُ الكاتبُ إلىٰ الآثارِ السّلبيةِ لتلكَ الحياةِ الماجنَةِ الَّتي تَعيشُها الفتاةُ الأمريكيَّةُ فيقول: (العشراتُ مِن الذّكُور يَعْرِفُونَها قَبْلَ زَوْجِهَا.. تَفْقِدُ بَراءتها الَّتي هي جزءٌ مِن جَاذبيَّتِها.. تُصْبحُ جامدةً وماكرةً.. غَيْرَ قَادِرة علىٰ الحبِّ)..

ويُشيرُ إلىٰ أنَّ المرأةَ في المجتمع الأمريكيّ تجدُ نفْسَها مُنقَادةً إلىٰ السُّلوكِ الذُّكوريّ مما يَجْعَلُها امرأةً عُدوانيَّةً مضطربةً لا تَصْلُحُ أنْ تكُونَ زوجَةً، أو أمّاً إنما هي فقط للاستِمتَاع الجنسيّ وليسَ للحبِّ أو التكَاثر.

النِّظام العالمي يكَرِّسُ العزلَةَ

وينتقد د. «هنري» نظامَ الحياةِ في العَالم المعاصِرِ حيثُ التَّركيز علىٰ الانعِزَاليَّة والانفِرَادِ فيقول: (الأُبُوَّةُ هي قِمَّةُ التَّطوّر البشريّ، إنَّها مرحلةُ التَّخَلُّصِ مِن الانغِمَاس في الشَّهوات حتَّىٰ نُصْبحَ عِبَاداً لله.. تَربيةً وحياةً جديدةً)..

ويضيفُ قائلاً: (النِّظامُ العالميُّ الجديدُ لا يُريدُنا أنْ نَصِلَ إلىٰ هذا المستَوى من الرُّشْدِ.. حيثُ يريدونَنَا مُنفردينَ مُنْعَزلِينَ.. جَائعينَ جِنْسيّاً، ويُقَدِّمُ لنا الصُّورَ الفاضِحَةَ بديلاً للزَّواج)..

احذَرُوا خدعَةَ تَحريرِ المرأة

ويكشف د. «هنري» زيفَ ادِّعاءاتِ تَحرير المرأةِ وَيَصِفُها بالخدعَةِ القَاسِيةِ إذْ يقول: (تحريرُ المرأةِ خِدْعَةٌ مِن خدع النِّظام العالميّ الجديدِ، خدعَةٌ قاسيةٌ أغوَت النِّساءَ الأمريكيات وخَرَّبتِ الحضارةَ الغربيّةَ).

ويؤكّدُ الكاتبُ أنَّ تحريرَ المرأةِ يُمثِّلُ تهديداً للمسلمينَ فيقول: (لقَد دَمَّرتِ الملايينَ من العائلات المسلمةِ وتمثِّل تهديداً كبيراً لهم).

وأخيراً يقول د. «هنري» : (أنا لا أدافعُ عَن البرقع (أو النِّقاب - أو الحجاب) لكن إلىٰ حَدٍّ مَا بعضُ القِيَم الَّتي يمثِّلُها، بِصِفَةٍ خاصَّةٍ عندمَا تَهَبُ المرأةُ نَفْسَها لِزَوْجِهَا وعَائِلَتِها والتَّواضُع والوقَار يَسْتَلْزِمُ مِنِّي هذهِ الوقفةَ). ا. هـ

بَعْدَ أنْ قَرأنا مقَالَتَهُ نسألُ بصراحةٍ شديدةٍ: أليسَ هَذا الكاتبُ وأمثالُهُ أكثر صِدْقاً وجرأةً وقولاً للحقِّ مِن الكثيرِ مِن دعاةِ العلمانيَّةِ في بلادِ المسلمينَ؟!

ألا يكفي المرأةَ المسلمةَ فَخْراً بأنْ يَشيدَ بمكارم أخْلاقِهَا مَن لَيْسُوا علىٰ دِيْنِها؟ والفضلُ مَا شَهِدَت بهِ الأعداءُ..

[محمد الكندري، إعلامي وباحث في شؤون المنظمات الخيرية، بتصرف].

❖ ❖ ❖

إلى أختي التي لم تتحجب بعد..

بسم اللهِ والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آلهِ وصحبهِ أجمعين وعلىٰ نسائهِ الطَّيبات الطاهرات وَمن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين..

أختي الحبيبة:

سلامٌ مِنَ اللهِ عليكِ ورَحْمَةٌ وبركاتٌ..

سلامٌ مِنَ الَّذي خَلَق السَّموات والأرضَ والطُّيورَ والأزهَارَ..

سلامٌ مِنَ الَّذي خَلَقَ لنَا العينين واللِّسانَ والشَّفتين..

سلامٌ مِنَ الَّذي لو جَلَسْنا معاً نُحصِي نِعَمَهُ عَلَيْنا لَن تكفِي مئةُ سنةٍ لجلسَتِنا..

هَذا هُو رَبُّ العبَادِ الَّذي خلقَ ودَبَّرَ وأعطَىٰ وقدَّر..

والَّذي أعْلَمُ عِلْمَ اليقينِ أنَّ حُبَّهُ ملأ قَلبي وَقَلْبَك..

هذا الحبُّ الذي لَولاه لكنَّا تَائهينَ حائرينَ.. لولاه لكنَّا في ضلالٍ مبين.. أليسَ هُو مَن يَتَودَّد إلينا ويَدْعُونا إليهِ كلَّ حين، بَل ويقولُ: أغْفِرُ زَلاَّتكُم وهَفَواتكم ومَا أكثَرَهَا مِن زلاتٍ وهفواتٍ..

أليسَ هُو من يَمُدُّ يَدَهُ إلينا كلَّ ليلةٍ ليتوبَ مُسيءُ النَّهارِ.. وبكرمِهِ تَعَالىٰ يعودُ ويفعلُ ذلكَ في النَّهارِ أيضاً ليتُوبَ مُسيءُ الليل..

ألم تقرئي قولهُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا» [مسلم].

فباللهِ عليكِ أيجوزُ أنْ يخلقنا ونعبُدَ غَيْرَهُ؟ ويرزُقنا ونَشكُرُ سِواه؟ أيجوزُ أنْ يكونَ خَيْرُهُ إلينا نازلٌ وشَرُّنا إليهِ صَاعِدٌ.. نعصيهِ ونُطيعُ عدُوَّه الشَّيطان..

أليسَ هو الّذي يَتحبَّبُ إلينا بالنِّعَم وهـو الغَـنيُّ عنَّـا.. ونَتَبَغَّضُ إليهِ بالمعاصِي ونحنُ أفقَرُ شيءٍ إليهِ..

أليسَ هو الَّذي إذا أقْبَلْنَا إليهِ تَلَقَّانا مِن بعيدٍ وإن أعْرَضْنا عنهُ نَادَنـا مِـن قَريـب وإذا تَركْنا لأجلِهِ أعطانَا فوقَ المزيدِ..

إنْ تُبنا إليهِ فهو حبيبُنَا فإنَّهُ حبيبُ التَّوابِـينَ والمتطـهرينَ وإنْ لم نَتُـب إليـهِ فـهو طبيبُنَا يَبْتَلِيْنَا بالمصائبِ ليُطَهِّرنا مِنَ المعايبِ..

الحسنةُ عندَهُ بعشـرةِ أمثالِـها إلىٰ سبعمئةِ ضعـفٍ إلىٰ أضعـافٍ كثيرة، والسَّيِّئةُ عندَهُ بواحدةٍ فإنْ نَدِمنَا عليهَا واستَغْفَرنا غَفَرَهَا لنا.. يشكُرُ اليسيرَ مِنَ العَمَلِ ويَغْفِرُ الكثيرَ مِنَ الزَّلـلِ.. رَحْمَتُـهُ سَبقَت غَضَبَهُ وحلمُـهُ سَـبَقَ مُؤاخَذَتَـهُ وعَفْـوهُ سـبقَ عُقُوبَتَهُ.. وهو أرحَمُ بعبادِهِ مِنَ الوَالِدَةِ بوَلَدِهَا.

فباللهِ عليكِ أفبَعْدَ هذا الحبيب حَبيب؟ وبَعْدَ هـذا الطَّبيب طبيب؟ وبعـدَ هـذا القريبِ قَريب..

مَن كان هكذا عَطفُهُ، ومَن كانَ هكَذا حلْمُهُ، ومَن كـانَ هكَذا عَفْوهُ، ومَن كانَ هكذا رحمَتُهُ، ألا يجـدُرُ أنْ تكونَ عبادَتـهُ أحـقّ شـيءٍ في حياتِنَا.. وأن تكـونَ طاعتهُ نصبَ أعيننا، وأنْ يكونَ حُبُّهُ أكبَر حُبٍّ وفَوقَ كُلِّ حُبٍّ.. أعلَـمُ بكـلِّ يَقيـنٍ أنَّكِ ستَقُولينَ: «بلىٰ».

إذاً أختي في اللهِ، الَّذي خَلَقَني وإيَّاكِ، وحمَاني وإيَّاكِ، ورَزَقني وإيَّـاكِ، هيَّا بنَـا نَتَقـرَّبُ إلىٰ خَالِقِنَـا ورازِقِنَـا الّـذي أقَـلّ مـا نَتَقَـرَّب بـهِ إليـهِ التزامنَـا بالحجَـابِ الشَّرعيّ.. الّذي هو عفّةٌ وطهارةٌ وعُلُوٌّ ومِيْزَةٌ حَبَانَا الرَّحمنُ نحنُ المسلمات بِهِ..

أختي الحبيبةُ: ما كَتَبْتُ لكِ هذهِ الكلماتِ إلاَّ لحبِّي لـكِ في اللهِ، ولخشـيَتِي

عَليكِ وحِرصِي علىٰ مَصْلَحَتَـكِ فَـأرجُو أنْ تكْمِلـي قراءتَـهَا فإنْ لم تَفِـدْكِ بشـيءٍ فَمِن المؤكَّدِ أنها لَن تَضُرَّكِ وإنْ أفادَتْكِ فهو فَضْلٌ مِنَ اللهِ تعـالىٰ فَلا تَنْسـينَ حَمْدَهُ ولا تَبْخَلينَ علينَا بالدُّعاء فكُلُّنا فُقَراءُ إليه..

أختي الحبيبةُ: لماذا لم تَلْبَسي الحجَابَ؟.. سَأُجِيْبُ عَلىٰ هـذا السُّؤال بِسَائغ الاحتِمَال.. ولنَقُل مثلاً إنَّكِ تُريدِيْنَ تَأجيلَ الأمرِ إلىٰ مَا بَعْدَ الزَّواج..

فَهَل مَنَعَ الحجابُ الفَتَيَاتَ مِن الزَّواج؟

وهَل تَضْمَنينَ أنْ يكونَ زَوْجُكِ الَّذي اختَارَكِ وأنتِ غيرُ مُحَجَّبـة يُوافِقُ علىٰ ارتِدَائِه بَعْدَ الزَّواج؟

وهَل تَضْمَنينَ أنْ يكونَ رَجُلاً مُتَدَيِّناً وقَد اختَارَكِ وأنتِ مُتَبَرِّجَة؟

وهَل تَضْمَنينَ أنْ تعيشِي حتَّىٰ تَتزَوَّجي؟ وإنْ لَم يكتُبِ اللهُ لـكِ الزَّواجَ فمَتَىٰ سَتَرْتَدينَهُ؟

وربَّما قُلت: إنِّـي لا أبدُو جميلـةً بالحجـابِ.. ومَن قـالَ لـكِ ذَلِكَ؟ بَل أنتِ بحجَابِك أجْمَلُ أتعْرفينَ لماذا؟ لأنَّ وَجْهَكِ سَيَسْتَنيرُ بنورِ الإيمانِ وبِرِضَا الرَّحمن عليكِ، وستكُونينَ وَقُورةً أكْثَرَ، وسَيُلْقِي اللهُ في قلـوبِ البَشَرِ القَبُولَ والمحَبَّةَ لـكِ لِطَاعَتَكِ لأَمْرِهِ.. وهناكَ شيءٌ مُهِمٌّ أنَّ مَن سَـيَخْتَارُكِ زَوجَةً لـهُ لَـن يختَارَكِ بشكلٍ مُزَيَّفٍ ويوجهٍ مليءٍ بالأصبَاغ فَهُو حينَ يُعْجَبُ بِكِ دُونَ مكياج سَيَزْدَادُ حبّاً ورغبةً فيكِ حينَ تَتجَمَّلينَ لَهُ وَالعكسُ صحيحٌ..

والآن لِنَنْتَقِل لأمرٍ آخَرَ يَـا أختِـي الغَاليَـةَ.. لِنَقُـل إنَّـكِ تَستَمتِعينَ بِعبَاراتِ الإعجابِ الَّتي يُلقيْها عليكِ الشَّبابُ.. فَهَل هَذا الأمرُ يَرْفَعُ مِن قَدْرِكِ أم العكسُ؟

أقولُ لكِ بصراحةٍ: هَل تَرضينَ أنْ تَتحوَّلي لمجردِ شَيءٍ مُلفِتٍ للنَّظَرِ؟ عُرْضَةً لمختَلَفِ العباراتِ البَذيئَةِ؟ هَل منهم مَن تَعْتَقِدينَ أنَّهُ الرَّجُل الَّذي يَصْلُحُ لأنْ

يكونَ زوجاً لكِ وأباً لأولادِك؟ هل أمْعَنتِ النَّظرَ في هيئاتِهم المخجلةِ وشخصيَّاتِهم التَّافهة؟ أنتِ أكبرُ وأغلَىٰ وأعزّ مِن أنْ تكونينَ كذلك فاحفظِي نَفْسَكِ وقَدْرَكِ وقيمَتَكِ بالحجاب..

أرادنا الرَّحمنُ يا ابنتِي أنْ نكونَ كُنوزاً مكنُونَةً.. أرادنا أنْ نكونَ دُرَراً مَصُونَةً.. أرادَنا أنْ نكونَ لآلئَ مَحْفُوظَةً..

فَهَل سَبَقَ وأنْ رَأيتِ كَنْزاً مُلْقىً علَىٰ قارعةِ الطَّريقِ.. أو دُرَّةً تُرمَىٰ بجانبِ الشَّارع.. أو لؤلؤةً لا حَافِظَ لَهَا..

إنما كانَت قارِعَةُ الطريقِ وجَانِب الشَّارع للأشياءَ الَّتي لاقيمةَ لها ولا يحفظُهَا الناسُ عادةً بل هِي لسفَاسِفِ الأشياءِ وليس أثمنهَا.. للقمامةِ وأمثالها.. فَمَع مَن تريدينَ أنْ تكوني؟ لا أظُنُّكِ تُريدينَ إلاَّ أن تكوني مَع الغَالي فأنتِ غاليةٌ.. غَاليَةٌ بِدِينِك.. غَالِيةٌ بإيمانِكِ.. غَاليةٌ بحيائِكِ.. غَاليةٌ بعفافكِ.. حتَّىٰ وإنْ تَعالَت أصواتُ تَوابع مَن لا دِينَ لَهم، الَّذين لا يُريدونَ إلاَّ أنْ تكوني عاريةً مِن أغلَىٰ الأشياءِ وأثمنِهَا وأحَبِّها إلىٰ قَلْبِك.. حِجَابُكِ.. والَّذي يحملُ شِعَاراً كُتِبَ عَلَيْهِ: «أنا طاهِرَةٌ.. أنا رَاقِيَةٌ.. أنا غَالِيَةٌ.. أنا شَرِيفَةٌ».. أجل يا ابنَتِي.

أختاهُ إنَّ لطاعَةِ اللهِ حَلاوةً في القَلْبِ سَتَذُوقينَها حينَ تُعْلِنينَ تَحَرُّرَكِ مِن عبوديةِ الشَّيطانِ باتِّبَاعكِ لأوامِرِ الرَّحمن.. إنَّ للحجابِ فَوائِدَ جَمَّةً سَتَجِدينَهَا حينَ تَلتَزمِينَ بِلبسهِ بالشَّكلِ الشَّرعي.. سَيَنْشَرِحُ صَدْرُكِ ويُضيءُ قَلْبُكِ وَتَرْتَاحُ نفسُكِ، وتَنْفَرِجُ هُمُومكِ وكيفَ لا؟ والله يَقُول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ويقولُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ [الطلاق: ٤].

ويقولُ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ [الطلاق: ٥].

هذا وعدٌ مِنَ اللهِ يا ابنتِي واللهُ لا يُخْلِفُ الميعادَ فَمَاذا تَنْتَظِرينَ؟

عاهِديني باللهِ عَلَيْكِ أنْ تكُوني مِنَ الصَّالحاتِ فَواللهِ لَن تَنْدَمِي يوماً مِنَ الأيَّام وهَلُمّ إلىٰ رضَىٰ الرَّحمن واْجْهدي واْحرِصِي أنْ لا يَظْهَرَ شيءٌ ولو يَسيرٌ مِن جَسَدكِ، قربةً لكِ عِنْدَ الرَّحمن مبتغيةً بذلكَ حُبَّهُ لكِ ورِضَاهُ عَنْكِ وعليكِ، وسَوفَ تَريْنَ يومَ تَقُومُ السَّاعَةُ مَن تكونُ له عُقْبَىٰ الدَّار.

أختي المسلِمَةُ: إنَّني أخاطِبُكِ اليومَ فأنتِ الّتي ارتَضَيتِ اللهَ ربّاً ومحمَّداً ﷺ نبيّاً، وكتابَ اللهِ دليلاً ومِنْهاجاً.

أُخَاطِبُكِ لأنَّكِ أنتِ الّتي تُؤمنينَ بِالبَعْثِ بعدَ الموتِ وبالحسابِ يومَ الحشرِ.

أُخَاطِبُكِ اليومَ وأنا مُتَفَاءِلٌ لأنْ تَفتَحِي قَلْبَكِ للهدَى ولأن تَستَمِعِي لِنِدَاءِ اللهِ تَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وإنَّ القلبَ ليتَألَّم شديدَ الألم مما وَصَلَ إليهِ الحالُ اليومَ من تبرُّجٍ وتركٍ للحجابِ عِنْدَ البعضِ مِن أخوَاتِنَا المسلماتِ، ومَا هَذا إلاَّ نَتيجَةً لِبُعْدِنا عَن كلام رَبِّنا وعَن سُنَّةِ رَسُولنا ﷺ ولِبُعدِنا عَن أحوالِ سَلَفِنَا الأمَاجِد.

أختي الكريمة.. أنْقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّار مِن قبلِ أنْ يَأتي يومٌ تَنْدَمينَ فيهِ علىٰ أيَّام أضَعتِيها في التَّبرج والاختلاطِ ومَعصِيَةِ اللهِ تعالىٰ، وأنتِ تَعْلَمينَ قَولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: « .. ورَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَراً قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ».

[حديثٌ صحيحٌ، متفق علىٰ صحته].

فالحياةُ الطيبةُ هي تلكَ الَّتي تَعيشُها المسلمةُ في ظلِّ الطاعةِ للهِ تعالىٰ ولرسُولِهِ قَال تَعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]. فلا تُبالي أُخيَّتي حينَها بما يقولُهُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ، ولكِ في خَديجةَ وعائِشَةَ وفَاطِمَةَ الأسوة الحسنَة..

لَـو كَـانَتِ النِّسَـاءُ مِثْلَـهنَّ لَفُضِّلَتِ النِّسَـاءُ علىٰ الرِّجَال
وَمَا التَّأنيثُ لاسم الشَّمسِ عَيْبٌ ومَـا التَّذكـيرُ فَخْـرٌ للـهِلال

فـاللهُ سُبحانَهُ وتعالىٰ أمرَ بالسِّتر والعفَافِ، أمَرَكِ بالجلبابِ السَّاتِر حتَّىٰ لا يؤذيكِ الفجرَةُ بالنَّظراتِ المريبةِ وبالكلام السَّاقطِ القبيح، وحتَّىٰ يَطْهُر المجتَمَعُ مِن الفحشاءِ والفسادِ الخُلُقيّ.. وما شُعُوركِ أختي الكريمة وأنتِ تَقْرئينَ في القرآنِ هَـذا الكلام الوَاضح الصَّريح الَّذي أُنْزِلَ مِن عندِ اللهِ العليم الخبيرِ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب:٥٩].

وقَد صَدَقَ القَائِلُ :

هـذا هُـو الحـقُّ مَـا بـِهِ خَفَـاء فَدَعـني عَـن بُنَيَّـاتِ الطَّريـق

فمـا بـالكِ أُختي المسلمَة يَضيـقُ صَدْرُكِ مِن هـذهِ الأوامِرَ السَّاميةَ الَّتي هـي مفتاحُ السَّعادةِ في الدَّارين.. يقولُ تَعالىٰ : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]. فلماذا لا تَتَّبعينَ مَن سَبَقَكِ إلىٰ هَذا الـدَّربِ، مِنَ الصَّالحاتِ اللَّواتي مَنَّ اللهُ عليهنَّ بالهدايةِ ؟ لماذا تختـارينَ هـذا الظـلامَ الحـالِكَ، دَرب جَهنَّم والعياذُ باللهِ ؟ قَالَ ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤُوسُهُنّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَها، وَإِنَّ رِيحَها لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا

وكَذَا». فهذا تحذيرٌ شديدٌ مِنَ التَّبرُّج و السّفور، ولبسِ الرَّقيقِ والقَصِير مِنَ الثِّيابِ، والميلِ عَن الحقِّ والعِفَّةِ، و إمَالَةِ النَّاسِ إلىٰ البَاطِل.

فَمَالي أراكِ تَارَةً تَستَحينَ مِن طاعةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتَارَةً تقُولِينَ: «إنَّ الحجابَ حِجَاب القَلْبِ، وإنما الأعمالُ بالنِّيات». فسبحانَ اللهِ، أما تَقْرئينَ قولَهُ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الاحزاب: من الآية٥٣]. أي أطهَرُ لِقَلْبِ عَائِشَةَ وزينبَ وحفصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، فَهَل أنتِ أطْهَرُ قلباً مِنْهُنَّ ؟

أُختي الكَريمة: هل تعلمينَ مَاذا قَالَ الخبيث «جلادستون» قال: (لا يمكِنُ أنْ تَتَقدَّمَ بلادُ الشَّرقِ إلاَّ بأمرينِ: أنْ نَرْفَعَ الحجابَ عَن المسلمةِ ونُغَطِّي بهِ القُرآنَ».

فَهَل ستكونينَ أنتِ جُنْديَّةَ الخبثاءِ المحاربينَ للإسلام؟ وقَد صَدَقَكِ القَائل بِنَصيحَتِهِ.

أختاهُ لا تَركَنِي لِقَرَارِ مُؤتمرِ الهَوَى ... فَسَجِيَّةُ الدَّاعِي سَجيّة ثَعْلَب
لا تَخْدَعَنَّكِ لَفْظَةٌ مَعْسُولَةٌ ... مُزِجَت مَعَانِيها بِسُمِّ العَقْرَب

وأخْتِمُ هذهِ الكلمات بِسُؤال بَسيطٍ لَكِ: عندمَا يَقُومُ الناسُ لربِّ العالمينَ يَوم الحسابِ.. هَل هناكَ مَن هُو مُسْتَعِدٌّ مِمَّن نَظَرَ إليكِ وَاستَمْتَعَ بِأَنَاقَتِكِ وشَخصِيَّتكِ وجَمَالكِ وجَاذِبِيّتكِ، وشجَّعكِ علىٰ ذلكَ، هَل هُوَ مُسْتَعِدٌّ لأنْ يُعْطِيَكِ ولَو اليَسِيْرَ مِن حَسَنَاتِهِ أو أنْ يَأخُذَ عَنْكِ ولَو جُزءاً مِن سَيِّئَاتِك لِيُنْقِذَكِ مِن عذابِ التَّبرُّج أو مِن لهيبِ مبارَزَةِ الرَّحمنِ بِالسّفور؟.. أتركُ الجوابَ لكِ.. مُتَفائلَةً بجزيلِ حُبِّي لكِ وَخوفي عَلَيْكِ ورَحْمَة الباري بي وبِكِ..

وقَبْلَ أنْ أستودِعُ اللهَ دِينَكِ وأمانَتَكِ وَخواتِيمَ عَمَلِك.. أُهديكِ هذهِ الكلمَاتِ لإحدى الشاعرات، تقولُ فيها:

كـانَــت بِعِــزَّةِ إثمهَــا تتكبَّــر وَبِبُعْدِهَــا عَــن رَبِّهَــا تَسْتَهتِــرُ
ثـوبُ الفضيلَةِ لا يُوارِي جِسْمَهَـا بِعَبَــاءةِ الخَصْــرِ المريبَــةِ تَظْهَــرُ
مِكيَاجُهَــا يُـزْرِي بِنُــورِ حَيَائِهَــا وَعُطُورُهَــا مِــن جِسْمِهَــا تَتَبَخَّــرُ
وَتَهِيْجُ قُطْعَــانُ الذِّئَــابِ لِطَيْفِهَــا فـي السُّوق لَمَّــا أقْبَلَــت تَتَبَخْتَــرُ
لَعِبَت بِها الأوهامُ حتَّىٰ أصْبَحَـت تَهْفُــو لهــا ولأمْرِهَــا تَتَصَــدَّرُ
يَا وَيْلَـهَا ظَلَمَــت جمَــالَ أُنُوثَــةٍ رَيَّانَــةٍ والــوَرْدُ فيهَــا يُزْهِــرُ
ضَرَبَـت مَواعيـدَ الغَـرَام بجـرأةٍ واللهُ يَسْـمَعُ مَـا تَقُــولُ وَيُبْصِــرُ
لكــنَّ قَلْبــاً غــافلاً أنَّــىٰ لَــهُ في سـوءِ عَاقِبَـةِ الهـوى يَتَفكَّـرُ
هَجَرَت كتَـابَ اللهِ طُـولَ سنينِهَـا لا الخـوفُ يَغْشَاهَـا ولا تَتَذكَّــرُ
فــإذا بِأقْــدَارِ الإلــهِ تَحُوطُهَــا وإذا بألطَــافِ المهيمِــنِ تُسْفِــرُ
ورَأت كتَــابَ اللهِ يَومــاً صُدْفَــةً فَيَلِيْــنُ قَلْــبٌ جَامِــدٌ مُتَحَجِّــرُ
فَتَنَاولَتْــهُ عَسَــىٰ زَمَــان أسْــوَد مِــن عُمْرِهَــا بكتَابِــهِ يَتَنَــوَّرُ
يَـا حُسْـنَ مَـا قَرأتـهُ مِـن آياتِــهِ أوَ هَكَــذَا رَبِّــي لِذَنْبِــي يَغْفِــرُ
أوَ هَكَــذَا لُطْــفُ الإلــهِ وَبِــرُّهُ رَبٌّ غفــورٌ جــودُهُ لا يقصــرُ
يُعْطِي بِـلا عَـددٍ وَيُمْهِـلُ عَبْـدَهُ وهــو العَلِــيُّ القَــادِرُ المتكبِّــرُ
فـإذا بِهَــا تَشكُــو بغيــرِ تكلُّــم ودُمُوعُهَــا مِــن عَيْنِهَــا تَتَحَــدَّرُ
عَـادت فَتَـاةُ الأمـسِ للهِ الَّــذي يَعْفُــو وَيَغْفِــرُ للعبــادِ وَيَسْتُــرُ
صَلَّــت صَـلاةَ مُـودِّع وَتَأمَّلَــت فــي شَأنِهَــا وَلآيِهَــا تَتَدَبَّــرُ
يـا ربِّ تُبتُ إليـكَ فَاقْبَـل تَوبَتِـي أنـتَ العليـمُ بِنَـا وأنــتَ تُدَبِّـرُ
صَرِّف عَلَىٰ دِينِ الرَّسُولِ وشَرْعِهِ قَلْبِي الَّـذي يَهْفُـو إليـكَ وَيَجْـأَرُ

المرأة المعاصرة

في الوقتِ الَّذي يَرْسُمُ التَّاريخ فيهِ مَعْلَماً من مَعَالِمِهِ الفَاصِلَةِ في تَاريخ هذهِ الأمَّةِ المبتَلاة، وَتَشْتَدُّ المعركةُ بينَ الحقِّ والباطِلِ ضَرَاوةً علىٰ أرضِ الإسلام وَفي حُصُونِهِ، بَل في كلِّ بيتٍ من بيوتِهِ، تَتَطَلَّعُ الأنظارُ إلىٰ مَوقع المرأةِ المسلمةِ مِن هذا الصِّراع الدَّائرِ في جَانِبٍ عظيمٍ مِن جَوانِبِهِ عَليها هِي!!

فَدُعَاةُ التُّقَىٰ والعَفَافِ والطَّهارةِ والفضيلةِ قَائمونَ علىٰ الثُّغُورِ يَذُودُونَ عَن دِينِ المرأةِ وكَرامَتِهَا وعِرْضِهَا وشَرَفِهَا، وذئابُ الشَّهواتِ يَتَهَارَشُونَ علىٰ القطعَانِ الهائِمَةِ في أوديةِ الشَّهواتِ ومُسْتَنْقَعَاتِ الرَّذيلَةِ، ويَتَحَفَّزُونَ للانقِضَاضِ علىٰ المرأةِ المسلمةِ، هَذا يُمَزِّقُ الخمارَ، وذاكَ يُعَرِّي الصَّدْرَ، والآخرُ يَرُومُ نَزْعَ الإزارِ، لِتُصْبِحَ فريسةً ممزقةً بمخالبِ الفَاحِشَةِ، وطعماً لإيقَاعِ الأمَّةِ كُلِّها في شِبَاكِ المفسدينَ والعابثينَ بنساءِ هٰذهِ الأُمَّةِ.

ويتلفتُ الإنسانُ في عَالَمِنَا المعاصِرِ شَرْقاً وغَرْباً وشِمَالاً وجَنُوباً، فَلا يَرَى إلاَّ سعارُ الشَّهواتِ وحِمَىٰ المغريَاتِ، ويَرَى المرأةَ المسكينةَ تَترَنَّحُ تَحْتَ سِيَاطِهَا وَتَتَلَظَّىٰ بِلَظَاهَا، ويَرَى تحتَ طلاءِ «العصريّةِ والحرّيةِ والحضارةِ» لهيبَ الشّقاءِ والنَّكَدِ والعُبودِيَّةِ، وصدقَ اللهُ تعالىٰ القائل في كتابِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤].

إنَّ جَولةً واحدةً في إحدَى كُبْريَاتِ مُدُنِ الغَرْبِ أو الشَّرقِ تكفِي لإدراكِ هَذهِ الحقيقَة، ولكن مَن الَّذي يَرَى ذلكَ حقاً؟ إنَّهم الَّذين ينظرُونَ بنورِ الإيمانِ وَعَيْنِ البصيرةِ، الَّذين عَرَفُوا اللهَ وذكَرُوهُ فَعَرَّفَهم قيمةَ أنْفُسِهم وذكَرَهُم فيمن عِنْدَه، إنَّهم الَّذين فَقهُوا عَن اللهِ أمرَهُ، وأخَذُوا عَن رسولِ اللهِ ﷺ هَدْيَه، فَأدركُوا أنَّهُ لا

سعادَةَ ولا طُمَأنِيْنَةَ لهذهِ القلُوب في العَاجِلَةِ والعُقْبَىٰ إلاّ بالعبودِيَّةِ لله وَحْدَهُ، واتّباع سبيلهِ وَحْدَهُ.

أمّا الآخرونَ الّذين اجتَالهم قرناؤهُم من شياطينِ الجنِّ، واستَعْبَدَهُم أسيادُهُم مِن شياطينِ الإنسانِ، فَمَهْمَا رَأوا وسَمِعُوا فإنَّهُم تَرَاهُم يَنْظُرُونَ إليكَ وهُم لا يُبْصِرُونَ! ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

في مَطارِ «نيويورك» حيثُ مَشْعَلُ الحرِّيةِ يَرَى كلُّ واحدٍ مِن ملايينَ المسافرينَ المرأةَ الأمريكيةَ ـ الّتي يَغْبِطُها سائرُ نساءِ الدّنيا المغرورات علىٰ ما نَالَت مِن حُرِّيةٍ ومُسَاواةٍ ـ وهي تَحْمِلُ الحقائبَ مِنَ الطائرةِ إلىٰ المطارِ أو العكسِ علىٰ مَتْنِهَا بِلا عَرَبَةٍ، هكَذا رأيتُهَا بأمِّ عَيْني، وقُلْتُ لمرافِقِي: انْظُر حالَ هؤلاءِ المنكُوبَات؟! فقالَ: لكن أكثرهم من السُّودِ؟ قلتُ: وهذهِ طامَّةٌ أكبرُ وسوأةٌ أعظَمُ!!

وفي دَاخِلِ المطارِ كانت الموظّفةُ ـ وهي بَيْضَاء! ـ تتَضَجَّر مِن إرهاقِ العَمَلِ، فأرادَ أحدُهُم أنْ يُعزّيها ويُواسيها، فقالت: رَغْمَ كلّ هَذا العناءِ فأنا سعيدةٌ مادُمت في المطارِ، ولم أفْهَم أنا شيئاً. فقَالَت: إنَّهُم اللصوصُ خَارجَ المطارِ، إنَّ «نيويورك» مدينةُ إجرام فَظِيع، وأحياناً أقولُ: الشّقّة أنكَدُ مِنَ المطارِ، وأحياناً أقولُ: بلِ المطارُ أنكَدُ مِنَ الشُّقَّةِ!

وفي الفندقِ كانَت الموظفةُ عجوزاً مُتَغَضّنة الإهابِ مُحْدَودَبَةِ الظَّهرِ شَاحِبَةَ الوَجْهِ، تنوءُ يَدُها بمفاتيح الغُرَفِ، وتَحَدَّثْنا مَعَها قليلاً فكانَت مأساةٌ مِن نَوع آخَر، الزَّوجُ طَلَّقَها مِن سنواتٍ، والأبناءُ أحدهُما ضائعٌ لا تَعْلَمُ عنهُ شيئاً، والآخرُ في ولايةٍ نائيةٍ ولا يَهُمُّهُ مِن أمرِهَا شيئاً، ومَصِيرُها إلىٰ دارِ العَجَزَةِ الّتي تقولُ: إنَّها أنكَدُ سُجُون أمريكا، ولهذا اضطرت إلىٰ عَمَلٍ إضافيٍّ تُضَيِّعُ فيهِ وَقْتَها

وتجمعُ قدراً أكبرَ مِنَ المالِ، وبالطّبع لم نَسْألها: لأيِّ عُمُر تَجْمَعُهُ؟! ولمَ تكْنِزُهُ؟! فالحياةُ كلّها هناكَ سفينَةٌ هائمةٌ لا يَدْرِي راكِبُهَا ولا رُبَّانُها إلىٰ أيـنَ سَتَمْضِي ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

كانَ مُرافِقِي الكريم طوالَ الوَقْتِ يُواسِيني ويُصَبِّرني علىٰ المضَايقَاتِ الّـتي لم آلفهَا مِن قَبْلُ: الأجسادُ العاريةُ، والنَّظراتُ الزَّائغَةُ، والإباحِيَّةُ السَّاقِطَةُ، ولكنّي كنتُ في وادٍ وهُوَ في وادٍ آخَر.

وأخيراً صَارَحْتُهُ: صَحيحٌ أنَّ الإنسانَ يَصْعُبُ عليهِ أنْ يَغُـضَّ نَظَرَهُ هُنَا، وإنَّ الفِتْنَةَ تَضطرمُ في كلِّ مكانٍ، ولكنَّنِـي لم أجِد نَفْسِي في مكانٍ مَا أشـدّ أمناً علىٰ نظري وَقَلْبِي مِن هذهِ البلادِ! إنَّها تَنُّورُ نـارٍ هَـائِلٍ وأهلُها مُسجّورُونَ فيهِ، وأكـادُ أرَى اللّهيب يَشْوي هذهِ الأجسادَ العاريةَ، فأيّ فِتْنَةٍ حينئذٍ؟

إنَّ هذهِ المناظِرَ مَدْعَـاةٌ للإشفاقِ والرّثاءِ، وإنَّ الإنسـانَ مَهْمَا انحَطَّ في الشَّهوةِ لا إخالهُ يَتَلَذَّذُ بمنَاظِرِ المعذَّبينَ!

أقولُ لكَ: إنَّني لم أكُن أظنُّ أنَّ الشَّفَقَةَ علىٰ الكافرينَ تَبْلُغ بي إلىٰ هَذا الحدِّ! نَعَم، نحنُ نَتَألّم ونبكِي لمصـابِ المرأةِ المسلِمَةِ في الفِلبِّينَ، وأفغَانِسْتَان، وتَـايلانَد وبورما، وإريتريَا، وغـرب أفريقيـا، وفي كـلِّ مكَـانٍ، ومَـعَ ذَلِكَ فـإنَّ دِينَنَـا دِيـنُ رَحْمَةٍ يَدْفَعُنا أيضاً إلىٰ الرّثاءِ لحالِ هؤلاءِ النِّسوةِ المنكُوبَاتِ في بلادِ الظُّلمات.

والآنَ ـ يَا أخـي ـ عَرَفْـتُ أكـثَرَ بكثـيرٍ أنَّ مُرَوّجِـي الحيـاةَ الغَرْبِيّـة في وسَـائِل الإعلام المختَلِفَةِ ودُعَاة التَّبرُّج والسّفور.. وكلّ دُعَاةِ العِلمَانِيَّةِ في البلادِ الإسلاميّةِ لا يَقِلُّونَ خطراً علينَا، مِنَ الدَّمار النَّوويّ الّذي يُهَدِّدُنا بهِ أعداؤنا!؟ ولكن الفَـرْقَ أننا نُدرِكُ خَطَرَ هَذا ولا نُدْرِكُ خَطَرَ هَؤلاء!

[من مقدمة كتاب: كلماتٌ عابرات للمرأةِ المسلمةِ المعاصرة، للشيخ محمد أمين مرزا عالم].

أختاه عزك في حجابك فاعلمي

[علي بن حسن الحارثي]:

أختاهُ عزّكِ في حِجَابِكِ فَاْعلَمِي ... وامضِي بعزمٍ في الطريـقِ الأقـوَم
لا تَسْـمَعِي لِدِعَايـةٍ مَسمُومَـةٍ ... لا تُنْصِتِي لِرَبيـبِ قَلْـبٍ مُظْلِـمِ
كالنَّخْلَـةِ الشـمَّاء أنْـتِ رَفيعَـةٌ ... بَـل كَـالثُّريَّا أنـتِ بَـينَ الأنجُـم
تَتَسَـامَقينَ إلىٰ العُـلا بِعَقيـدَةٍ ... وَضَّـاءةٍ بِسَنَىٰ البيـانِ المحكَـم
أنـتِ الشّـمُوخُ بحـاضِرٍ مُتطَـامِنٍ ... تَدْعُـوكِ أُمَّتُكِ الـرَّؤوم فَـاْقْدُمِـي
أختَـاهُ: أبـواقُ الضّـلاّلِ كثيرةٌ ... في الغَـرْبِ أو في شَرقِنَا المستَسْـلِم
يَدْعُـونَ للتَّحريـرِ! دعـوىً فَجَّـةً ... وشِـعَارُهُم: لا بُـدَّ أنْ تَتقَدَّمِـي!
وشـعارهُم: حتَّـامَ أنـتِ حبيسـةٌ ... في قَبْضَةِ «السِّربَال» لا تَتظَلّمِي!
دَعْوىً وربِّ البيـتِ يَجْثُمُ حولَهـا ... حِقْـدٌ دَفـينٌ في فـؤادِ المجـرِم
دَعـوىً يُباركُها الصَّليبُ وتَنْتَشِي ... طرَباً لَـها نَفْسُ الرَّعِـينِ الأشَـأم
ويَصُـوغُ إخـوانُ القُـرُودِ بيانَـها ... ويُبَـارِكُ البُلَـهاءُ قَـولَ الأَجْـذَم
يَشْدُو بِـهَا الإعـلامُ في سَـاحَاتِهِ ... وَيَلُوكُـهَا بِلِسَـانِ وَغْـدٍ مُعْجَـم
عَبْرَ الصَّحَافَـةِ يَنفُثُـونَ سُـمُومَهُم ... ويصفِّقُـونَ لِقَـوْلَةِ المتَـهَجِّم
و"ظِلالُـهُم" أضْحَـت ضَـلالاً بَيِّنـاً ... صِيغَـت بحقْـدٍ ظَـاهِرٍ لم يُكْتَـم
يـا أخـتَ عائِشَـة وبِنْـتَ خَديجَـةٍ ... يَـا مَـن لأُمَّتِنَـا العَظيمَـةِ تَنْتَمِـي
قُـولي لَـهُم: كفُّـوا العـواءَ فَـإنَّني ... بِعَقيـدَتِي أسمُـو بِرَغْـم اللُّـوَّم

عزِّي حِجَابي ! ما ارتَضَيتُ بِغَيْرِه عَجَباً لمن هَزؤُوا بِعِزِّ المسلِم
أختاهُ : قُولي للَّتي خُدِعَت بِهِم وتَشَرَّبت سَفَهاً زُعافَ الأرقم
ما كلّ ذِي نُصْحٍ يُرِيدُ بِنُصْحِهِ خَيراً ولَو ألوى بكَفٍّ المُقْسِم
قولي لَها : خَدَعُوكِ حينَ تَظاهَرُوا بعبارةٍ معسُولةٍ وَتَبَسُّم
وببهرجٍ في الزَّيفِ يضربُ جَذْرُه وبِدَعْوَةِ (التَّحرير) ليتَكِ تَعْلَمِي !
في واحةِ الإسلام لَسْتِ حَبِيسَةً مَا حَالَ دِينٌ دُونَ أنْ تَتَعَلَّمي
بَل أنتِ للأجيالِ مَدْرَسَةٌ فلا تَهِني لما قَالُوا ولا تَسْتَسْلِمي
قولي لَها : عُودِي فَأنْتِ مَصُونَةٌ بحجَابِ دِينِكِ يَا أُخَيَّةُ فَافْهَمِي
كلُّ المَنَابعِ قَد تكَدَّرَ مَاؤُهَا وتَظَلُّ صَافِيَةً مَنَابعُ زَمْزَم

❖ ❖ ❖

حجابك ليس إرهاباً!

لقَد خلقَ اللهُ تَعالىٰ الإنسانَ في أحسنِ تَقويم وأجمَل صُورةٍ، قَالَ اللهُ تَعالىٰ:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ولقد فَضَّلَهُ أيضاً علىٰ كثيرٍ مِن خلقِهِ، وكَرَّمَهُ بكراماتٍ كثيرةٍ، ومَيَّزَهُ بخصائِص عَديدَة.. قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠].

ومِن تكريمِ اللهِ لهذا الإنسان أنْ أنزلَ عليهِ لباساً يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَيَتَزَيَّنُ بِهِ ويَتَجَمَّلُ، قَالَ اللهُ تَعالىٰ:

﴿يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦].

فاللِّباس لباسٌ مَاديٌّ لسترِ العورةِ، والزِّينَةُ والجمالُ شكلٌ آخَر مَعنويٌّ يَستُرُ سوءةَ النَّفس البشريةِ وهو لباسُ الإيمانِ والتَّقوى ومتىٰ اجتمَعَا في إنسانٍ فَقَد بلغَ الغايةَ في تحقيقِ الكمالِ الإنسانيّ، إنَّ الاستحياءَ مِن كشفِ العوراتِ واستِقْبَاح التَّعري وإبداء السَّوءات ليسَ عُرفاً إنسانياً ولا اصْطِلاحاً بشَرِيّاً، وإنما هوَ فِطْرَةٌ إلهيةٌ مَغرُوسَةٌ في عُمْق النَّفس البشريةِ مَا لم تُلوّثها الأوحالُ الجاهليةُ، ولذلكَ مَا إنْ ظَهَرت لآدمَ وحوّاء سوءاتهمَا لأوَّل مرَّةٍ بسببِ وُقُوعِهمَا في الخطيئةِ بِالأكلِ منَ الشَّجرةِ التي نَهاهُمَا اللهُ تعالىٰ عَن الأكلِ مِنْها حتَّىٰ سارَعا بِدَافع الفِطْرةِ رَغْمَ عَدَم وجودِ بَشَرٍ سواهما في ذلكَ الحينِ إلىٰ سَتْرِهَا بِوَرَقِ الجنةِ حياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وممّا تَميَّز بهِ الإنسانُ المتَحضِّرُ تاريخياً عَن الإنسانِ المتوحشِ الّـذي كـانَ يعيشُ في الغاباتِ والبراري باللِّباسِ والزّينةِ، فقَد خَصَّ اللهُ تَعَالىٰ كُلاً مِنَ الذَّكرِ والأنثىٰ بخصائص جَسَدِيَّة ومَشَاعِرِ وأحاسيس نَفْسِيَّة واقتَضَت حكمَتُهُ تعَـالىٰ تَمَايزهمَا في اللباسِ والزِّينةِ وفْقاً لتمايزهمَا النَّفسي والجسَـدِيّ ولهـذا أمرَ اللهُ المسلمةَ أنْ تَسْتُرَ جميعَ بَدَنِهَا أمامَ الرِّجالِ الأجانبِ غيرِ المحارم - وهُم مَن يحرمونَ عليهَا تحريماً مؤبداً بِنسَبٍ أو رَضَاع أو مُصاهَرةٍ - قَالَ اللهُ تَعَالىٰ:

﴿وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

فالآيَةُ تَنُصُّ علىٰ وجُوبِ سَتْرِ المسلمَةِ زينَتَهَا مِن أعلىٰ رأسِهَا حتَّىٰ أخمَص قَدَميهَا حيثُ أمَرَ اللهُ تَعَالىٰ بضربِ الخمارِ علىٰ الجيوبِ، والخمارُ هو مَا تُغطّي بهِ المرأةُ رأسَهَا وعُنُقَهَا ونَحْرَها، والجيبُ هو فَتْحَةُ الثَّوبِ جِهةَ الرَّأسِ، وضَربُ الخمارِ علىٰ الجيبِ حتَّىٰ لا يَبْدُو شيءٌ مِن زينَةِ العُنُقِ والصَّدرِ..

وختَمَت الآيةُ بوجوبِ سَتْرِ السَّاقين والقَدَمين بَل وتحريم لَفْتِ انتباهِ الرِّجَال إلىٰ الزِّينَةِ المخفيةِ تحتَ اللِّباسِ عِبْرَ ضَربِ الأرجُلِ بالأرضِ فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] فإذا كانَ لا يجوزُ تعَمُّد إسماع الرِّجالِ صَوتَ الخلاخيلِ فكيفَ يَجُوزُ إظهارُ السَّاقين بخلاخيلها أمامَ الرِّجال؟

فالحجابُ إذاً كما ظَهَرَ جَليّاً ليس رَمزاً دينياً، ولا علامـةً سياسِيَّةً بَل هـو أمرٌ إلهي وَواجبٌ دِيْنِيٌ لا يَسَع المسلمة إلاَّ الالتزامَ بهِ في كلِّ أرضٍ وتحتَ أيّ سماءٍ وهو التزامٌ شَخْصِيٌ ليسَ له أيّ ضَررٍ أو أثرٍ علىٰ الآخرينَ، ولا يملكُ أحدٌ حَقّ نَزْعِهِ عَنْها تحتَ أي ذَريعَةٍ مِنَ الذَّرائع، ولا يجوزُ للمسلمَةِ طاعَتَهُ في ذلكَ بَل

يجبُ عليها هَجْر الأماكِن الّتي يُفْرَضُ فيها عليهَا نَزْعُ خِمَارِها، سواء كانَت مَدَارس أو جامِعَات، أو أماكن عَمَلٍ وغير ذلك، قالَ اللهُ تَعَالىٰ:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦]

وأذكِّرُ الجميعَ أنَّ اللهَ تعَالىٰ قَد أَكْمَلَ لنا الدِّينَ وأتمَّ علينَا النِّعمَةَ ورَضِي لنا الإسلامَ ديناً فَلا حلال إلاَّ مَا أَحَلَّهُ اللهُ تعالىٰ وَلا حَرَامٌ إلاَّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ تعالىٰ، ولا دِيْن إلاَّ مَا شَرَعَهُ تعالىٰ، قَال تَعَالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾ [المائدة: ٣].

فما ثبتَ في الكتابِ والسُّنَّةِ مِن أحكام هَذا الدِّين العظيم، لا يَمْلِكُ أحدٌ من الناسِ مَهما بَلَغَ مِنَ العِلْم، أو تَقَلَّد مِن المناصبِ السِّياسيةِ والدِّينيةِ حَقّ تَغييره، أو تَعْديلِهِ، أو إباحَة ما حَرَّمَ اللهُ أو تَحْريم مَا أحلّ اللهُ، ولا يَجُوزُ لأحدٍ طاعَتَهُ في ذلكَ، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. أي إنْ أطعْتُمُوهُم في تحليلِ مَا حَرَّمَ اللهُ أو تَحْريم مَا أَحَلَّ اللهُ. هذا ولِيَعْلَمَ المسلمونَ والمسلمَات أنَّ اللهَ تَعَالىٰ يَمْتَحِنُ عبادَهُ ويَخْتَبِرُ صَبْرَهُم لِيَتَميَّزَ المؤمن مِن المنافِق، والصَّادق مِنَ الكاذِب، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].

وقالَ تَعَالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وفي الختام أسألُ اللهَ تَعَالىٰ لنَا وللمسلمينَ والمسلماتِ الصَّبرَ والثَّباتَ علىٰ دينِهِ، إنَّه وليُّ ذلكَ والقَادرُ عليهِ وصَلَّىٰ اللهُ علىٰ نَبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آلهِ وصَحْبِهِ وَسَلِّم.

يا ابنتي هيّا إليّا

عبد الناصر منذر رسلان:

يـا ٱبنَتِـي هيَّـا إليّـا نقـرأُ الذِّكْـرَ الحكيـمْ
فيـهِ نَرقَـىٰ للثّريَّـا نَسْـلُكُ الـدَّرْبَ القَويـمْ
إنَّنـا بـالعلمِ نَحْيَـا نُرْضِـي مَولانـا العليـمْ
نَدْخُـلُ الخُلْـدَ سَوِيّـا فيـهِ أسـرارُ النعيـمْ
عِنْـدَهَا نَلْقَـىٰ النَّبِيّـا حَسْبُنَـا وَجـهُ الكَريـمْ
يـا ٱبنَتِـي كُونـي نَقِيَّـه مثـلَ أزْهَـارِ الحقُـولْ
وَٱقطُفِـي نـورَ الثّريّـا وانهَجِـي دَرْبَ البتُـولْ
وَٱحمِلِـي قلبـاً أبيّـا وَٱسمَعِـي مَـاذا أقُـولْ
إنَّ مَـن يَرْضَىٰ الدَّنِيّـا عَـاشَ فـي الدُّنيا ذَلُـولْ
فَـٱرفَعِـي الـرأسَ عَلِيّـا هكَـذَا وَصـَّىٰ الرَّسُـولْ
يـا ٱبنَتِـي أنـتِ لِقَلْبِـي نَبْضَـهُ طـولَ الزَّمَـانْ
أنـتِ مَـنْ أحيَـا بِدَرْبِـي كُـلَّ أطيـافِ الحنَـانْ
هيّـا يَـا عُمْـرِي نُلَبِّـي نَرْتَقِـي نحـوَ الجنَـانْ
جَـدِّدِي الإيمـانَ هُبِّـي وَٱهْجُـرِي كُنَّـا وكَـانْ
كونـي يَـا حُبِّـي بِقُرْبِـي شَمْلُنـا يَبْقَـىٰ مُصَـانْ

يوم أسود في تاريخ فرنسا

محمود الدالاتي:

يقول أديب العربية الرافعي: «لا يعـذِّبُ فاقدَ الفضيلةِ شيءٌ مثل رؤيتِهَا في غيرِه، وأنه لا يستطيع تحقيقَها في نفسه».

تذكَّرتُ هذهِ الكلمةَ الرائعةَ للأديبِ الكبير وأنا أستمعُ لخطابِ الرَّئيس الفرنسي «جاكَ شيراك» وهو يؤيّد قانونَ حَظْرِ الحجابِ الإسلاميّ في فرنسَا فقلتُ فعلاً إنَّ أصحابَ الرَّذيلَةِ يتألّمونَ مِن رؤيةِ أصحابِ الفضيلةِ وهُم يتربَّعُونَ على عرشٍ عَلى فَضِيْلَتِهم.

لماذا الحجابُ أيّها الإخوةُ؟ هَل الحجابُ فعلاً رَمْزٌ دِينيّ كما زَعَمَ هؤلاء أمْ لـه وظيفةٌ أخرى؟

الواقعُ أنَّ الحجابَ الإسلاميّ ليسَ رمزاً دينياً فقط، نَعَم قَد يكون رمزاً دينيّاً ولكنَّه قَبْلَ ذلكَ عبادَة للهِ عَزَّ وَجَلَّ، نعم الحجابُ عبادَةٌ مِن أعظم العِبَادَاتِ وفريضَةٌ مِن أهمِّ الفَرَائِض؛ لأنَّ اللهَ تَعَالىٰ أمرَ بهِ في كتَابِهِ، ونَهَىٰ عَن ضِدِّه وهُوَ التَّبرُّجُ، وَأمَرَ بهِ النبيُّ ﷺ في سُنَّتِهِ ونَهَىٰ عَن ضِدِّه، وأجمعَ العلماءُ قديماً وحديثاً علىٰ وجوبِهِ لم يشذّ عَن ذلكَ منهُم أحدٌ، ولو لم يكُن الحجابُ مأموراً بهِ في الكتابِ والسُّنَّةِ، ولو لم يَرِد في محاسِنِهِ أيُّ دليلٍ شَرعيّ، لكانَ مِنَ المكارم والفَضَائِلِ الّتي تُمدَحُ المرأةُ بالتزامِهَا والمحافظةِ عَليها، فكيفَ وقَد ثَبَتَتْ فرضيَّتُهُ بالكتابِ والسُّنَّةِ والإجماع؟ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقُل للمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِن وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُن ولا يُبدِينَ زِينَتَهُن إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنها ولْيَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَىٰ جُيُوبِهِن ولاَ يُبدِينَ زِينَتَهُن﴾ إلىٰ قوله: ﴿ولا يَضرِبنَ بِأَرجُلِهِن لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ

مِن زِينَتِهِن وَتُوبُوا إِلىٰ اللهِ جَمِيعاً أَيّه الْمُؤمِنُونَ لَعَلكُم تُفلِحُونَ﴾

قَالت عائشةُ رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللهُ نِساءَ المهاجراتِ الأُول، لما أنزلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىٰ جُيُوبِهِن﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاْخْتَمَرْنَ بِهَا» [البخاري].

فالحجابُ ليسَ رَمْزاً دينياً لا حَاجَةَ لَهُ، وإنَّمَا هو فرضٌ ربَّانيٌّ وَواجبٌ قرآنيٌّ فَلا يجوزُ حرمَانُ المرأةِ مِن هذا الحقِّ الشَّخصيِّ.

وبعضُ دُعَاةِ المدَنِيَّةِ يَرَى أنَّ الحجابَ مَظْهَرٌ مِن مظاهرِ التَّخَلُّفِ، وأنَّه يمنَعُ المرأةَ مِن الإبداعِ والرُّقيِّ، وهذا الإدّعاءُ غير صَحيح، فَمَا علاقَةُ الحجابِ بالتَّقدُّم الحضَاريِّ والتكنُولوجيِّ؟ إنَّ الحجابَ لم يَقِف في يوم مِنَ الأيام حَجَرَ عَثْرَةٍ في طريقِ تقدُّم المرأةِ ولم يكُن سبباً في تَقَدُّمها! ماعلاقَةُ الحجابِ بهذَا الأمرِ؟ فَلماذا تخلطونَ الأوراقَ لماذا لاتتكلَّمُونَ الحقيقَةَ لماذا لايقُولُ هؤلاء إنَّنا نريدُ المرأةَ مَعنَا في كلِّ مكانٍ نَرَاها بكامِلِ زينَتِهَا كي تكونَ كلأً مباحاً لكلِّ بهيمةٍ..

فعندَمَا تَقِفُ أَمامَكَ آمرأةٌ بكامِلِ زينَتها وأنتَ تَنْظُرُ إليها، تشعر بِمُتْعَةٍ نَفْسِيَّةٍ شَهوانِيَّة، لاعَلاقَةَ لها بالتَّقدُّم أو التَّأخُّر. فلماذا الكَذِبُ وَلماذا هذا الدَّجَلُ..

وإذا كانَ هذا الكلامُ صحيحاً أي أنَّ سفُورَ المرأة وَتبرّجها سببٌ مِن أسبابِ تقدُّمها فكانَ يَنْبَغِي أنْ تكونَ بَعْضُ الدُّولِ الّتي نَزَعَ نساؤهَا الحجابَ في مقدِّمةِ دُولِ العالم لا مِن دولِ العالم الثَّاني أو الثَّالث أو العاشِر، أينَ هُوَ التَّقدّم الّذي أحْرَزَنهُ لا نَرَى شيئاً مِن ذلكَ، لَقَد وَقَفَت مَلِكَةُ جمَالِ لبنان مُنْذُ عامين أمَامَ مَلايين مِنَ المهابيلِ المولعينَ بمثلِ هذهِ الأمورِ، وَقَفَت أمامَهُم لكي تُوَجَّهُ إليها بَعْضُ الأسئِلَة.. فَقَالَ لها المذيعُ: لَو أُرْسِلتِ سفيرةً عَن لبنانَ إلىٰ الأمم المتَّحدَةِ فما هي الرِّسالَةُ الّتي تحملينَهَا إليهم؟

فَقَالت: لَم أفهَم السّؤالَ! فأعادُوهُ عليـهَا. ولَمّا أعـادوهُ عليها، قَالَت: ومَن هِي الأممُ المتَّحدةُ؟!

يا سبحانَ الله! لا تَعرفُ ملكةُ الجمالِ هذهِ الأممَ المتَّحدةَ! فأينَ التَّقَدُّمُ يا دُعاة التقدُّم؟ بَل واللهِ إنَّ فيهنَّ مَن لا تَعْرفُ شيئاً عَن تـاريخ حيَاتِـها.. وهـؤلاء أنفُسُهُم يروِّجُونَ لكذبَةٍ أُخْرَى صَلْعَاءَ أكثَر مِن أختِهَا، وهي أنَّ المرأةَ كُلَّمَا تعرَّت وَفَسَقَت كلَّما خَفَّت النَّزعَةُ الشَّهوانيةُ عِنْدَ الجنسِ الآخَرِ، لأنَّ الشَّهوةَ مَنْبَعُها الكَبْتُ..!

فإذا كانَ هَذا الكلامُ صحيحاً فَيَنْبَغِي أنْ تكونَ الفضيلـةُ والعِفَّـةُ والأخـلاقُ في دولِ الغَربِ أكْثَر بكثيرٍ مِن مكَّةَ والمدينَةَ، ولكن إذا نظَرْنَا إلىٰ الواقع مَاذا نجدُ؟

نجدُ العكـسَ، نجـدُ أنَّ المجتمعَـات الغربيـةِ قَـد تَفَشَّـىٰ فيـهَا الشُّـذوذُ والزِّنـا والاغتِصَاب، وزنَا المحارم مما أدَّى إلىٰ الأمراضِ الفتَّاكةِ الّتي مِن ضِمْنِهَا «الإيدز» ويؤكّد هذا الّذي نقولُهُ الإحصائياتُ الكثيرةُ الواردةُ في هذا الصَّدد، جاءَ في كتاب [يـوم أن اعـترفَت أمريكـا بالحقيقـةِ]: أنَّ إحـدى الإحصائيات أظـهرت أن (١٩) مليوناً من النِّساء في الولايات المتّحدة كُنَّ ضَحَايا لعمليات الاغتصاب!

في كتاب [تأمّلات مُسلم] أجرَى الاتحادُ الإيطـاليّ للطـبِّ النَّفسـيّ استطلاعاً للرأي اعترف فيه (٧٠٪) من الإيطاليين الرِّجال بأنَّهم خانُوا زَوجاتِهم.

وفي كتاب «عمل المرأة في الميزان» وكتاب «المرأة مـاذا بَعْدَ السُّقوط؟» أنَّ في أمريكا مَليون طِفْل كلَّ عام يولدونَ مِن الزِّنا، ومليون حالَة إجهاض..

وفي استِفْتَاءٍ قَامت بـهِ جامعـةُ «كورنـل» تبيَّـن أنَّ (٧٠٪) مِـنَ العـاملات في الخدمةِ المدَنيَّةِ قَد اعتُدِي عليهنّ جنسيًّا وأن (٥٦٪) منهنّ اعتُدِي عليهنّ اعتداءات جسمانِيَّة خطيرة..

وفي ألمانيا وَحْدها تُغتصب (٣٥٠٠٠) امرأة في السَّنةِ، وهذا العددُ يُمثِّلُ الحوادثَ المسَجّلةَ لَدَى الشّرطةِ فقط أمّا حوادِث الاغتِصاب غير المسجّلة فتَصِل حَسْبَ تَقديرِ البوليس الجنائيّ إلىٰ خَمْسَةِ أضعافِ هَذا الرَّقم [رسالة إلىٰ حواء]

وهذه الأرقامُ شيءٌ قليلٌ مِن كثيرٍ باتَ يعرفُهُ الجميعُ، المشكِلَةُ عِنْدَهُم أيُّها الإخوةُ لَيْسَت في الحجابِ، المشكلةُ في الإسلام نَفْسِهِ إنَّهُم يخافونَ مِن الإسلام.

الإسلامُ الحقيقيُّ الصّافي لا الإسلام المتطَرِّف.. وإلاّ لماذا يُسْمَحُ لليهودي أنْ يَضَعَ طاقِيَّةَ اليهودِ علىٰ رأسِهِ، مَع أنّها ليس لها أيُّ أهمِّية إلاَّ الرَّمز، ولماذا يسمحونَ للسيخِ الوَثنيينَ أنْ يَضَعُوا علىٰ رُؤوسِهم العَمَامَةَ السِّيخيَّةَ، بَل إنَّ القوانينَ في فَرَنْسا تَسْمَح للسيخيّ الذي يقودُ الدَّراجةَ النارية أنْ لا يَضَع الخوذَةَ علىٰ رَأسِهِ، أمّا خَمْسَةُ ملايين مُسلم فإنَّهم يُضطهَدُونَ في دِينِهم علىٰ سَمْع العالَم وبَصَرِهِ، وأينَ؟ في فَرَنسا البَلَد الّذي يدَّعِي الحضارَةَ والتَّقدُّمَ وحقُوقَ الإنسان والحريَّة الشّخصية إلىٰ آخرِ هذهِ الشِّعاراتِ المهَلْهَلَةِ التَّافهة.. لَقَد انكشَفَ عَارُهُم وبانَ عوارُهُم وَلَيست هَذِهِ هي المشكلَةُ إنَّهُ الحقدُ علىٰ الإسلام وَالمسلمينَ.

ومَازال هؤلاء القَوم يُعانُونَ مِن عُقْدَةٍ صَلِيبيَّةٍ مُتَأصِّلَةٍ فيهم.. أجارنا اللهُ والمسلمينَ من شرورهِم. آمين..

❖ ❖ ❖

رسالة إلى مسلمات فرنسا

كيفَ نَعُدُّهُنَّ - في التَّخلِّي عَن فريضةِ الحجابِ - مُضطرات.. في بلادٍ تَتشَدَّقُ بالحرّياتِ وَتَفْخَرُ بحمايةِ العَاهِرَاتِ.

فَأخيراً كشَفَ أدعياءُ حقوقِ الإنسانِ في أنظمَةِ الغربِ الحاقدةِ علىٰ الإسلام عَن وجوهِهِم القبيحةِ بَعْدَ أنْ وَافَقَ البرلمانُ الفرنسيُّ بتاريخ (١٠/ ٢/ ٢٠٠٤م) بأغلبيةٍ ساحقةٍ بَلَغَت (٤٩٤) صوتاً لصالحِ القَرَارِ الَّذي اتَّخَذَهُ حزبُ يمينِ الوسطِ الحاكم ضدَّ (٣٦) صوتاً بشأنِ حَظْرِ ارتِداءِ الحجابِ تَمْهيداً لِعَرْضِ الأمرِ علىٰ مجلسِ الشُّيوخ في الثَّاني مِن مَارس القَادِم، ثمَّ إعادتُهُ للجمعيةِ الوطنيةِ لإقرارِهِ بشكلٍ نهائي وبدء تطبيقِهِ في منتصفِ الشَّهْر، ويُدْرِكُ مَن كانَ لَهُ مسكةٌ مِن عَقْلٍ أنَّ مَنْعَ الحجابِ لتلميذاتِ المدارِسِ والعَامِلاتِ بالمؤسساتِ الحكوميةِ في فَرَنْسَا أمرٌ مُدَبَّرٌ بِلَيلٍ، وأنَّ مَنْعَهُ يأتي في إطارِ الحربِ المعلَنَةِ عَلىٰ كلِّ مَا هُو إسلاميّ في هذهِ البلادِ الَّتي تَدَّعي الدِّيمقراطيةَ، وما أمرُ مطاردَةِ (عائمة العُمَري وشَقيقَتها ليلىٰ) ومئات مثلهما من مَدَارس فَرَنْسَا الحكوميةِ لرفضهنَّ نزعَ الحجابِ خلالَ السَّنواتِ القليلةِ الماضيةِ - أي قبلَ اتخاذِ قرارٍ رَسْمِيٍّ بمنعِهِ - ومَا أمرُ ذُيوع كتاباتِ الحاقدينَ علىٰ الإسلام في فَرَنْسَا والمشكِّكينَ في مبادئهِ وإشاعَتِها وترويجِها وحمايَةِ أصحابِها، وما مُصادَرَةُ حقِّ خمسة ملايين مُسلم يريدونَ الحفاظَ علىٰ ثَوابتِ دينهم وممارسةِ شَعَائرهم وَيَبْغُونَ العيشَ هناكَ في سلام.. عنَّا ببعيدٍ..

كمَا يُدْرِكُ مَن كانَ لَهُ مسحةٌ مِن تفكيرٍ أنَّ أمرَ الزِّيارةِ الَّتي قامَ بها وزيرُ الداخليةِ الفَرَنسيّ (نيكولا ساركوزي) للأزهرِ الشَّريف، هو تحصيلٌ حاصلٌ وقد

قَصَدَ بِهِ إحراجَ أكبر مؤسَّسةٍ إسلاميةٍ في العالم لاستِصْدَار قَرارٍ يُحَقِّقُ للحزبِ الحاكم مَا يُرِيدُ ويُمَرِّر عَن طريقِهِ فُرْصَةَ معارضَةِ هذا القرارِ الآثم مِن قِبَلِ الإسلاميينَ هُنَاكَ، وإلاَّ لماذا لم تَحْتَرم الحكومَةُ الفرنسيةُ رأيَ شيخ الأزهر فتأخُذَ كلامَهُ الَّذي يَقْضِي بجعلِ ارتداءِ الحجابِ فَريضَةً دينيةً بعينِ الاعتبار؟

لماذا لم تُقَدِّر رأيَهُ هَذا القاضي بِعَدَم جَعْلِهِ مُجَرَّدَ رمزاً أو شارةً تُعادلُ الصَّليب والقُبَّعة والطّاقية اليَهوديَّةَ؟

لماذا وَضَعتهُ عالمياً في موقفٍ لا يُحْسَدُ عليه إزاءَ مَا صَرَّح به في جَعْل أخواتِنَا في حكم المضطراتِ؟

وما جَدوى استِصْدَار فَتْوَاه تِلْكَ الَّتي أقامَت الدُّنيا ولَم تُقْعِدْها حتَّىٰ الآنَ بَعْدَ أنْ قَالَ مَا أرادَهُ وزيرُ دَاخليةِ فَرَنْسَا؟.

وبِقَدَرِ اعتِرَاضِنَا عَلَىٰ ما فَعَلَتْهُ الإدارةُ الفرنسيةُ ـ فيما يُعَدُّ خطوةً أولىٰ لِفَرْضِ المزيدِ مِنَ القيودِ علىٰ المسلمينَ، وفيمَا يُعَدُّ تصعيداً فرنسياً مفاجئاً وغير مُبَرَّر ضِدَّ الإسلام والشُّعوب العربيةِ والإسلاميةِ ـ بقدرِ مُعَاتَبتنا لفضيلةِ شيخِنَا علىٰ مَا صَدَرَ مِنْهُ في اعتبارِ أمرِ الحجابِ في فَرَنْسا أمراً داخلياً، إذْ في ذلكَ هَضْمٌ لحقوقِ الأقليات المسلمةِ، وهو ما تأباهُ الأقلّياتُ غيرُ المسلمةِ في البلادِ الإسلاميةِ لَو فُعِلَ بها مَا فَعَلَتهُ تلكَ الإدارة.. كمَا أنَّ فيما صَدَرَ مِن فضيلَتِهِ تمكينٌ لأعداءِ الإسلام مِن أخواتٍ لنَا وخُذْلانِهِنَّ في بلادٍ لا تُحِقُّ الحقَّ ولا تَعْرِفُ المعروفَ، بلادٌ بَدأ فيها الإسلامُ غريباً كما بدأ، فيها المسلمونَ في حكم المستَضْعَفينَ.. كما أنَّ مَا صَدَرَ مِن فضيلَتِهِ جاءَ في وقتٍ هنَّ فيهِ في أمسِّ الحاجَةِ لمن يَقِفُ بِجوَارِهِنَّ وَيَنْصُرُهُنَّ بَعْدَ طولِ شَدٍّ وَجَذْبٍ، إعمالاً للآيةِ الكَريمةِ: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ

النَّصْرُ..﴾ [الأنفال: من الآية٧٢].. فلقَد كانَ رَدُّ الفِعْل لما ذكَرَهُ الإمامُ الأكبرُ شيخُ الأزهر كبيراً وكبيراً جداً، فقَد أُسيئَ استِخْدَام الكلمةِ الَّتي قَالَها بحضورِ وَزير الدَّاخليةِ الفَرَنسيّ، وفَهِمَ العالمُ كُلُّهُ مِن كَلِمَتِهِ مَا غَابَ عَنْهُ، وربما مَا لم يَفْهَمْهُ هُو وَهُوَ يَظُنُّ أنَّه يُحْسِنُ صُنعاً، وحتّىٰ لا أكون مُتجَنِّياً علىٰ فَضِيلَتِهِ، فهَذِهِ بعضُ العناوينَ الَّتي تَصَدَّرت وكالاتِ الأنباءِ، أو تمَّ إيرادُها عَبْرَ شَبكَاتِ الإنترنت وهي غيضٌ مِن فيضٍ، وقَليلٌ مِن كثيرٍ، يقولُ بَعْضُها:

١- «الوزيرُ الفَرنسيُّ نَجَحَ في انتزاع تَأييدٍ غَير مُتوَقَّع مِن طنطاوي لِقَرَارِ حَظْرِ الحجَابِ بمدارِس فَرَنْسا»..

٢- «شيخُ الأزهَرِ يُؤكِّد حَقَّ فَرَنْسَا في حَظْرِ الحجابِ»..

٣- «رَفْضٌ إسلاميٌّ واسعٌ لِتَصْريحاتِ شَيخ الأزهَرِ بشأنِ الحِجَابِ..».

٤- «محمَّد حسين فَضْلُ اللهِ يَتَّهم شيخَ الأزهَر بالإساءةِ للإسلام..».

٥- «غَضَبٌ في الأزهَرِ بَعْدَ تأييد طنطاوي حَظْرَ الحجابِ بِفَرَنْسا..».،

٦- «رَفْضٌ إسلاميٌّ وَاسعٌ لِتَصْريحاتِ شَيخِ الأزهَرِ..».

ورحمَ اللهُ عُلَمَاءنـا الأُول فلَقَد كانُوا غايةً في الذَّكاءِ حينَما كانُوا يَتفَرَّسُونَ فيمن أمَامَهُم لِيَتَعَرَّفُوا مِن خلالِ أحوالهِ وقَسَمَاتِ وَجْهِهِ مَا يَصبُو إليهِ ومَا يَقْصِدُه مِن سؤالهِ وفَتْواهُ، حتىٰ يَتَحَرَّزُوا من إصدارِ مَا قَد يُسَاءُ فَهْمُهُ أو يُسَاءُ استِغْلالُهُ لصَالح أصحابِ الهوى وأربابِ الأغراضِ الخبيثَةِ، ولَقَد كانَ الإمامُ أحمَد وغيرُهُ مِنَ الرَّاسخِين في العلم علىٰ هَذا المستوى مِنَ الفِطْنَةِ وَصَمَدُوا جميعاً في وَجْهِ العَاتياتِ مِنَ المشاكِلِ الَّتي طُرِحَت في عُهُودِهم دُونَ أنْ يُؤخَذَ عليهم مَا يمكِنُ أنْ يُسْتَغَلّ لصالح المَتلاعبينَ بالدِّين عَلىٰ الرَّغم مِن شديدِ مَا تَعرَّضُوا لَهُ مِن

حكَّامِهِم، وحسبنَا هنا ما جاءَ عَن إمام أهلِ السُّنَّةِ الإمام أحمَد بن حَنْبَل مِن قولِهِ: «لو قَالَ العَالِمُ تقيةً، والجاهِلُ يَجْهَلُ، فمَتَىٰ يَعْرِفُ النَّاسُ الحقَّ»..

ولهُ قصَّةٌ في محنتِهِ مع المأمونِ ليتَ شيخَ الأزهَرِ قد اطَّلَعَ عَلَيها، ومَا أظنُّ أنَّها تخفىٰ علىٰ أمثالِهِ:

لَقَد قَدَّرَ اللهُ لِذَلِكَ الإمام الجليل أنْ يُمْتَحَنَ أبلَغ المحنَةِ، وأنْ يُكْوَى جِلده بالسِّيَاط، وأنْ يُسَاقَ مُقيداً مغلولاً يُثْقِلُهُ الحديدُ. لا لشيءٍ إلاَّ إنَّه رَفَضَ أنْ يَخُوضَ في أمرٍ ممَّا كانَ يَخُوضُ فيهِ المأمونُ والَّذين أرضَاهُم صَفْوَةٌ له مِنَ العُلَمَاءِ.

جاءَ في كتابِ المقفَّىٰ للمقريزي أنَّ الإمامَ الشافعي رحمهُ اللهُ تعالىٰ وهُوَ في مِصْرَ، رأى النبيَّ ﷺ في المنام فأخبَرَهُ (أنَّ المحنة ستكون، وأنَّ الإمامَ أحمَد بن حنبل سَيُمْتَحَن) قالَ الربيعُ بنُ سُليمان: فكتبَ الشَّافعيُّ كتاباً وختَمَهُ، ثمَّ قَالَ لي: يَا أبا سُليمان انحَدِر بكتَابي هذا إلىٰ الإمام أحْمَد وأعطِهِ لَهُ ولا تَقرأهُ، فحملتُ الكتابَ إلىٰ العراقِ ووَجَدتُ الإمامَ أحمَد يُصَلِّي سُنَّةَ الفَجْر فَلَمَّا انتهَىٰ من الصَّلاة قَدَّمتُ له الكتابَ فعَرَفني وقَرَأهُ.

فلمَّا جاءَ عِنْدَ مَوضع فيهِ. بكَىٰ، قُلتُ لَهُ: مَا يبكيكَ يَا أبا عَبْدِ اللهِ؟ فقَالَ لي: إنَّ الشَّافِعيَّ يذكرُ لي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بشَّرَهُ أنِّي سأُمْتَحَنُ! وأنا أسألُ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ أنْ يُحَقِّق ذلكَ قَريباً.

قال الربيعُ: فَقُلتُ للإمام: هَذِهِ بُشرَى فأينَ جَائِزَتي؟ فَخَلَعَ الإمامُ أحمَدُ ثَوْبَهُ الَّذي يَلي جِلْدَهُ وأعطاهُ لي.

فَلَمَّا رجعتُ إلىٰ مِصْرَ رَوَيتُ مَا حَدَثَ للإمام الشَّافعي فوَجدتُ الشَّافعي يَتَمَنَّىٰ لو ظَفِرَ بِثَوبِ الإمام أحْمَد.

كانَت هـذهِ الرُّؤيا قبلَ أنْ تَقعَ المحنَةُ بِسَنواتٍ، ولَقَد فَعلَت في نَفْسِ الإمام أحمد فِعْلَ السِّحْرِ كمَا فَعلَت الرُّؤيا الأخرى التي رآها هُو بِنفْسِهِ وحكَاهَا لنا ابنُ عَمِّهِ نبل بن إسحاق بن حنبل فقَالَ:

«رأيتُ في المنام صِدِّيقاً اسمُهُ عَليُّ بن عَاصِم» واستَبْشَرَ الإمامُ بهذهِ الرُّؤيا الثَّانية استبشاراً كبيراً وقَالَ: إنَّ علياً تفيدُ عُلُوَّ المنزلـة، وعاصماً تَفِيْدُ العِصْمَةَ في الفِتْنَةِ. ولذلكَ هَشَّ الإمامُ أحمَدُ وَبَشَّ لهـاتين الرُّؤيتينِ العظيمتينِ واستَعَدَّ نفسياً وعقلياً للنِّزَالِ والنِّضَالِ.

وفعلاً بدأت المحنَةُ سنةَ (٢١٨هـ) بورودِ كِتَابِ المأمونِ، عَلىٰ عامِلِهِ في بَغْدَاد، أنْ يَجْمَعَ العلماءَ مِن قُضَاةٍ وخُطَبَاء، وَيَسْألهم عَن القرآنِ، فمَن لم يَقُل أنَّـهُ مخلوقٌ عزَلَهُ، وامتَثَلَ الوالي أمرَ الخليفَةِ فجَمَعَ العلماءَ، فأقَرُّوا جميعاً إلاَّ أربعَةً منهم، فَلَجَأ إلىٰ الشِّدَّةِ، وأمرَ بوضعِهِم في الحبسِ وإثقَالِهِم بقيودِ الحديدِ، فوَافَقَ اثنانِ، وبَقِي أحمدُ بنُ حَنْبَل ومحمَّد بنُ نُوح، فَأمَرَ المأمونُ بحملهما إليهِ، فَشَدَّهُما الوالي في الحديدِ وَوَجَّههما إليه.

وتُوفِّيَ المأمونُ قَبْلَ أنْ يَصِلُوا إليهِ، وهُو بالرَّقَّةِ، كمَا تُوفِّي ابنُ نُوح عَلىٰ الطريقِ فَبَقِيَ أحمدُ رحمهُ اللهُ تعالىٰ وَحْدَهُ، وهكَذا اختُصِرَت فيهِ جبهَةُ المحدثينَ الضَّخمَة، وانْصبَّت الأضواءُ كُلُّهَا عليهِ، وَاتَّجهت الأنظارُ إليهِ، وتَعلَّق نَصْرُ الجبهةِ بِثَبَاتِهِ، فإن هُوَ انهزَمَ انهارَت جَبْهَةُ المحدثينَ وَتَمَّت الغَلَبَةُ للمعتزلةِ.

وَولي المعتَصِمُ وكان رجلاً قَوِيَّ الجسم يَسْتَطيع أنْ يُصَارِعَ أسداً، ولكنَّـه كـانَ ضعيفَ العِلْم لا يَسْتَطيع أنْ يُنَاظِرَ أحداً، وكـانَ يجلّ أخاه المأمونَ وَيَراهُ مَثَلَـهُ الأعلىٰ فسَارَ علىٰ طريقَتِهِ. وتجاوزَ الحدودَ.

ولبثَ الإمامُ أحمدُ في السجن، وبلَغَ به الضَّعفُ كلَّ مَبْلَغ، ومَع ذلكَ فقد كانَ دائمَ العبادَةِ، حاضراً مَع اللهِ تَعالىٰ.

حَدَّثَ ابنُهُ بأنَّ الإمامَ أحمَد قَرأ عليهِ كتابَ الإرجاء وغيره في الحبسِ، وأنَّهُ رآه يُصَلِّي بأهلِ الحبسِ وعَلَيْهِ القيدُ، فكانَ يُخرجُ رِجْلَهُ مِن حَلَقَة القَيْدِ، وَقْتَ الصَّلاة والنَّوم.

وبعثَ المعتصم عُلَمَاءه وقُوَّاده يُنَاظِرُونَهُ، فكانَ يَرْفُضُ الدُّخولَ في المناظرة ويأبىٰ الموافقة إلاَّ بدليلٍ مِن كتابِ اللهِ أو مِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

وحُمِلَ إلىٰ حَضْرَةِ المعتَصِم.. وجَرَت المناقَشَةُ أمَامَهُ، فكانَ يُصِرُّ علىٰ هذا الردِّ ويقول: «أعطوني شيئاً من كتابِ اللهِ أو مِن سُنَّةِ رَسُولِه».

وجربوا أنواع التَّرغيبِ بالعطايَا والمناصِب، وأنواع التَّرهيب بالتَّعذيب الشَّديد. فَلَم يُؤَثِّر ذلكَ فيهِ أثراً.

وبعثوا إليه بالعلماءِ يأتونَهُ مِن بابِ التُّقيةِ، فكانَ يقولُ لَهُم: «إنَّ مَن قَبْلَنا كانوا يُنْشَرُونَ بالمنشَار فَلا يَرْجِعُونَ».

وأظهرَ مَرَّةً أنه لا يَخَافُ السِّجنَ، ولكن يخافُ الضَّربَ، ويخشىٰ ألاَّ يَحْتَمِلَ فتهزم فكْرَتُهُ. فقَالَ لَهُ أحدُ اللُّصُوصِ وكانَ مَعَهُ في السِّجنِ. «أنا ضُربتُ عِشْرِينَ مَرَّةً، يبلغُ مجموعها آلافُ الأسواطِ، فَاْحْتَمَلتُهَا في سبيل الدُّنيا، وأنتَ تخَافُ أسواطاً في سبيلِ اللهِ، إنَّما هما سُوطان أو ثلاثة فلا تَحسَّ شيئاً» فَهَوَّن ذَلِكَ عليه.

ولما عَجزَ المعتَصِمُ نَصبَ آلةَ التَّعذيبَ وَمَدُّوهُ عَلَيْهَا وضَرَبُوهُ، فَاْنخلَعَت كَتِفُهُ مِنَ الضَّربةِ الأولىٰ، وَانبَثَقَ مِن ظهرِهِ الدَّمُ، فقامَ إليهِ المعتَصِمُ يقول: يَا أحمَد قُل هَذِهِ الكلمةَ وأنا أفكّ عنكَ بيدِي وأعطيكَ وأُعطيك، وهُو يقولُ: هاتُوا آيةً أو حدثاً.

فقالَ المعتصمُ للجلادِ:

شُدَّ قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.. فضَرَبَهُ أخرى فتَنَاثَرَ لحْمُهُ.

وقالَ لَهُ المعتَصِمُ:

لماذا تَقْتُلُ نَفسَكَ مَن مِن أصحَابِكَ فعَلَ هَذا؟.

وقالَ لَهُ أحدُ العلماء وهُو المروَزِيُّ: ألم يَقُل اللهُ تَعالىٰ: و﴿لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم﴾.

فَقَالَ أحمد رحمهُ اللهُ تعالىٰ: يَا مَروزيُّ فَانْظُر أيَّ شَيءٍ وراءَ البابِ فَخَرَجَ إلىٰ صَحْنِ القَصْرِ فإذا جَمْعٌ لا يُحْصِيهم إلاَّ اللهُ مَعَهُم الدَّفَاترُ والأقلام.

قَالَ: أيَّ شيء تَعْمَلُونَ؟

قالوا: نَنْظُر مَا يُجيبُ بِهِ أحمدُ بنُ حنبل فَنكتُبُهُ عنهُ. فَرَجَعَ وأخبرَ أحمدَ عمَّن في صحنِ القصرِ.

فَقَالَ أحمدُ: يَا مَروزي أنا أضلُّ هؤلاء كُلِّهُم؟

أَقتُلُ نَفْسِي ولا أُضِلّ هَؤلاءِ كُلِّهم!.

ولمَّا عجز المعتَصِمُ قَالَ لجلادين: اضربُوا وشُدُّوا. فكانَ يجيءُ الواحدُ فيضربُه سوطين، ثمَّ يَتَنَحَّىٰ ويأتي الآخرُ، حتَّىٰ خُلِعَت كَتِفَاهُ، وغطَّىٰ الدَّمُ ظَهْرَهُ كلَّهُ. وانقَطَعَت تِكَّةُ سَراويلهِ فكَادَت تَسْقُط وينكَشِفُ. ورآه النَّاسُ يُحَرِّكُ شَفتيهِ، فَتقِفُ السَّراويلُ مكانهَا.. وسَألوهُ بَعْدَ ذلكَ ما الذي كنتَ تقولُهُ؟. فقَالَ: قُلْتُ: يا ربِّ إنْ كُنْتَ تعلَم أنِّي علىٰ الحقِّ فَلا تَهْتِك لي سِتْراً.

وهكذا بقيَ يَحْتَمِل العذابَ حتَّىٰ أشرَفَ علىٰ الموتِ، وخَافَ المعتَصِمُ أنْ يَثُورَ النَّاس إنْ مَاتَ، فَرفَعَ عَنْهُ الضَّربَ وَسَلَّمَهُ لأهلِهِ، بَعْدَمَا لبثَ في السِّجنِ والقيودِ ثمانية وعِشْرينَ شَهراً.

وأرادُوا أنْ يَسْقُوهُ شَيْئاً فأبىٰ أنْ يُفْطِرَ وهُو فيمَا هُو فيهِ مِنَ الهول.

ولَم يَخْرُج حتَّىٰ أعلَنَ أنَّهُ سَامَحَ المعتَصِمَ وكلَّ مَن حَضَرَ ضَرْبَهُ، وبقِيَ أثرُ الضَّربِ فيهِ وبَقِيت كَتفُهُ مَخْلُوعَةً حتَّىٰ ماتَ.

علىٰ أنَّ المحنَةَ لم تُرْفَع تماماً إلاَّ أيَّام المتوكِّل، وكانَت محنةً حقّاً، دَامَت نحواً مِن أربع عَشْرَةِ سَنَة، تَراخىٰ عنهُ العذابُ والتَّنكيلُ والاضطهادُ في نِصْفِهَا واستَمرَّ في سَائِرِهَا.

وخَرَجَ الإمامُ أحمَدُ مِن هذه المحنةِ خُرُوجَ السَّيفِ مِنَ الجلاءِ والبَدْر مِن الظلمَاء، وكانَ كمَا قالَ بَعْضُ مَعَاصريهِ: «أُدْخِلَ الكبيرُ فَخَرَجَ ذَهَباً أحمَر».

ولَم يَزَل بَعْدَ ذَلِكَ اليوم في صُعُودٍ واعتِلاءٍ، حتَّىٰ تَوَاضَعَت القلوبُ علىٰ حُبِّهِ وأصبَحَ حُبُّهُ شِعَار أهلِ السُّنَّةِ وَأهلِ الصَّلاح، حتَّىٰ نُقِلَ عَن أحَدِ مُعَاصريهِ أنَّه قَالَ: «إذا رأيتَ الرَّجُلَ يُحِبّ أحمَدَ بنَ حَنْبَل فاْعلَم أنَّهُ صَاحِب سُنَّةٍ».

وقالَ شَاعِر:

وإذا رأيت لأحمد مُتنقِّصاً ... فاْعلَم بأنَّ ستُورَهُ سَتُهتَكُ

وقال عليُّ بنُ المديني أحَدُ أئمةِ الحديثِ في عَصْرِهِ، وهو مِن شيوخ البُخَاري: «إنَّ اللهَ أعزَّ هَذا الدِّين بأبي بكْر الصِّديق يومَ الرِّدةِ، وبأحمَد بن حَنْبَل يومَ المحنةِ».

ولِلإمام أحمد ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ ولِمن سَارَ علىٰ دَرْبِهِ مِن أئِمَّةِ العِلم في ذلكَ سَلَفٌ، فإنَّه ممَّا يروى في هَذا الصَّدَدِ أيضاً: أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ بَلَغَهُ أنَّ رَجُلاً كان يُدْعَىٰ (صبيغ بن عسل) وقد جاءَ يَسْأل عُمرَ عَن مَعْنَىٰ ﴿الذاريات﴾.

فقالَ لَهُ عُمَرُ: مَن أنتَ؟

فَقَالَ: أنا عَبْدُ اللهِ صبيغ.

فَقَالَ عمرُ: وأنا عبدُ اللهِ عُمَر. وَضَرَبَهُ الضَّربَ الشديدَ لما عَلِمَ أنَّ المقصِدَ مِن سؤالِهِ ابتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابتغاءَ تأويله، لا الاستِرْشَاد والاستفهام.. عَلىٰ الرَّغم مِن أنَّ سؤالَهُ كانَ عَن آيةٍ محكمةٍ لَيسَت مِنَ المتَشَابِهَاتِ..

وكانَ ابنُ عبَّاس إذا ألحّ عليهِ رَجلٌ في مسألةٍ مِن هَذا الجنسِ يَقُولُ: مَا أحوجكَ أنْ يُصنَعَ بكَ كما صَنَعَ عُمَرُ بِصبيغ..

وكذا فَعَلَ عَلِيٌّ بنُ أبي طالب مَع ابنِ الكواء لما سَأَلَهُ عَن مثلِ ذلكَ؟ لكنَّ عَلِيّاً كانَت رَعِيَّتُهُ مُلتَوِيَةً عليهِ، ولم يكُن مُطاعاً فيهم طاعَةَ عُمَرَ حتَّىٰ يُؤَدِّبَهُ..

لذا فَقَد كانَ واجباً علىٰ شَيْخِنا أنْ يَفْطَنَ لمكائِدِ أعداءِ الإسلام حتَّىٰ لا تُستَغَلَّ فَتْوَاه استغلالاً سيِّئاً علىٰ غِرَارِ مَا حَدَثَ، وأنْ لا يَسْعَىٰ لِتَحقيقِ مآرِبهم في النَّيلِ مِنَ الإسلام سيّمَا وأنَّهُ يُمثّلُ أعلىٰ سُلْطَة دِينيَّة، وأكبَر مَرجعيّة سُنِّية علىٰ المستَوى العالمي، كما كانَ علىٰ فَضِيْلَتِهِ أنْ يَستَغِلَّ لِصالح فتواه بِفَرَضِيَّةِ الحجابِ، جَوانِبَ الدِّيمقراطِيَّةِ وحقُوقَ الأقلِّياتِ، واحتِرَام الحرِّيةِ الشَّخصيَّةِ وَحُرّية التَّعبيرِ وَشِعَاراتِ المساواةِ والإخاءِ.. إلخ، حتَّىٰ يقفَ بجانِبِ أخَواتِنَا اللواتي هُنَّ في مَسيسِ الحاجَةِ لمن يَنْصُرُهُنَّ وَيَقِفُ بجوارِهِنَّ ضِدَّ هَذِهِ التَّيارات الجارفَةِ.. وهَذِهِ وَاحِدَةٌ.

أمَّا الثانيةُ: فهي قولُهُ: إنَّ ذلكَ شأنٌ داخِليٌّ لا يحقُّ لأحدٍ التَّدَخُّلَ فيه..

والسُّؤالُ الَّذي يطرحُ نَفْسَهُ: كيفَ غابَ عَن فضيلَتِهِ أنَّ الإسلامَ جَعَلَ المسلمينَ - علىٰ ما صَوَّرَهُ لنا رسولُنا الكريمُ وأرادَهُ اللهُ للأُمَّةِ المسلمة - كالجسدِ الواحِدِ إذا اشتكَىٰ منهُ عُضوٌ تَداعَىٰ له سَائِرُ الأعضاءِ بالسَّهَرِ والحمَّىٰ؟

وهَل غابَ عَن فِطْنَتِهِ أنَّ المسلمَ أخُو المسلِمَ لا يَخْذُلُهُ وَلا يُسلِمُهُ ـ أي لا يتركُهُ يُواجِهُ وَحْدَهُ مَا يَعْجَزُ في الواقع عَن مُواجَهَةِ ما يَحمِلُهُ عَلىٰ التَّخَلِّي عَن بَعْضِ

واجباتِ دينِه - وأنَّ المسلمينَ تتكافؤُ دِمَاؤُهُم ويَسْعَىٰ بِذِمَّتِهم أدناهُم؟

وألاَّ يمكِن أنْ يُستَغَلّ مَضْمُونُ كلامِهِ فَيَبْطُل بذلكَ مَا أفتىٰ بِهِ في فَرَضِيَّةِ الحجابِ، بل وفيمَا شَاكَلَ ذلكَ مِن نحوِ مَشْرُوعيّةِ أهلِ فِلِسطِينَ في الدِّفاع عَن أنْفُسِهِم بأعتِبَارِ أنَّ ذلكَ أيضاً شأنٌ دَاخِليٌّ لَيْسَ مِن حَقِّهِ التَّدخل فيهِ، أو إصدار فَتَاوى بشأنِهِ؟

وإنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ حَدِيثُهُ!! لقَد جَعَلَ فَضيلَتَهُ مُسلِمَات فَرَنْسا وغيرَها مِن بلادِ الغربِ - وتِلكَ ثَالِثَةُ الأثافيّ - في حكم المضطرَّاتِ في حالِ تَخَلّيهِنَّ بموجبِ قَرَارَاتٍ تَعسُّفِيَّة لّمَا تُسَنَّ بَعْدُ لمنع ارتِدَاءِ الحجابِ، إذْ كيفَ نجعَلهنّ كذلكَ في وقتٍ تَعْتَرِضُ فيه وزيرةُ داخليةِ بريطانيا (فيوناماك تارغت) - وهي ليست مُسْلِمَة - مُصرِّحةً بأنَّ بلادَهَا لن تَحْذُو حَذْو فَرَنْسا في منع المسلماتِ مِن ارتِدَاءِ الحجابِ، كما يَعْتَرِضُ رئيسُ أساقِفَةِ (كانتربيري) في بريطانيا - وهو ليسَ مِن علماءِ المسلمينَ - علىٰ قانونِ حَظْرِ الحجابِ ويَعْتَبِرهُ أمراً مُسْتَفِزّاً للغَايَةِ؟

ولِمَ نُعْطِ - نحنُ مَعَاشر أهْل العِلْم - فُرْصَةً لأنظِمَةٍ حاقدةٍ علىٰ الإسلام تَعْتَبِرُ ارتداءَ الحجابِ لوناً مِن ألوانِ التَّطرُّفِ والغُلُوّ علىٰ حدِّ ما جاءَ في خطابِ رئيسِ فَرَنْسا ونَصير الحريةِ (جاك شيراك) وفي بلادٍ يَتَحَقَّقُ فيها قولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..﴾ [النساء: من الآية ٨٩].

بلادٌ تريدُ للفتَاةِ المسلمةِ أنْ تَتمَرَّدَ علىٰ أمرِ ربِّها، وأن تُفْتَنَ في دِينِهَا وأنْ تَنْخَلعَ مِن حَيَائِها فَتُصْبح سَافِرةً عاريةً لكون هذا بِزَعْمِهِم - وفيمَا يُوشِكُ أن يكونَ بِدَايَةَ حملةٍ جديدةٍ علىٰ الإسلام والمسلمينَ - مَا تَتطلّبُهُ الحضارةُ في زَمَانِنَا وتَقْتَضِيهِ المدَنِيَّةُ؟ كيفَ نجعلهنّ كذلكَ في بلادٍ تَتَشَدَّقُ بالحريةِ ويُبَاحُ فيها كلّ شيءٍ وتدّعِي

أَنَّها الرائدةُ في مجالاتِ حقوقِ الإنسانِ؟ وأينَ احترامُ حقوقِ الآخرينَ؟ وأيـنَ الديمقراطيةُ؟

إذاً التي صَدَعُوا بِهَا أدْمِغَتِنَا وهم يُصَادِرُونَ حَقَّ المرأةِ المسلمةِ في أنْ تَتَزَيَّا بـزيِّ الإسلام، وأنْ تُمارِسَ مِن خلالـهِ بعضاً مِن شَعَائِرِ دِيْنِهَا إذْ لا تَصِحُّ صلاتُـهَا في مَدْرَسَتِهَا أو في المؤسَّسةِ الَّتي تَعْمَلُ فيها بدونِهِ كما لا يَجُوزُ أنْ تَخْرُجَ إلىٰ عملٍ أو مَدْرَسَةٍ أو سفرٍ بِسِواه؟.

أقولُ هَذا وأنا أعجبُ مِمّا يَحْدُثُ مِن سَطْوٍ واغتصـابٍ لعناوينَ المشتركينَ علىٰ شبكاتِ الإنترنت، ومِن إرسالِ صُوَرٍ جنسيّةٍ فاضحةٍ ومليئةٍ بمناظِرِ وأوضَاعِ لِنسَاءٍ فَرَنْسِيّات أقلّ ما يُقَالُ عَنْها أَنَّها مُخِلَّةٌ بالآدابِ وعَديمة الحياءِ بِغَرَضِ إفسادِ شَبَابِنَا، كما أعجَبُ مِن خَبَرٍ قرأتُهُ وكِدْتُ لا أصدّقهُ مِن فرطِ غَرَابَتِهِ ومُؤدّى الخبر: «أنَّ فتاةً فَرنسِيّةً لا يَتَعدّى عُمُرُها سَبْعَةَ عَشَرَ عاماً حَمَلَت مِن صَدِيقِهَا وَقَرَّرت إجراءَ عَمَلِيّة إجهاض في أكبرِ ميادينِ القارَّةِ الأوربية وهُو ميدانُ (الكونكورد) الواقع في قلبِ العاصِمَةِ الفرنسيَّة باريس، وأمامَ المارّةِ ومُرَاسِلي الصُّحُف ووكالاتِ الأنباءِ وعلىٰ مَسْمَع ومَرأى مِنَ العَالَم، قَامَت الفتاةُ وطبيبُهَا الخاصُّ بإجراءِ عَمَلِيَّـةِ الإجهاضِ علناً وعَلىٰ قارعَةِ الطَّرِيقِ في محاولةٍ شاذَّةٍ للتَّعبيرِ علىٰ أنَّ الإجهاضَ حقٌّ مكتسبٌ للمرأةِ، وجزءٌ مِنَ الحرِّياتِ العامَّةِ لا يجوزُ لأيِّ شَخْصٍ أنْ يُحَاوِلَ ـ مجرَّدَ محاولةٍ ـ مَنْعَهُ أو اجتزائه أو النَّيل منهُ، وكانَ ذلكَ في منتصفِ سبعينيَّات القرنِ الماضي عندَما تَقَدَّمَ أحدُ نوابّ الجمعيةِ الوطنيةِ الفرنسيَّةِ بمشروع قَانونٍ يَحِدُّ مِن انتشارِ البغاءِ، وَيُحَرِّم الإجهاضَ الَّذي فاحَ أمرُهُ وَعَجَّت بهِ المستشفَياتُ الحكوميّةُ والخاصَّةُ، وعلىٰ إثْرِ هذهِ الواقِعَةِ مِن تِلْكَ الفتاةِ تَمَّ بالإجمَاع رَفْض

المشروع ولَم يُفَكِّر أحدٌ لا مِن نُوّابِ الجمعيةِ الوطنيةِ ولا من غيرهَا مرَّةً أُخْرَى وإلىٰ الآن في السِّباحَةِ ضِدَّ تيّارِ الحرّياتِ العامَّةِ».

أُقَدِّمُ هذا الخبرَ لِفضيلَةِ شَيخِنَا (مفتي الأزهر) لِنُؤكِّدَ لَهُ أنَّ مَعْنَىٰ الاضطرارِ في قَضِيَّتِنَا المثارَةِ وفيمَا يُرادُ تَعْميمُهُ في أنحاءِ وسَائِرِ دُولِ أوربّا، وفيمَا يمكنُ أنْ يكونَ بدايةً لحظرِ فَرَائِضَ أخرى - علىٰ حَدِّ قولِ «د/ عبدِ الصَّبور مرزوق» الأمين العام للمجلسِ الأعلىٰ للشؤون الإسلاميةِ، وعضو المجلسِ الأعلىٰ للبحوثِ الإسلامية - في ظلِّ الهجمَةِ الشَّرسَةِ الَّتي يَتَعَرَّضُ لها الإسلامُ.. لا وجُودَ لَهُ في فَرَنْسا بلدِ الحرياتِ الَّتي أذعَنَت ولا زالت لِرَغَبَاتِ وشَهَوَاتِ نِسَائِها.

وفي تَعَرُّضٍ لمعنَىٰ الضَّرورةِ يُشير بعضُ أهلِ العلم إلىٰ أنّها: «خَوف الهلاكِ علىٰ النَّفسِ أو المالِ» وأنّها «حالةُ الخطرِ والمشَقَّةِ الشَّديدةِ بحيثُ يُخاف حُدُوث ضَرَرٍ أو أذًى بالنَّفسِ، أو بالعرضِ، أو بالعقلِ، أو بالمالِ» وأنّها «خَوف الهلاكِ أو الضَّررِ الشَّديدِ علىٰ إحدَى الضَّرورياتِ للنَّفس وللغيرِ» وأنّها «بُلُوغ الإنسانِ حدّاً إنْ لَم يَتَنَاوَلَ الممنوعَ هَلَكَ، أو قاربَ أو تَلِفَ فيهِ عُضوٌ أو تَلِفَ في مالِهِ أو عِرْضِهِ وفقَ تكييفَاتٍ فقهيَّةٍ»..

فهل تحقَّقَ شيءٌ مِن ذلكَ، أو تَحقَّقَ شيءٌ مِن شُروطِ الضَّرورةِ - بأن كانَت الضَّرورة قائمة غَير منتظرة أو انتَفَت جميعُ الوسَائِل لِدَفْعِها ولم يَبْقَ إلاَّ مخالَفَة الأوامر والنَّواهي الشَّرعية - حتَّىٰ تَتَخَلَّىٰ أخواتُنا المسلماتُ بفرنسا بكلِّ بساطةٍ عن فريضَةٍ مِن فرائضِ الإسلام أو يَضَعهُنَّ فضيلَةُ شيخِنَا فيمَا يُعَدُّ استثناءً مِنَ الأصلِ؟

فقط أردتُ أنْ أضَعَ في هذهِ العُجَالَةِ النُّقَاطَ فوقَ الحروفِ لأنَّه لا يجوزُ تأخير البيانِ عَن وقتِ الحاجَةِ وحتَّىٰ لا تَتهَاوَنُ أخواتُنا المسلماتُ في فَرَنْسا أوغيرها مِن

بلدانِ العالم أجْمَع، في تَغْطيَةِ رُؤوسِهِنَّ وفي سَتْرِ أجسَادِهِنّ عَن أعـينِ المتَلَصْلِصَةِ مِن قرناءِ السُّوء وشَياطينِ الإنـس الَّذيـن يَبْغُونَـها إباحِيَّـةً وهَمَجِيَّـةً وجاهليَّـةً، ويُريدونَ أنْ يُشْبِعُوا مِنَ الحرام نَظَرَاتهم الخائِنَة ونَزَوَاتِهِم الجامِحَة، سائلاً العَلِيَّ الأعلىٰ سُبْحَانَهُ أنْ يَهدِي الجميعَ لما يحبُّ ربُّنا ويَرْضَىٰ، إنَّهُ علىٰ ما يَشاءُ قَدير وبالإجابةِ جَدير فَهُو سبحانَهُ نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النَّصير، وآخِرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

ملحوظة: يحقُّ لِكُلِّ غيورٍ يَرى أهمّيةَ هذا المقالِ أو غيره، أنْ يَقُومَ مَشكُوراً بتَرْجَمَتِهِ إلىٰ أيَّةِ لغةٍ للإفادَةِ منهُ، بل أرى ذَلِكَ واجباً شرعياً لكلِّ مَا يُفيد مُسلماتِ ومُسلمي العَالم، لقولهِ تعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]. وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ..

❖ ❖ ❖

قصة حجاب

أثارَ اهتمامِي خبرُ الفتاةِ الصغيرةِ الَّتي طرَدَتها أكاديمية «بن فرانكلين» في مدينةِ (ماسكوجي) بولاية «أوكلاهوما» في أوائل شَهْرِ أكتوبر الماضي، بسببِ إصرارِهَا علىٰ ارتِدَائِهَا الحجابَ خلالَ سَاعَاتِ الدَّوام المدرَسِيّ، فقرَّرتُ زيَارَتَها في مَدِينَتِها مَع أولادِي خلالَ عُطْلَةِ نِهَايَةِ الأسبوع نيابَةً عَن مجلسِ العلاقاتِ الإسلاميةِ الأمريكية (كير).

وجدتُ أسرتَها تُقيمُ في بيتٍ متواضع وفي حَيٍّ فقيرٍ في المدينةِ حيثُ استَقْبَلَتْنَا الأسرةُ بالتِّرحَابِ، وكانَ أكبرُ هَمِّي أنْ أرى تلكَ الفتاةَ الشُّجَاعَةَ الَّتي هَزَّت الأوساطَ التَّربويةَ والإعلاميةَ في أمريكا، وتَنَاقَلَت أخبارَهَا وكالاتُ الأنباءِ الأمريكيةِ والعالميةِ.

سَلَّمَت «أمةُ اللهِ» عَلَينَا، وهَذا اسمُهَا الإسلامِيّ، وحَيَّانا وَالدُها وشكَرَنا علىٰ الزِّيارةِ لمؤازرَتِهِ وأسرَتِهِ حيثُ يَشْعُرُ بالوحدَةِ بسببِ خُلُوّ المدينَةِ الصَّغيرة مِن المسلمينَ تقريباً، كما أنَّ «أمَةَ الله» هي الطالبةُ الوحيدةُ المسلمةُ في المدرسَةِ.

سَألتُها لماذا يُريدُونَ إجبارَكِ علىٰ خَلْع الحجابِ؟ فَقَالت ببساطَةِ وبراءةِ الطِّفلِ: «لأنَّهم لا يريدونَ لِدِيني الإسلاميّ أنْ يكونَ له وُجُودٌ في المدرسة».

ثمَّ حَدَّثَني والدُها فقالَ: إنَّ الأمرَ بَدأ في (١١/ سبتمبر الماضي) حيثُ قَالت معلمةُ «أمَةَ الله» بأنَّها لا تَستَطيع أنْ تَأتي إلىٰ الأكاديميةِ مُرتَدِيَةً الحجابَ، لأنَّ قوانينَ المنطِقَةِ التَّعليميةِ تَقْضِي بمنع غطاءِ الرَّأسِ مِن أيِّ نوع خِلالَ اليَوْم الدِّراسيّ، وأكَّدَ علىٰ ذلكَ مُديرُ المدرسَةِ ثمَّ تَبَنَّىٰ الموقفَ أيضاً مُديرُ المنطقَةِ التَّعليميَّة.

وتَحَدَّثنا عَن عَدَم منطِقيَّةِ هَذا القرارِ، حيثُ أنَّ القوانينَ الأمريكيةَ تُجيزُ حُرّيةَ التَّعبير وحُرِّيـةَ ممارسَةِ الاعتقـادَاتِ الدِّينيةِ كمـا هـو مَفْروضٌ، وبخاصَّةٍ في ولايـة «أوكلاهوما» حيثُ أنَّها واحدةٌ مِن اثني عَشَرةَ ولاية تَبَنَّت قَوانـينَ إضافيّة محلِّية تُؤكِّدُ علىٰ حُرّيةِ ممارَسَةِ الاعتقاداتِ الدِّينية والتَّعبير عَنْها.

وكنتُ قد تحاورتُ مَع «إبراهيم هوبر» المديرُ الإعلامي (لكير) حيثُ نُتَابعُ تطورات هَذِهِ القَضِيَّة فقال: «كنَّا في الماضي نَنْجَح في حلِّ مشكِلَةٍ مِن هَـذا النَّوع بمجَرَّد مكالمةٍ هاتفيةٍ، أمَّا بَعْدَ أحـداثِ سبتَمبر/٢٠٠١ أصبَحَ الأمرُ أكْثَر صُعوبَةً وتَعقيداً».

وعلىٰ كلِّ حالٍ وبتوفيقِ اللهِ وبعدَ حَمْلَةِ ضغطٍ إعلاميٍّ وجَمَاهيريٍّ دَعَت إليها (كير) وشارَكَ فيها مئاتُ المسلمينَ والعربِ، وانضَمّت إليها مُؤسَّساتٌ حقوقيةُ أمريكيةُ أُخْرَى تَرَاجعَـت إدارةُ المنطقـةِ التّعليميةِ في منتصفِ شَهر أكتوبَر عن مَوقِفِها جزئياً وسَمَحَت «لأَمَةَ الله» أنْ تَعُودَ للمدرسَةِ مُرتَدِيَةً حِجَابَها لحين إتمام الجهازِ القَانُوني لَدَى المنطقَةِ التّعليميـةِ في «ماسكوجي» مُرَاجعَةَ نُظُمها وقوانينهَا ومحاولَة استيعاب حِجَابِ «أمة اللهِ» دُونَ مخالفَةٍ للقوانينِ المرعيّة لَدَيهِم.

وفي حالةِ تَرَاجُع المنطقَةِ التّعليميةِ وتَضييقِهَا علىٰ «أمَةِ اللهِ» مرَّةً أُخرَى فإنَّ (كير) وربما مُؤسساتٌ حقوقيّةٌ أمريكيـة أُخرَى يَدْرُسُونَ إمكانِيَّـةَ رَفْـع دَعْـوى قضائيّة ضِدّ المنطَقَةِ التّعليميةِ في «ماسكوجي» وذلك للدِّفاع عن حَقِّ «أمةِ اللهِ» وحقوق الملايينَ مِنَ المسلماتِ اللواتي يَرْتَدِينَ الحجابَ في المدارسِ الأمريكيةِ علىٰ مَدَى السَّنواتِ والأجيالِ القَادِمَةِ.

ثمَّ سارَ بنا الحديـثُ إلىٰ الطريقـةِ الَّتي تَعرَّفَ بـها «إيفـون هيرن» والـدُ الفتـاة

علىٰ الإسلام، فَقَالَ: كان هذا في عام (٢٠٠٠م) حيثُ وَقَعت في يَدِي نُسْخَةٌ مِن القرآنِ الكريم، فَشَدَّني هذا الكتابُ، وقرأتُ فيهِ كثيراً حتَّىٰ أسْلَمْتُ، ثمَّ بَدَأْتُ بِتَعْلِيم أسرَتي الإسلامَ، فأسْلَمَت ابنتي «أمَةُ اللهِ» رَغْمَ أنَّها أصغَر أولادي الثّلاثة وأتمنىٰ أنْ يَشْرَحَ اللهُ صَدْرَ زَوجَتي وأولادِي الآخرينَ لهذا الدِّينِ قريباً إنْ شاءَ اللهُ، فإنَّهم ما زَالوا مُتَرَدِّدينَ في أنْ يَعْتَنِقُوا الإسلامَ.

أمَّا «أمَةُ اللهِ» فَقَالَ أبوها: إنَّها شديدَةُ الحرصِ عَلىٰ تَعَلُّم القرآنِ وَمَبادِئ الإسلام العَظِيم، وأنا مسرورٌ لمدى حُبِّها والتِزامِهَا بهذَا الدِّين، وقالَ: إنَّها هِي الَّتي اختارَت اسمَها الإسلامي «أمَةُ اللهِ» حيثُ وَجَدَتهُ في أحدِ المواقع خِلالِ بحثِهَا في الشَّبكة المعلوماتيّةِ.

بعدها غَادَرنَا مَنْزِلَ العَائِلَةِ وكُلُّنا احترامٌ وإكبارٌ لموقِفِ الفتَاةِ الشُّجاع وَثَبَاتِها علىٰ المبدأ العظيم الَّذي تُؤمِنُ بِهِ.

وخلالَ الأيام التَّاليةِ تَوَجّهت المراكِزُ والمؤسساتُ المسلمةُ في «أوكلاهوما» و«تكساس» بِدَعَواتٍ للأسرةِ لحضُورِ مُنَاسباتٍ تَمَّ خِلالَها تكريم «أمَةِ اللهِ» وتَشْجيعها عَلىٰ الثَّباتِ علىٰ مَوقِفِهَا.

ومَع حلولِ شَهْرِ رَمَضَانَ المبارَك اتّصَلْتُ هاتفياً بالأسرةِ لِتَهْنِئَتِهَا بحلولِ الشَّهرِ الكريم فَفَاجَأني والدُ «أمَةَ اللهِ» بأنَّ زَوْجَتَهُ وابنَهُ الأكبرَ قد أسْلَمَا والحمدُ للهِ، وهو يأملُ في أنْ تحْذُو ابنَتُهُ الكُبرى حَذْوَهُما ويُصبحُ جميعُ أفرادِ هذهِ الأسرةِ مُسلِمُونَ، وقال: إنَّ زَوجَتَهُ أصَرَّت عَلىٰ أنْ تَرتَدِي الحجابَ فَورَ إسلامِهَا لأنَّها تريدُ أنْ تَلْتَزِمَ بما يأمُرهَا بهِ الإسلامُ وتَبْدأ طريقَ الإسلام بِدَايَةً صحيحةً أيْ بِالطَّاعَةِ التَّامّةِ.

هذا الخبرُ أثارَ في نَفْسِي مَشَاعِرَ فَيَّاضَةً غَامِرَةً واحتراماً عظيماً لهذِهِ الفَتَاة

المسلمةِ الملهمـةِ وأسرتِها الَّتي أرْسَلَت مِن خلالِ مَوقِفِهَا عِـدَّةَ رَسَائِل وفي عِـدَّة اتجاهَاتٍ..

(أوّلها): للمسلمينَ جميعاً أنَّ المسلمَ الحقّ يَثْبُتُ علىٰ مبدأهِ ويكون رائداً في رفع شِعَارات الإيمانِ والعِفَّةِ، وهُوَ يُؤثِّرُ إيجابياً علىٰ الغَيْرِ ولا يَتأثَّرُ سلبياً بِهِم ولـو كان وحيداً، وأنَّ الثّباتَ علىٰ المبدأ الصَّحيح يُؤدّي بعـونِ اللهِ إلىٰ تَرْسيخ الحقِّ في واقع النَّاسِ.

و(ثانيها) رسالَةٌ للشَّبابِ المسلم أنَّ عليهم ألاَّ يَنْجَرِفُوا وراءَ المظاهِرِ وأنْ يَتَجَنَّبُوا التقليدَ الطَّائِشَ والأعمَىٰ، وأن يلتَزِمُوا بجوهَرٍ طاهرٍ، ومظهَرٍ عفيفٍ كمَا أمَرَ الدِّينُ الحنيفُ.

و(ثالثها) رسالةٌ للآباءِ والأمهاتِ فيجب أنْ يكونَ هَدَفُهم في الحياةِ أنْ يُنَشِّئوا مِن نَسْلِهِم جيلاً يكون أكبَر هَمِّهِ إرضاءُ اللهِ تَعالىٰ، والفوز بالجنَّةِ لا الانفِتَانِ بمظاهِرِ هذهِ الحياةِ وَزِينَتِهَا.

و(رابعها) رسالةٌ للمجتَمَع الأمريكيِّ تُنَبِّهُهُ إلىٰ مَدَى التَّراجُع الَّذي وَصَلَ إليهِ في مجالِ الحرِّياتِ الدِّينيَّة، إلىٰ حَدٍّ ضيقِ بعضِ أفرادِهِ بحجابِ فتاةٍ صغيرةٍ وحيدةٍ عَرَفَت كيفَ تَتَمَسَّك بقوّةٍ وإيجابيّةٍ بحَقِّهَا حتَّىٰ استَعَادَتْهُ، ورَسَائِلَ أُخْرَى عَديدَة يَضيقُ المجالُ بِذِكْرِهَا.

[مقال بقلم: د. نبيل السعدون، عضو مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية].

❖ ❖ ❖

خواطر من الحاضر

خطبني بسببِ حِجَابي!

تقول نهى. م (٢٣ سنة):

عندمَا دَخَلنَا أحدَ المساجدِ في تُركيّا أصبَحَ النَّاسُ ينظرونَ إلينَا ولكِنَّ نظراتـهُم تَختَلِفُ عن نظراتِ مَن في الخارج، فهيَ نظراتُ تقديرٍ واحترام، وقَد وَقَفَ بَعْضُهُم يُسَلِّمُ علينَا، والبعضُ أخَذَ يبكِي، وطَلَبُوا منّا أنْ نَدْعُو لَهُم عندَما نَذْهَبُ إلىٰ مكّةَ وأنْ نُسَلِّمَ لهم علىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ وعلىٰ أهلِ مكّةَ والمدينةَ..

ثمَّ اشتكوا لنا مِن مَنْع تَعليم القرآنِ الكريم في بِلادِهِم بِسَبَبِ النِّظام العِلْمَانيّ المسيطِرِ عَلىٰ البلادِ والعِبادِ.. وتُضِيفُ قائلةً:

هناكَ خَطَبَني شابٌّ تُركيٌّ مِن وَالِدِي فَـأندَهَشَ وَالـدِي مِن ذلكَ وقَالَ: إنَّ الفتياتَ لَدَيكُم جميلاتٌ فلماذا لا تَخْطُب مِنْهُنَّ؟

فأجابَ الشَّابُّ قائلاً: إنَّ الفتيات هنَا مُنفَتِحَات جداً بِسَببِ النِّظام العِلْمَانيّ بينَمَا المرأةُ لَدَيكُم مُحْتَشِمَةٌ، وأنا لا أُريدُ أنْ يَنْظُرَ أحدٌ إلىٰ زَوجتي غيري..

وعندَمَا سَألني وَالِدَي عَن رأيي وأخْبَرَني بأنَّ الشَّابَّ مُصِرٌّ جـداً عَلىٰ الزَّواج منِّي، رَفَضتُ بِشِـدَّةٍ لأنِّـي خـلالَ شَهرٍ فَقَـط لَـم أتحَمَّل نَظَراتـهم لي! فكَيفَ إذا عشتُ العُمُرَ كُلَّهُ عِنْدَهُم؟

ورانا ورانا بالعباة!

أميرة ح (٢٥ سنة):

في بريطانيا وفي أحد القطاراتِ التي هي تحت الأرضِ..

كنتُ جالسةً مَع زَوجي فإذا بِرَجُلٍ يستأذِنُ أنْ يَجْلِس قُربَنَا كَي يَسْأَلُني عَن حجابِي!.. ولكِنّي لم أكُن أمْلِكُ لغةً قويّةً كي أُعْطِيه معلومَات، فقالَ لِزَوجِي: كنتُ أتَمَنَّىٰ أنْ أتَحَدَّثَ إلىٰ مُحَجَّبةٍ لأنَّ في ذِهْنِي أسئِلَةً كثيرةً.. فَأعطَيْتُهُ بَعْضَ النَّشراتِ والكُتيِّباتِ عَن الإسلام..

وأذكُرُ أنّنا لَم نَتَعَرَّض لأيِّ مُضَايَقاتٍ وللهِ الحمدُ مِنَ الأوربيينَ، ولكنَّنا تَعَرَّضنَا للأسفِ للمُضَايَقَاتِ مِن قِبَل بعضِ أبناءِ الخَليج هُنَاكَ، فَبَعْضُهُم قالَ لنا حينَ رآنا: «ورَانا ورَانا أنتُو وعبَايَاتكُم حتَّىٰ في لَنْدَن!».. ماذا أقولُ، الأفضلُ أن نقولَ هداهُمُ اللهُ تعالىٰ..

جيوشٌ خَلْفَنَا!

حينَ ذَهبنَا للهِنْدِ وفي إحدَى القُرى شَاهَدنا بعضَ المسلمينَ هناكَ، وعَرَفُوا أنّنا عربٌ مُسلمونَ مِن عباءاتِنَا..

فأخَذَتِ الجموعُ الغفيرةُ تَجْرِي خَلْفَنا وهي تُرَدِّد: (لا إلهَ إلاَّ الله)! مُعْتَزِّينَ بِنَا وفَرِحينَ لأنّنا منَ المسلمينَ العَرَب.. وكانَ موقفاً محرجاً جداً..

بطلةٌ في حديقَةِ الحيواناتِ!

أمُّ بَنْدَر تقولُ: في إحدَى المرّاتِ كُنتُ في حديقَةِ الحيواناتِ في «ماليزيا» وكانَ هناكَ عَدَدٌ مِن طالباتِ مَدْرَسةٍ إسلاميّةٍ يَقُمْنَ بِرِحْلَةٍ للحدِيْقَةِ، وعَدَدُهُنَّ حَوالي العشرينَ، وكنَّ مُحَجَّبات، فَلَمَّا شَاهَدنني بعباءتي طَلَبْنَ التَّصويرَ مَعِي لأنّي مِن بلادِ الحرمينِ (أي قُدوة في نَظَرِهِنَّ) وكنتُ في موقفٍ مُحْرِج لا أُحْسَدُ عليهِ وأنا بالوَسَطِ وهنَّ حَولي أمامَ النَّاس ـ وهُم يَنْظُرُونَ إلينَا ـ وكأنّني بَطَلَةٌ مَشْهُورَةٌ! أو قائدةٌ عظيمةٌ..

هَل لَديكِ وَجهٌ؟

تحكي م. م (٢٠ سنةً) عَن صديقَتِهَا قائلةً:

أعرفُ صديقةً لي سَافَرت مرَّةً مَع أهلِهَا، واستَطَاعَت أنْ تَكُونَ دَائِرةَ مَعَارِف مُتَنَقِّلة عَن الإسلام، وكانت تَنْصَحُ الفتيَات المسلماتِ في المهجَرِ ولا تَزَالُ حتَّىٰ الآنَ، تُرَاسِلُ بَعْضَهُنَّ وتُحَادِثهُنَّ عَبْرَ الإنترنت..

وأذكُرُ أنَّها قَالت لي في إحدَى المرَّات: أنَّهُ قَد سَأَلَهَا طِفلٌ صَغيرٌ في مَتْجَرٍ: هَل لكِ وَجْهٌ؟

فَقَالت لَهُ: نَعَم.. فَقَالَ أينَ هُوَ؟ فَأَخَذَتهُ إلىٰ مكانٍ مُنْزَوٍ في المحلّ وكَشَفَت لَهُ عَن وَجْهِهَا فَضَحِكَ الطفلُ وَسُرَّ بِها!

شبحٌ طَيِّب!

أمُّ زياد (٢٢ سنة):

كنتُ أرتَدِي عباءتي مَع النِّقَاب حينَ سَافرنَا للخَارج، وفي أحَدِ الأمَاكِن العَامَّةِ مرَّ بِي طفلٌ صغيرٌ فأخَذَ يَصْرُخُ (ghost.. ghost) أي شبح.. شبح!

وأخذَ يَسأَلُ أُمَّهُ عَن سببِ ارتِدَائِي لهذا اللِّبَاسِ فقَالَت لَهُ: اذْهَب إليهَا واسألها.. فجاءَ إلينَا وسَألني فَشَرَحتُ لَهُ ذلكَ ببساطَةٍ، ولم أشْعُر بالخجَلِ أو الحرَج مِن ذلكَ..

لا أستطيع!

تقول ريم ن. (١٨ سنة):

في الحقيقةِ أنا لا أرتَدِي الحجابَ أثناءَ سَفَرِي رَغْمَ أنِّي أتمَنَّىٰ لَو أستطيعُ أنْ

أرتديهِ، لكن لَيْسَ هناكَ مَن يُشجِّعُني فأمِّي وكلّ قريباتي اللاتِي يُسَافِرنَ هنَاكَ لا يَرتَدِينَ الحجابَ ويَخرُجنَ معاً لكلِّ مكانٍ وأنا أريدُ أنْ أستَمْتعَ مِثْلَهُنَّ.. إذْ لَو ارتَدَيتُ الحجابَ فَسَأبدُو غريبةً بَيْنَهُنَّ!

لكن صَدِّقُوني حينَ أرَى فتاةً مُحَجَّبةً أحترِمُهَا بِصِدْقٍ وأتمنَّىٰ لو كنتُ مِثْلَهَا..

دَاعِيَةٌ بِالحلَوى

تقول م.ع (٢١ سنة):

حينَ كنتُ في الصَّفِّ الثَّاني المتوسطِ سَافَرتُ مَع أهلي لِدَولَةٍ أجنبيةٍ، وفي ذلكَ العُمُرِ رَفَضْتُ أنْ أخلَعَ حِجَابي، رَغْمَ أنَّ وَالِدَتي سَمَحَت لي بخَلْعِهِ..

وكنتُ أحرِصُ علىٰ أنْ أكونَ لطيفَةً مَع الجميع فَأُعْطِي الأطفالَ الحَلْوَى أينَمَا ذَهَبتُ حتَّىٰ لا يَخَافُوا مِنِّي.

وأذكُرُ أنَّ إحدَى السَّيداتِ شكَرتني كثيراً لأنِّي أعطيتُ ابنَهَا حَلوى وسَألتنِي بِلُطْفٍ عَن سببِ ارتِدَائي للحجابِ وعَن معنَاه فَحَدَّثتُهَا عنهُ بإيجازٍ..

[المصدر: مجلة حياة العدد ٤٩].

❖ ❖ ❖

أخاطب فيك إيمانك

أختِي الغَالِيَة... نَعَم أنتِ مَن أعني.. أستَميحُكِ العذرَ فَلَرُبما أجهَلُ! وتعْلَمينَ! وأُغْلِظُ القولَ! وتَصْفَحينَ! نعم أنتِ يـا أُخَيَّةُ.. نَعـم أنتِ يَا مُؤمِنَـة.. نَعـم أنـتِ يَا رَؤُوم.. فَمِثْلِي لا يُعلِّمُكِ ولكن يُذَكِّرُكِ! ومِثْلُكِ لا يُعلَّمُ ولكن يُعلِّمُ ويُوجِّهُ.

أخاطِبُكِ وكُلٌّ منّا لا يَعْرِفُ الآخَرَ ولا ضَيْرَ ولكنّي أخاطِبُ أختاً غالِيَةً، وأمّـاً قُدوَةً، وبِنْتاً مُشْفِقٌ علَيْهَا.. أخاطبُ فِيْكِ إيمانَك.. فكُلّـكِ إيمـانٌ إنْ شـاءَ اللهُ تعـالىٰ.. وأخاطبُ حُبَّكِ لحبيبكِ محمَّد ﷺ فكُلّكِ حُبٌّ لَهُ.. وأخاطِبُ حياءكَ فكُلّكِ حياءٌ..

ولكنَّها نَزْوَةٌ يعقبها أوبةٌ.. وخطأً يخلُفُهُ تَصْحيحٌ.. «فكُل أمّـتي معـافىٰ إلاَّ المجاهرينَ» كمَا قالَ رَسُولُنا ﷺ.

فمالي أرَى بنتَ الإسلام.. وحَفيدَةَ الأعلام تُخَالِفُ حَبِيبَهَا ﷺ فَدينُكِ قَد نأى بكِ عَن الجاهليةِ بكلِّ صُورِهَا القاتِمَةِ، فمـا بَالُكِ إذن تَتَقَـهقَرينَ نَحْوَهَـا.. بَـل تَتَهافَتينَ نَحْوَها كتَهافُتِ الجرادِ إلىٰ الضَّوءِ ولو كانَ ذلكَ الضَّوءُ يَصْدُرُ مِن نارٍ!

حِجَابُكِ يَا غَالِيَة.. حِجَابُكِ يَا مُوَفَّقَة.. لا أَقُولُ حَيَاءَك! بَل هُـو إيمانُكِ هُوَ عُنوانُكِ.. هُوَ دِينُكِ.. ثمَّ هُوَ حَيَاؤكِ بَعْـدَ ذَلِـكَ.. فـأنتِ يَا أختَاهُ.. تَفُوقينَ الرِّجَالَ بحيائِكِ.. لِذَا يُقَالُ عَن الرَّجُل الحيي: «هُو أشدُّ حياءً مِنَ العَـذْراءِ في خِدْرِهَـا».. فالعذراءُ أنتِ.. والخِدْرُ هُو.. حجَابُكِ.

يَا قُدوةَ الأجيالِ.. ويَا مُرَبِّيةَ الأبطالِ.. ويَا زَوْجَ الرِّجالِ.. لَقَد جاءكِ خطابُ مَن أنتِ عَزيزَةٌ عليهِ، ومَن هُوَ حَرِيصٌ عَلَيْكِ وبَعْدَ ذلكَ كُلِّهِ كانَ بِكِ رَؤوفاً رحيماً.. أختَاهُ.. واللهِ لَقَد اقشعَرّ جِلْدِي وأنـا أكتبُ هـذا الحديثَ.. بَل وطارَ لُبِّي وأنَا أقرأُ هَذا النَّصَّ فكيفَ بِكِ أنتِ؟.. والأمرُ يَعْنيكِ أنتِ لا غَيْرَكِ! فَهُنَّ كاسياتٌ..

لكنَّهُنَّ عارياتٌ في الحقيقةِ.. بحجابٍ ولباسٍ مُتَهافِتٍ.. إمَّا لخفَّتِهِ.. أو لِضيقِهِ.. أو لِقِصَرِهِ.. أو لزينَتِهِ.. فأنِّي يَا غالية.. أربأ بِكِ عَن تلكَ الحال.

ولا أنسىٰ تلكَ الأختَ الَّتي وَضَعَت عباءتَهَا علىٰ كَتِفِهَا!.. ولَفَّت علىٰ رأسِهَا طَرْحَتَهَا..! وأبدَت خَدَّيها..؟.. أقْصِدُ عَيْنَيْهَا..؟! فَبَدَى قُوامُها.. وامتَشَقَ قدُّهَا.. ومَع هذا كُلِّهِ تَظُنُّ وتَزْعُمُ وتُوقن أنَّها ارتَدَت.. حِجَاباً.. بَل وتَصِفُهُ بالإسلاميّ..!

إنَّ هذهِ الأفعالَ أختَاه.. تُحرِّكُهَا أيدِي أعداءِ اللهِ تعالىٰ.. الَّذينَ لا يَرونَ المرأةَ إلاَّ مُلاصِقَةً للَّذةِ والمتعَةِ.. فَهَا هِيَ بَصمَاتُهم المقِيْتَة بَدَت علىٰ مَا تَزْعُمِينَ أنَّه حِجَابُكِ.. فماذا تَرْجِين مِمَّن: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..﴾ [النساء: من الآية ٨٩]..

فَأحذَري.. أختَاهُ.. احذَرِي.. وأقولُ لَكِ أخيراً مَا قَالَتْهُ تِلْكَ المؤمنةُ الصادِقَةُ عندمَا خَاطَبَت مَن وَصَمُوهَا بِحِرصِهَا علىٰ حِجَابِهَا.. بِالرَّجعِيَّةِ.. والتَّخلُّفِ.. وَعدَم مواكَبَةِ الحضارةِ.. فقالت: زَعمُوا..!

فَلْيَقُولُوا عَن حِجَابي — لا وَرَبِّي لَنْ أُبَالِي
قَد حَمَانِي فيهِ دِيْنِي — وَحَبَانِي بالجَلالِ
زِيْنَتِي دَوْماً حَيَائِي — وَاْحتِشَامِي هُوَ رأسُ مَالي
ألاَ إنِّي لَن أتَولَّىٰ — عَن مَتَاعٍ لِلزَوَالِ
لامَنِي النَّاسُ كَأنِّي — أطلُبُ السُّوءَ لِحَالِي
كَم لَمَحْتُ اللَّومَ مِنْهُم — في حَدِيثٍ أو سُؤَالِ

والسَّلامُ عليكُم ورحمةُ الله وبركَاتُهُ.

[سعد بن محمد بن صالح العطا الله: مجلة الدعوة.. بتصرُّف العدد ١٦٩١ محرم ١٤٢٠ هـ].

الفهرس

المقدمة ٥
الإهداء ٩
يا ابنتي (للشيخ علي الطنطاوي) ١١
يا بنت الإسلام تحشّمي (شعر) ١٩
يا وردة الإيمان ٢١
كلمة الرئيس بوش ٢٩
مؤتمر بكين ٣٢
أثر التكنولوجيا على المرأة ٣٢
يا أخت فاطمة (شعر) ٣٦
ملكة أنا رغم أنوفكم ٣٩
الحجاب في الإسلام ٤١
متى نزلت آية الحجاب ٤٢
حكم الحجاب ٤٥
شروط الحجاب الإسلامي ٥٠
هل وجه المرأة ليس بعورة ٥٦
الأدلة من النّظر ٦٤
تغطية المرأة وجهها ٦٥
العورة، تعريفها حدودها ٧٥
عورة المرأة بالنسبة للرجل ٧٦
عورة المرأة المسلمة بالنسبة للأجنبية ٧٦
عورة المرأة المسلمة بالنسبة للمرأة المسلمة ٧٧
عورة المرأة بالنسبة للمحارم ٧٧
عورة الأمَةِ ٧٩
عورة الرجل بالنسبة للرجل ٧٩
عورة الرجل بالنسبة للأجنبية ٨٠
عورة الصغير والصغيرة ٨١
عورة كل من الزوجين ٨٣
عورة الخنثى المشكل ٨٣
العورة في الصلاة ٨٤
ما تستره المرأة في الإحرام ٨٤
لمس الأجنبي أو الأجنبية ٨٥
عورة الميت ٨٥
النّظر إلى العورة ٨٥
كشف العورة للحاجة ٨٦
كشف العورة عند الاغتسال ٨٧
السلام على مكشوف العورة ٨٧

الإنكار على مكشوف العورة ٨٧
جروح في جبين الحجاب الإسلامي ٨٨
لغة العيون ٩٠
أَسْمِعِيْنِي يا أُخية (شعر) ٩٤
أحكام في زينة المرأة ٩٦
قرار حجابي (شعر) ١٠٢
الحجاب.. أم العلم المشروط بالسفور ١٠٣
أعذار من لا ترتدي الحجاب ١٠٨
تيهي جمالاً بالحجاب (شعر) ١١٨
لماذا الحجاب ١١٩
شبهات حول حجاب المرأة ١٢٢
لباس النساء في هذا الوقت ١٤٣
أسباب هذا التحول ١٤٤
علاج هذه الظواهر ١٤٥
حكم ألبسة النساء ١٤٥
لبس البنطال ١٤٥
التبرج المقنع ١٤٨
النساء والموضة ١٤٩
عوامل انتشار الموضة ١٤٩
الموضة.. ومرض التقليد للكافرات ١٥٠
الموضة وتفسير الطب ١٥١
الموضة والهزيمة النفسية ١٥١
الموضة وإفساد المجتمع ١٥٢
الموضة.. والفرق بين الجمال والأناقة ١٥٤
كيف نواجه طوفان الموضة ١٥٥
فتنة الأزياء ١٥٧
بداية فتنة الأزياء ١٥٨
من وراء الفتنة ١٥٩
خطط العدو وأهدافهم ١٦١
صور الأزياء ومفاسد نشرها ١٦٢
حجبت الجمال (شعر) ١٦٦
الاختلاط سببه التبرج ١٦٧
انوثتي التي فقدتها ١٧١
الحجاب والتبرج في الميزان ١٧٤
قبائح التبرج ١٧٦
رحلتي حول العالم ١٨١
حوار بين متحجبة وسافرة ١٨٨
بدت خجلى (شعر) ١٩٢

حوار بين العباءة الحديثة والعباءة المحتشمة ١٩٣
حجاب النفاق ١٩٦
خروج المرأة إلى المسجد ١٩٧
جارتي في الطائرة ١٩٩
القصيدة ٢١٢
مرض يصيب المراة المتبرجة ٢١٣
صرخة فتاة (شعر) ٢١٥
أيها الباكون على المرأة ٢١٨
خدعوها (شعر) ٢٢٠
الفتاة المسلمة في عيون أمريكي متحرر ٢٢١
البرقع مقابل البكيني ٢٢١
صورتان متناقضتان ٢٢١
حرب متعددة الأهداف ٢٢٢
دفاعاً عن القيم ٢٢٢
المسلمة مربية أجيال ٢٢٣
وماذا عن المرأة الأمريكية ٢٢٣
الجنس والعواطف الفارغة ٢٢٣
الفتاة المسترجلة ٢٢٤
النظام العالمي يكرس العزلة ٢٢٤
احذروا خدعة تحرير المراة ٢٢٤
إلى أختي التي لم تتحجب بعد ٢٢٦
المرأة المعاصرة ٢٣٤
أختاه عزك في حجابك (شعر) ٢٣٧
حجابك ليس إرهاباً ٢٣٩
يا ابنتي هيّا إليّا (شعر) ٢٤٢
يوم أسود في تاريخ فرنسا ٢٤٣
رسالة إلى مسلمات فرنسا ٢٤٧
قصة حجاب ٢٦٠
خواطر من الحاضر ٢٦٤
ورانا ورانا بالعباة ٢٦٤
جيوش خلفنا ٢٦٥
بطلة في حديقة الحيوانات ٢٦٥
هل لديك وجه ٢٦٦
شبح طيب ٢٦٦
لا أستطيع ٢٦٦
داعية بالحلوى ٢٦٧
أخاطب فيك إيمانك ٢٦٨
الفهرس ٢٧٠

إلىٰ ابنتي الغَاليةِ.. ودُرَّتِي المصُونَة.. وزَهْرتِي اليَانِعَة..

يا وردةً.. مِن قطافِ العَفَافِ..

إلىٰ مَن هي نِصفُ المجتمع.. وتَلِد النِّصفَ الآخَر فهي كلّ المجتَمَع!

إليكِ أكتُبُ هذهِ الكلمات بحبرٍ مِن دَمي.. وعَلَىٰ ورقٍ مِن قَلْبي..

وأُغلِّفها بحُبِّي وإخلاصِي.. وأقدِّمُها بِصِدقِي ووفَائي..

جمعتُها لـكِ، يَا قُدوةَ الأجيالِ.. ويَا مُرَبِّيةَ الأبطـالِ.. ويَـا زَوْجَ الرِّجالِ.. فَتَقبَّليها مني..

أختَاهُ.. يـا مـن نطـق فمُكِ بـ (لا إلـه إلا الله) وأيقـنَ قلبُـكِ بـها، وعملَت جوارحُكِ بمقتضَاها.. أكملي دِينَكِ بحجَابِكِ، فَلا تفرِّقي بينَ الحجابِ والصَّلاةِ.. أو تقُولي: كلُّ شيءٍ لِوَحـدِ.. فـإنَّ اللهَ تعـالىٰ لم يفرِّق بين الصَّلاةِ والحجاب.. فهذا فَرْضٌ وذاكَ فَرض..

ابنتي الغَالية: لا تَنْظُري لحثالةِ البشرِ وأتباعِهِم، فما يُمْلُونَ عليكِ إلاَّ ذنوباً وعاراً تَتَلَطَّخينَ بها في دُنياكِ وأُخرَاكِ!

وتَذكَّري يا غَالِيَة أنَّ بابَ التَّوبةِ مفتوحٌ ما لم يحضركِ المـوتُ، وتَيقَّني أنَّ اللهَ لن يَرُدَّكِ خائبةً وقد قَالَ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فأدركي نَفسَكِ يا ابنتي الحبيبة قَبلَ فـواتِ الأوان.. قبـل نُـزول المـوتِ.. قبلَ سُؤالِ الملكين.. حيثُ لا يَنْفَـعُ عندهَـا نَـدَمٌ.. ولا تُنجِي الدُّموعُ.. فَاللهَ اللهَ يا ابنتي قبلَ فواتِ الأوانِ..

مكتبة ابن حجر

دمشق ـ الحلبوني ـ تلفاكس: ٢٢٢٣٦٩١

جوّال: ٠٩٥٦٦٢٣٤٩